١

٤١٧٩

٤٤٢١١

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله المنفرد باسمه الاسمى المختص بالملك الاعز الاحمى الذي ليس دونه
منتهى ولا وراءه مرمى الظاهر لا تخيلا ولا وهما والباطن تقدسا لا عدما وسع
كل شيء رحمة وعلما واسبغ على اوليائه نعما عما وبعث فيهم رسولا من انفسهم انفسهم
عربا وعجما وازكاهم محتدا ومنمى وارجحهم عقلا وحلما واوفرهم علما وفهما
واقواهم يقينا وعزما واشدهم بهم رافة ورحمى زكاه روحا وجسما وحاشاه
عيبا ووصما واتاه حكمة وحكما وفتح به اعينا عميا وقلوبا غلفا واذانا صما
فامن به وعزره ونصره من جعل الله له في مغنم السعادة قسما وكذب به وصدف
عن اياته من كتب الله عليه الشقاء حتما ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى
صلى الله عليه وسلم صلاة تنمو وتنمى وعلى اله وسلم تسليما اما بعد
اشرق الله قلبي وقلبك بانوار اليقين ولطف لي ولك بما لطف به لاوليائه المتقين

الذين شرفهم الله بنزل قدسه واوحشهم من الخليقة بانسه وخصهم من معرفته
ومشاهدة عجائب ملكوته واثار قدرته بما ملا قلوبهم حبرة ووله عقولهم
في عظمته حيرة فجعلوا همهم به واحدا ولم يروا في الدارين غيره فهم بمشاهدة جماله
وجلاله يتنعمون وبين اثار قدرته وعجائب عظمته يترددون وبالانقطاع
اليه والتوكل عليه يتعززون لهجين بصادق قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم
يلعبون فانك كررت علي السؤال في مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى صلى
الله عليه وسلم وما يجب له من توقير واكرام وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك
القدر او قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر وان اجمع لك ما لاسلافنا وائمتنا في
ذلك من مقال وابينه بتنزيل صور وامثال فاعلم اكرمك الله انك حملتني من ذلك
امرا امرا وارهقتني فيما ندبتني اليه عسرا وارقيتني بما كلفتني مرتقى صعبا ملا قلبي
رعبا فان الكلام في ذلك يستدعي تقرير اصول وتحرير فصول والكشف عن غوامض
ودقائق من علم الحقائق مما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم ويضاف اليه او يمتنع او يجوز
عليه ومعرفة النبي والرسول والرسالة والنبوة والمحبة والخلة وخصائص هذه الدرجة
العلية وها هنا مهامه فيح تحار فيها القطا وتقصر بها الخطا ومجاهل تضل فيها الاحلام
ان لم تهتد بعلم علم ونظر سديد ومداحض تزل بها الاقدام ان لم تعتمد على توفيق من
الله وتاييد لكني لما رجوته لي ولك في هذا السؤال والجواب من نوال وثواب بتعريف
قدره الجسيم وخلقه العظيم وبيان خصائصه التي لم تجتمع قبل في مخلوق وما يدان
الله تعالى به من حقه الذي هو ارفع الحقوق ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين
امنوا ايمانا ولما اخذ الله على الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا يكتمونه
ولما حدثنا ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه قال ثنا الحسين
بن محمد ثنا ابو عمر النمري ثنا ابو محمد بن عبد المؤمن ثنا ابو بكر محمد بن بكر ثنا سليمان بن الاشعث ثنا

موسى بن اسمعيل ثنا حماد ثنا علي بن الحكم عن عطاء عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيمة فبادرت الى نكت مسفرة عن وجه الغرض مؤديا من ذلك الحق المفترض اختلستها على استعجال لما المرء بصدده من شغل البدن والبال بما طوقه من مقاليد المحنة التي ابتلي بها فكادت تشغل عن كل فرض ونفل وترد بعد حسن التقويم الى اسفل سفل ولو اراد الله بالانسان خيرا لجعل شغله وهمه كله فيما يحمد غدا او يذم محله فليس ثم سوى حضرة النعيم او عذاب الجحيم ولكان عليه بخويصته واستنقاذ مهجته وعمل صالح يستزيده وعلم نافع يفيده او يستفيده جبر الله صدع قلوبنا وغفر عظيم ذنوبنا وجعل جميع استعدادنا لمعادنا وتوفر دواعينا فيما ينجينا ويقربنا اليه تعالى زلفى ويحظينا بمنه وكرمه ورحمته ولما نويت تقريبه ودرجت تبويبه ومهدت تاصيله وخلصت تفصيله وانتحيت حصره وتحصيله ترجمته بالشفا بتعريف حقوق المصطفى وحصرت الكلام فيه في اقسام اربعة

القسم الاول

في تعظيم العلي الاعلى لقدر هذا النبي الكريم قولا وفعلا وتوجه الكلام فيه في اربعة ابواب

الباب الاول

في ثنائه تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول

الباب الثاني

في تكميله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا وفيه سبعة وعشرون فصلا

الباب الثالث

فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما

خصه به في الدارين من كرامته وفيه اثنا عشر فصلا

الباب الرابع

فيما اظهره الله تعالى على يديه من الايات والمعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات وفيه ثلاثون فصلا

القسم الثاني

فيما يجب على الانام من حقوقه عليه السلام ويترتب القول فيه في اربعة ابواب

الباب الاول

في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته وفيه خمسة فصول

الباب الثاني

في لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة فصول

الباب الثالث

في تعظيم امره ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة فصول

الباب الرابع

في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته وفيه عشرة فصول

القسم الثالث

فيما يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من الامور البشرية ان يضاف اليه وهذا القسم اكرمك الله هو سر الكتاب ولباب ثمرة هذه الابواب وما قبله له كالقواعد والتمهيدات والدلائل على ما نورده فيه من النكت البينات وهو الحاكم على ما بعده والمنجز من غرض هذا التاليف وعده وعند التقصي لموعده والتفصي عن عهدته يشرق صدر العدو اللعين ويشرق قلب المؤمن باليقين وتملا انواره جوانح صدره ويقدر العاقل النبي صلى الله عليه وسلم حق قدره ويتحرر

الكلام فيه في بابين

الباب الأول

يختص بالأمور الدينية ويتشبث به القول في العصمة وفيه ستة عشر فصلا

الباب الثاني

في أحواله الدنيوية وما يجوز طروءه عليه من الأعراض البشرية وفيه تسعة فصول

القسم الرابع

في تصرف وجوه الأحكام على من تنقصه أو سبه عليه السلام وينقسم الكلام فيه في بابين

الباب الأول

في بيان ما هو في حقه سب ونقص من تعريض أو نص وفيه عشرة فصول

الباب الثاني

في حكم شانئه ومؤذيه ومنتقصه وعقوبته وذكر استتابته والصلاة عليه ووراثته وفيه عشرة فصول وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسألة ووصلة للبابين اللذين قبله في حكم من سب الله تعالى ورسله وملائكته وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه واختصر الكلام فيه في خمسة فصول وبتمامها ينجز الكتاب وتتم الأقسام والأبواب ويلوح في غرة الإيمان لمعة منيرة وفي تاج التراجم درة خطيرة تزيح كل لبس وتوضح كل تخمين وحدس وتشفي صدور قوم مؤمنين وتصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين وبالله تعالى لا إله سواه أستعين

القسم الأول

في تعظيم العلي الأعلى لقدر المصطفى قولا وفعلا قال الفقيه القاضي أبو الفضل رحمه الله لا خفاء على من مارس شيئا من العلم أو خص بأدنى لمحة من الفهم بتعظيم الله عز وجل قدر نبينا عليه السلام وخصوصه إياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه الألسنة والأقلام فمنها ما صرح

به تعالى في كتابه ونبه به على جليل نصابه وأثنى به عليه من أخلاقه وآدابه وحض العباد على التزامه وتقلد إيجابه فكان جل جلاله هو الذي تفضل وأولى ثم طهر وزكى ثم مدح بذلك وأثنى ثم أثاب عليه الجزاء الأوفى فله الفضل بدءا وعودا والحمد أولى وأخرى ومنها ما أبرزه للعيان من خلقه على أتم وجوه الكمال والجلال وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والأخلاق الحميدة والمذاهب الكريمة والفضائل العديدة وتأييده بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات البينة التي شاهدها من عاصره ورآها من أدركه وعلمها علم يقين من جاء بعده حتى انتهى علم حقيقة ذلك إلينا وفاضت أنواره علينا صلى الله عليه وسلم كثيرا

حدثنا القاضي الشهيد أبو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله قراءة مني عليه ثنا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار وأبو الفضل أحمد بن خيرون قالا ثنا أبو يعلى البغدادي ثنا أبو علي السنجي ثنا محمد بن أحمد بن محبوب ثنا أبو عيسى بن سورة الحافظ ثنا إسحاق بن منصور ثنا عبد الرزاق انا معمر عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بالبراق ليلة أسري به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل أبمحمد تفعل هذا فما ركبك أحد أكرم على الله منه قال فارفض عرقا

الباب الأول

في ثناء الله تعالى عليه وإظهاره عظيم قدره لديه اعلم أن في كتاب الله تعالى العزيز آيات كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى وعد محاسنه وتعظيم أمره وتنويه قدره اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا ذلك في عشر فصول

الفصل الأول

فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم الآية قال السمرقندي وقرأ بعضهم من أنفسكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور بالضم قال الفقيه القاضي أبو الفضل أعلم الله المؤمنين أو العرب أو أهل مكة أو جميع الناس على اختلاف

المفسرين من المواجه بهذا الخطاب انه بعث فيهم رسولا من انفسهم يعرفونه ويتحققونه
مكانه ويعلمون صدقه وامانته فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم
وانه لم يكن في العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة او قرابة
وكونه من اشرفهم وارفعهم وافضلهم على قراءة الفتح وهذه نهاية المدح ثم وصفه
بعد باوصاف حميدة واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم
واسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضر بهم في دنياهم واخريهم وعزته عليهم ورافته ورحمته
بمومنيهم قال بعضهم اعطاه اسمين من اسمائه رؤوف رحيم ومثله في الاية الاخرى
قوله تعالى لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم الاية وفي الاخرى
هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم الاية وقوله تعالى كما ارسلنا فيكم
رسولا منكم وروى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي عليه السلام
في قوله تعالى من انفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا ليس في ابائي من لدن ادم سفاح كلنا
نكاح وقال جعفر بن محمد علم الله عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا انهم لا
ينالون الصفو من خدمته فاقام بينهم وبينه مخلوقا من جنسهم في الصورة البسه
من نعته الرافة والرحمة واخرجه الى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته طاعته وموافقته
موافقته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين قال ابو بكر بن طاهر زين الله محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة فكان
كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شيء من رحمته فهو الناجي
في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل محبوب الا ترى ان الله تعالى يقول
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكانت حياته رحمة ومماته رحمة كما قال عليه السلام
حياتي خير لكم وموتي خير لكم وكما قال اذا اراد رحمة بامة قبض نبيها قبلها
فجعله لها فرطا وسلفا وقال السمرقندي رحمة للعالمين يعني للجن والانس

وقيل

وقيل لجميع الخلق للمومن رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالامان من القتل ورحمة
للكافر بتاخير العذاب قال ابن عباس هو رحمة للمومنين والكافرين اذ عوفوا
مما اصاب غيرهم من الامم المكذبة وحكي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لجبريل عليه السلام هل اصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت اخشى العاقبة
فامنت لثناء الله عز وجل علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين
وروى عن جعفر بن محمد الصادق في قوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين اي بك
انما وقعت سلامتهم من اجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى الله نور السموات
والارض الاية قال كعب وابن جبير المراد بالنور الثاني هنا محمد عليه السلام وقوله مثل نوره
اي نور محمد وقال سهل بن عبد الله المعنى الله هادي اهل السموات والارض ثم قال مثل نور محمد
اذ كان مستودعا في الاصلاب كمشكاة صفتها كذا واراد بالمصباح قلبه والزجاجة
صدره اي كانه كوكب دري لما فيه من الايمان والحكمة توقد من شجرة مباركة اي من
نور ابراهيم عليه السلام وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله يكاد زيتها يضيء اي
تكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت وقد قيل في
هذه الاية غير هذا والله اعلم وقد سماه الله تعالى في القران في غير هذا الموضع نورا
وسراجا منيرا فقال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقال انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ومن هذا قوله تعالى الم نشرح لك
صدرك الى اخر السورة شرح وسع والمراد بالصدر هنا القلب قال ابن عباس شرحه
بالاسلام وقال سهل بنور الرسالة وقال الحسن ملاه حكما وعلما وقيل معناه الم نطهر قلبك
حتى لا يوذيك الوسواس ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك قيل ما سلف من ذنبك
يعني قبل النبوة وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية وقيل اراد ما اثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه
الماوردي والسلمي وقيل عصمناك ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي

ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن آدم بالنبوة وقيل إذا ذكرت ذكرت معي في قول لا إله إلا الله محمد رسول
الله وقيل في الأذان قال القاضي رحمه الله هذا تقرير من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده وكرامته عليه بأن شرح قلبه للإيمان
والهداية ووسعه لوعي العلم وحمل الحكمة ورفع عنه ثقل أمور الجاهلية عليه
وبغضه لسيرها وما كانت عليه بظهور دينه على الدين كله وحط عنه عهدة أعباء
الرسالة والنبوة لتبليغه للناس ما نزل إليهم وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته
ورفعه ذكره وقرانه مع اسمه اسمه قال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب
ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله روى
أبو سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أتاني جبريل فقال إن ربي وربك يقول
تدري كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله أعلم قال إذا ذكرت ذكرت معي قال ابن عطاء جعلت
تمام الإيمان بذكري معك وقال أيضا جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني وقال جعفر بن محمد الصادق
لا يذكرك أحد بالرسالة إلا ذكرني بالربوبية وأشار بعضهم في ذلك إلى الشفاعة ومن ذكره معه
تعالى أن قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال تعالى وأطيعوا الله والرسول وآمنوا بالله ورسوله
فجمع بينهما بواو العطف المشركة ولا يجوز جمع هذا الكلام في غيره عليه السلام حدثنا
الشيخ أبو علي الحسين بن محمد الجياني الحافظ فيما أجازنيه وقرأته على الثقة عنه قال ثنا أبو عمر
النمري ثنا أبو محمد بن عبد المؤمن ثنا أبو بكر بن داسة ثنا أبو داود السجزي ثنا أبو الوليد الطيالسي
ثنا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا يقولن أحدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله ثم شاء فلان قال الخطابي أرشدهم صلى
الله عليه وسلم إلى الأدب في تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة من سواه واختارها بثم التي هي
للنسق والتراخي بخلاف الواو التي هي للاشتراك ومثله الحديث الآخر أن خطيبا خطب عند
النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقال له النبي صلى

الله

الله عليه وسلم بئس خطيب القوم أنت قم أو قال اذهب قال أبو سليمان كره منه الجمع بين
الاسمين بحرف الكناية لما فيه من التسوية وذهب غيره إلى أنه إنما كره له الوقوف على يعصهما
وقول أبي سليمان أصح لما روي في الحديث الصحيح أنه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم
يذكر الوقوف على يعصهما وقد اختلف المفسرون وأصحاب المعاني في قوله تعالى إن الله
وملائكته يصلون على النبي هل يصلون راجعة إلى الله تعالى والملائكة أم لا فأجازه
بعضهم ومنعه آخرون لعلة التشريك وخصوا الضمير بالملائكة وقدروا الآية إن
الله يصلي وملائكته يصلون وقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال من فضيلتك
عند الله أن جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد أطاع الله وقد قال
تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآيتين روي أنه لما نزلت هذه الآية
قالوا إن محمدا يريد أن نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فأنزل الله تعالى قل
أطيعوا الله والرسول فقرن طاعته بطاعته رغما لهم وقد اختلف المفسرون في معنى
قوله تعالى في أم الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم فقال
أبو العالية والحسن البصري الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
وخيار أهل بيته وأصحابه حكاه عنهما أبو الحسن الماوردي وحكى مكي عنهما نحوه
وقال هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وحكى
أبو الليث السمرقندي مثله عن أبي العالية في قوله صراط الذين أنعمت عليهم قال فبلغ
ذلك الحسن فقال صدق والله ونصح وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين
أنعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد وحكى أبو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم
في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى أنه محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل الإسلام وقيل شهادة التوحيد وقال سهل في قوله تعالى وإن تعدوا نعمة
الله لا تحصوها قال نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال تعالى والذي جاء

بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون الآيتين أكثر المفسرين على أن الذي جاء بالصدق هو
محمد صلى الله عليه وسلم قال بعضهم وهو الذي صدق به وقرئ صدق بالتخفيف وقال
غيرهم الذي صدق به المؤمنون وقيل أبو بكر وقيل علي وقيل غير هذا من الأقوال وعن مجاهد في
قوله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله عليه وسلم

الفصل الثاني

في وصفه تعالى بالشهادة وما يتعلق بها من الثناء والكرامة قال الله تعالى يا أيها النبي إنا أرسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية جمع الله تعالى له في هذه الآية ضروبا من رتب الأثرة وجملة أوصاف
من المدحة فجعله شاهدا على أمته لنفسه بإبلاغهم الرسالة وهي من خصائصه عليه السلام
ومبشرا لأهل طاعته ونذيرا لأهل معصيته وداعيا إلى توحيده وعبادته وسراجا منيرا
يهتدى به للحق حدثنا الشيخ أبو محمد بن عتاب رحمه الله ثنا أبو القاسم حاتم بن محمد ثنا أبو ا
لحسن القابسي ثنا أبو زيد المروزي ثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف ثنا البخاري ثنا محمد بن سنان ثنا
فليح ثنا هلال عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت أخبرني عن صفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن
يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي
سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن أي رافع صوته
يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به
أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وذكر مثله عن عبد الله بن سلام وكعب الأحبار وفي بعض
طرقه عن ابن إسحاق ولا صخب في الأسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا أسدده لكل جميل
وأهب له كل خلق كريم أجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله
والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى
إمامه والإسلام ملته وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع
به بعد الخمالة وأسمي به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغني به بعد العيلة وأجمع به بعد

الفرقة وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأهواء متشتتة وأمم متفرقة وأجعل أمته خير أمة أخرجت
للناس وفي حديث آخر أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته في التوراة عبدي
أحمد المختار مولده بمكة ومهاجره بالمدينة أو قال طيبة أمته الحمادون لله على كل حال وقال
تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الآيتين وقد قال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الآية قال
السمرقندي ذكرهم الله منته أنه جعل رسوله رحيما بالمؤمنين رؤوفا لين الجانب ولو كان فظا
خشنا في القول لتفرقوا من حوله لكن جعله الله سمحا سهلا طلقا برا لطيفا هكذا قاله
الضحاك وقال تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيدا وفضل أمته بهذه الآية وفي قوله في الآية الأخرى وفي هذا
ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس وكذلك قوله فكيف إذا
جئنا من كل أمة بشهيد الآية وقوله وسطا أي عدلا خيارا ومعنى هذه الآية وكما هديناكم
فكذلك خصصناكم وفضلناكم بأن جعلناكم أمة خيارا عدولا لتشهدوا للأنبياء على أممهم
ويشهد لكم الرسول بالصدق قيل إن الله جل جلاله إذا سأل الأنبياء هل بلغتم فيقولون
نعم فيقول أممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد أمة محمد للأنبياء ويزكيهم
النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الآية إنكم حجة على كل من خالفكم والرسول حجة
عليكم حكاه السمرقندي وقال تعالى وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم
قال قتادة والحسن وزيد بن أسلم قدم صدق هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم
وعن الحسن أيضا هي مصيبتهم بنبيهم وعن أبي سعيد الخدري هي شفاعة نبيهم محمد
صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم وقال سهل بن عبد الله التستري هي
سابقة رحمة أودعها الله في محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن علي الترمذي هو إمام
الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل المجاب محمد صلى الله عليه وسلم
حكاه عنه السلمي

الفصل الثالث

فيما ورد في خطابه إياه مورد الملاطفة والمبرة من ذلك قوله تعالى عفا الله عنك
لم أذنت لهم قال أبو محمد مكي قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة أصلحك الله وأعزك الله وقال
عون بن عبد الله أخبره بالعفو قبل أن يخبره بالذنب حكى السمرقندي عن بعضهم
أن معناه عافاك الله يا سليم القلب لم أذنت لهم بالتخلف قال ولو بدأ النبي صلى الله
عليه وسلم بقوله لم أذنت لهم لخيف عليه أن ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام
لكن الله تعالى برحمته أخبره بالعفو حتى سكن قلبه ثم قال له لم أذنت لهم بالتخلف
حتى يتبين لك الصادق في عذره من الكاذب وفي هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا
يخفى على ذي لب ومن إكرامه إياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب
قال نفطويه ذهب ناس إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الآية وحاشاه
من ذلك بل كان مخيرا فلما أذن لهم أعلمه الله أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم وأنه
لا حرج عليه في الإذن لهم قال الفقيه القاضي أبو الفضل رحمه الله يجب على المسلم المجاهد
نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه أن يتأدب بآداب القرآن في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته
فهو عنصر المعارف الحقيقية وروضة الآداب الدينية والدنيوية وليتأمل هذه
الملاطفة في السؤال من رب الأرباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع ويستثير ما فيها
من الفوائد وكيف ابتدأ بالإكرام قبل العتب وآنس بالعفو قبل ذكر الذنب إن كان ثم ذنب
وقال تعالى ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا قال بعض المتكلمين
عاتب الله تعالى الأنبياء بعد الزلات وعاتب نبينا عليه وعليهم السلام قبل وقوعه
ليكون بذلك أشد انتهاء ومحافظة لشرائط المحبة وهذه غاية العناية ثم انظر كيف
بدأ بثباته وسلامته قبل ذكر ما عتبه عليه وخيف أن يركن إليه ففي أثناء عتبه براءته
وفي طي تخويفه تأمينه وكرامته ومثله قوله تعالى قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون
فإنهم لا يكذبونك الآية قال علي رضي الله عنه قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم

إنا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به فأنزل الله تعالى فإنهم لا يكذبونك الآية وروي أن
النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه جبريل عليه السلام فقال ما يحزنك
قال كذبني قومي فقال إنهم يعلمون أنك صادق فأنزل الله الآية ففي هذه الآية منزع لطيف
المأخذ من تسليته تعالى له عليه السلام وإلطافه في القول بأن قرر عنده أنه صادق
عندهم وأنهم غير مكذبين له معترفون بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا يسمونه
قبل النبوة الأمين فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذم
لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين فقال تعالى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فحاشاه
من الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب الآيات حقيقة الظلم إذ الجحد إنما يكون ممن علم
الشيء ثم أنكره كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ثم عزاه وآنسه بما
ذكره عمن قبله ووعده النصر بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك الآية فمن قرأ يكذبونك
بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا وقال الفراء والكسائي لا يقولون إنك كاذب وقيل
لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه ومن قرأ بالتشديد فمعناه لا ينسبونك إلى
الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك ومما ذكر من خصائصه وبر الله تعالى به أن الله تعالى خاطب
جميع الأنبياء بأسمائهم فقال يا آدم يا نوح يا إبراهيم يا داود يا عيسى يا زكريا يا يحيى ولم
يخاطب هو إلا يا أيها الرسول يا أيها النبي يا أيها المزمل يا أيها المدثر

الفصل الرابع

في قسمه تعالى بعظيم قدره قال الله تعالى لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون اتفق أهل التفسير
في هذا أنه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم وأصله ضم
العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك يا محمد وقيل وعيشك
وقيل وحياتك وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف قال ابن عباس ما خلق الله
وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله أقسم
بحياة أحد غيره قال أبو الجوزاء ما أقسم الله تعالى بحياة أحد غير محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أكرم

البرية عنده وقال تعالى يس والقرآن الحكيم الآيات اختلف المفسرون في معنى يس
على اقوال فحكى ابو محمد مكي انه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لي عند ربي عشرة اسما
ذكر ان منها طه ويس اسمان له وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق انه اراد يا
سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس يس يا انسان اراد محمدا صلى الله
عليه وسلم وقال هو قسم وهو من اسماء الله تعالى وقال الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل
يا رجل وقيل يا انسان وعن ابن الحنفية يس يا محمد وعن كعب يس قسم اقسم الله به قبل ان
يخلق السما والارض بالفي عام يا محمد انك لمن المرسلين ثم قال والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين
فان قدر انه من اسمائه صلى الله عليه وسلم وصح فيه انه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم
ويوكد فيه القسم عطف القسم الآخر عليه وان كان بمعنى الندا فقد جا قسم آخر بعده
لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته اقسم تعالى باسمه وكتابه انه من المرسلين بوحيه الى
عباده وعلى صراط مستقيم من ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال
النقاش لم يقسم الله تعالى لاحد من انبيائه بالرسالة في كتابه الا له وفيه من تعظيمه وتمجيده على
تاويل من قال انه يا سيد ما فيه وقد قال عليه السلام انا سيد ولد آدم وقال تعالى لا اقسم
بهذا البلد وانت حل بهذا البلد قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكي
وقيل لا زائدة اي اقسم به وانت به يا محمد حلال لك او حل لك ما فعلت فيه على التفسيرين
والمراد بالبلد عند هؤلا مكة وقال الواسطي اي نحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك
فيه حيا وببركتك ميتا يعني المدينة والاول اصح لان السورة مكية وما بعده يصححه قوله
وانت حل بهذا البلد ونحوه قول ابن عطا في تفسير قوله تعالى وهذا البلد الامين قال امنها الله
بمقامه فيها وكونه بها فان كونه امان حيث كان ثم قال ووالد وما ولد من قال اراد آدم فهو
عام ومن قال هو ابراهيم وما ولد فهي ان شا الله اشارة الى محمد صلى الله عليه وسلم فتتضمن
السورة القسم به في موضعين وقال تعالى الم ذلك الكتاب قال ابن عباس هذه الحروف اقسام

[هامش: قوله لا اقسم ... [illegible] ... هو كما ترى [illegible]]

[هامش: ثم من قال اراد آدم ... [illegible] ... كما ذكره [illegible]]

اقسم

اقسم الله بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك وقال سهل بن عبد الله التستري الالف هو
الله تعالى واللام جبريل والميم محمد صلى الله عليه وسلم وحكى هذا القول السمرقندي
ولم ينسبه الى سهل وجعل معناه الله انزل جبريل على محمد بهذا القرآن لا ريب فيه وعلى الوجه
الاول يحتمل القسم ان هذا الكتاب حق لا ريب فيه ثم فيه من فضيلة قران اسمه باسمه نحو
ما تقدم وقال ابن عطا في قوله تعالى ق والقرآن المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه صلى الله عليه
وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله وقيل هو اسم
للقرآن وقيل هو اسم لله وقيل جبل محيط بالارض وقيل غير هذا وقال جعفر بن
محمد في تفسير والنجم اذا هوى انه محمد صلى الله عليه وسلم وقال النجم قلب محمد
صلى الله عليه وسلم هوى انشرح من الانوار وقال انقطع عن غير الله وقال ابن عطا في قوله
تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لان منه تفجر الايمان

الفصل الخامس

في قسمه تعالى جده له لتحقق مكانته عنده قال تعالى والضحى والليل اذا سجى السورة اختلف
في سبب نزول هذه السورة فقيل كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر
نزل به فتكلمت امرأة في ذلك بكلام وقيل بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت السورة
قال الفقيه القاضي رحمه الله تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى له وتنويهه به
وتعظيمه اياه ستة وجوه **الاول** القسم له عما اخبره به من حاله بقوله والضحى والليل
اذا سجى اي ورب الضحى وهذا من اعظم درجات المبرة **الثاني** بيان مكانته عنده وحظوته
لديه بقوله ما ودعك ربك وما قلى اي ما تركك وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد ان
اصطفاك **الثالث** قوله وللآخرة خير لك من الاولى قال ابن اسحاق اي ما لك في مرجعك
عند الله اعظم مما اعطاك من كرامة الدنيا وقال سهل اي ما ذخرت لك من الشفاعة
والمقام المحمود خير لك مما اعطيتك في الدنيا **الرابع** قوله ولسوف يعطيك
ربك فترضى وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة وشتات

الانعام في الدارين والزيادة قال ابن اسحاق يرضيه بالفلج في الدنيا والثواب في الآخرة
وقيل يعطيه الشفاعة والحوض وروي عن بعض آل النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ليس في القرآن آية ارجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل احد من
امته النار **الخامس** ما عده عليه من نعمه وقرره من الآية قبله وفي بقية السورة من
هدايته الى ما هداه له او هداية الناس به على اختلاف التفاسير ولا مال له فاغناه بما
آتاه او بما جعله في قلبه من القناعة ويتيما فحدب عليه عمه وآواه اليه وقيل آواه
الى الله وقيل يتيما لا مثال لك فآواك اليه وقيل المعنى الم يجدك فهدى بك ضالا واغنى
بك عائلا وآوى بك يتيما ذكره بهذه المنن وانه على المعلوم من التفسير لم يهمله في حال
صغره وعيلته ويتمه وقبل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه فكيف بعد اختصاصه
واصطفائه **السادس** امره باظهار نعمه عليه وشكر ما شرفه به بنشره واشادة
ذكره بقوله واما بنعمة ربك فحدث فان من شكر النعمة الحديث بها وهذا خاص له
عام لامته وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى
اختلف المفسرون في قوله تعالى والنجم باقاويل معروفة منها النجم على ظاهره ومنها
القرآن وعن جعفر بن محمد انه محمد عليه السلام وقال هو قلب محمد صلى الله عليه وسلم
وقد قيل في قوله والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب هنا ايضا محمد
صلى الله عليه وسلم حكاه السلمي تضمنت هذه الآيات من فضله وشرفه العد
ما يقف دونه العد واقسم جل اسمه على هداية المصطفى وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما
تلاه وانه وحي يوحى اوصله اليه عن الله تعالى جبريل وهو الشديد القوى ثم اخبر تعالى عن
فضيلته بقصة الاسراء وانتهائه الى سدرة المنتهى وتصديق بصره فيما رأى وانه
رأى من آيات ربه الكبرى وقد نبه على مثل هذا تعالى في اول سورة الاسراء ولما كان ما كاشفه
عليه السلام من ذلك الجبروت وشاهده من عجائب الملكوت لا تحيط به

العبارات ولا تستقل بحمل سماع ادناه العقول رمز عنه تعالى بالايماء والكناية
الدالة على التعظيم فقال تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى وهذا النوع من الكلام
يسميه اهل النقد والبلاغة بالوحي والاشارة وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز
وقال لقد رأى من آيات ربه الكبرى انحسرت الافهام عن تفصيل ما اوحى وتاهت الاحلام
في تعيين تلك الآيات الكبرى قال القاضي ابو الفضل واشتملت هذه الآيات على اعلام الله تعالى
بتزكية جملته عليه السلام وعصمتها من الآفات في هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه
قلبه بقوله ما كذب الفؤاد ما رأى ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله
ما زاغ البصر وما طغى وقال تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الى قوله وما هو بقول
شيطان رجيم لا اقسم اي اقسم انه لقول رسول كريم عند مرسله ذي قوة على تبليغ ما
حمله من الوحي مكين اي متمكن المنزلة من ربه رفيع المحل عنده مطاع ثم اي في السماء
امين على الوحي قال علي بن عيسى وغيره الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم فجميع
الاوصاف بعد هذا له وقال غيره هو جبريل عليه السلام فترجع الاوصاف اليه ولقد
رآه يعني محمدا قيل رأى ربه وقيل رأى جبريل في صورته وما هو على الغيب بظنين اي
بمتهم ومن قرأه بالضاد فمعناه ما هو ببخيل بالدعاء والتذكير بحكمه وعلمه وهذه
لمحمد عليه السلام باتفاق وقال تعالى ن والقلم وما يسطرون الآيات اقسم تعالى
بما اقسم به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم
له وآنسه وبسط امله بقوله محسنا خطابه ما انت بنعمة ربك بمجنون وهذه نهاية
المبرة في المخاطبة واعلى درجات الآداب في المحاورة ثم اعلمه بما له عنده من نعيم دائم
وثواب غير منقطع لا يأخذه عد ولا يمتن به عليه فقال وان لك لاجرا غير ممنون
ثم اثنى عليه بما منحه من هباته وهداه اليه واكد ذلك تتميما للتمجيد بحرف التأكيد
فقال وانك لعلى خلق عظيم قيل القرآن وقيل الاسلام وقيل الطبع الكريم وقيل

ليس لك همة إلا الله تعالى قال الواسطي أثنى عليه بحسن قبوله لما أسداه إليه من نعمه وفضله
بذلك على غيره لأنه جبله على ذلك الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد الذي
يسر للخير وهدى إليه ثم أثنى على فاعله وجازاه عليه سبحانه ما أغمر نواله وأوسع
أفضاله ثم سلاه عن قولهم بعد هذا بما وعده به من عقابهم وتوعدهم بقوله فستبصر
ويبصرون الثلاث الآيات ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد
معايبه متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه فذكر بضع عشرة خصلة من
خصال الذم فيه بقوله فلا تطع المكذبين إلى قوله أساطير الأولين ثم ختم ذلك
بالوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله سنسمه على الخرطوم فكانت
نصرة الله تعالى له أتم من نصرته لنفسه ورده تعالى على عدوه أبلغ من رده وأثبت
في ديوان مجده

فيما ورد من قوله تعالى في جهته عليه السلام

مورد الشفقة والإكرام قال تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى قيل طه اسم
من أسمائه عليه السلام وقيل هو اسم لله تعالى وقيل معناه يا رجل وقيل يا إنسان
وقيل هي حروف مقطعة لمعان قال الواسطي أراد يا طاهر يا هاد وقيل هو أمر
من الوطء والهاء كناية عن الأرض أي اعتمد على الأرض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد
على قدم واحدة وهو قوله تعالى ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى نزلت الآية فيما كان
النبي صلى الله عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل أخبرنا القاضي
أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضي أبي الوليد الباجي إجازة ومن أصله
نقلت ثنا أبو ذر الحافظ ثنا أبو محمد الحموي ثنا إبراهيم بن خزيم الشاشي ثنا عبد بن حميد ثنا
هاشم بن القاسم عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى
قام على رجل ورفع الأخرى فأنزل الله تعالى طه يعني طأ الأرض يا محمد ما أنزلنا عليك
القرآن لتشقى ولا خفاء بما في هذا كله من الإكرام وحسن المعاملة وإن جعلنا طه

من

من أسمائه عليه السلام كما قيل أو جعلت قسما لحق الفضل بما قبله ومثل هذا
من نمط الشفقة والمبرة قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا
الحديث أسفا أي قاتل نفسك لذلك غضبا أو غيظا أو جزعا ومثله أيضا قوله تعالى لعلك باخع
نفسك ألا يكونوا مؤمنين ثم قال إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت
أعناقهم لها خاضعين ومن هذا الباب قوله تعالى فاصدع بما تؤمر وأعرض عن
المشركين إلى قوله تعالى ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون إلى آخر السورة وقوله
تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية قال مكي سلاه تعالى بما ذكر وهون عليه
ما يلقى من المشركين وأعلمه أن من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله ومثل هذه التسلية
قوله تعالى وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ومن هذا قوله تعالى كذلك ما أتى الذين
من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون عزاه الله تعالى بما أخبر به عن الأمم السالفة
ومقالها لأنبيائهم قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة وأنه
ليس أول من لقي ذلك ثم طيب نفسه وأبان عذره بقوله تعالى فتول عنهم أي أعرض عنهم
فما أنت بملوم أي في أداء ما بلغت وإبلاغ ما حملت ومثله قوله تعالى فاصبر لحكم ربك
فإنك بأعيننا أي اصبر على أذاهم فإنك بحيث نراك ونحفظك سلاه الله تعالى بهذا في
آي كثيرة من هذا المعنى

فيما أخبر الله به في كتابه

العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته على الأنبياء عليهم السلام وحظوة رتبته
قوله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة إلى قوله من الشاهدين
قال أبو الحسن القابسي استخص الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بفضل لم يؤته
غيره أبانه به وهو ما ذكره في هذه الآية قال المفسرون أخذ الله الميثاق بالوحي فلم
يبعث نبيا إلا ذكر له محمدا ونعته وأخذ عليه ميثاقه إن أدركه ليؤمنن به وقيل
أن يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم أن يبينوه لمن بعدهم وقوله ثم جاءكم الخطاب

لأهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لم
يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده الا اخذ عليه العهد بذلك على قومه ونحوه عن السدي
وقتادة في آي تضمنت فضله من غير وجه واحد قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية وقال انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الى قوله وكذا روي
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال في كلام بكى به النبي صلى الله عليه وسلم فقال بابي
انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك اخر الانبياء وذكرك
في اولهم فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية بابي انت وامي يا رسول
الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها
يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا قال قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال كنت اول الانبياء في الخلق واخرهم في البعث فلذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح
وغيره قال السمرقندي في هذا تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم
وهو اخرهم المعنى اخذ الله عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهر ادم كالذر وقال تعالى تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض الاية قال اهل التفسير اراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا صلى
الله عليه وسلم لانه بعث الى الاحمر والاسود واحلت له الغنائم وظهرت على يديه المعجزات
وليس احد من الانبياء عليهم السلام اعطي فضيلة او كرامة الا وقد اعطي محمد صلى الله عليه
وسلم مثلها قال بعضهم ومن فضله ان الله تعالى خاطب الانبياء عليهم السلام باسمائهم
وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه فقال يا ايها النبي ويا ايها الرسول وحكى السمرقندي
عن الكلبي في قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم ان الهاء عائدة على محمد صلى الله عليه وسلم
اي من شيعة محمد لابراهيم اي على دينه ومنهاجه واجازه الفراء وحكاه عن مكي وقيل
المراد نوح عليه السلام

في اعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته له ودفعه العذاب بسببه قال الله

تعالى

تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اي ما كنت بمكة فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة
وبقي فيها من بقي من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وهذا مثل قوله
تعالى لو تزيلوا الاية وقوله ولولا رجال مؤمنون الاية فلما هاجر المؤمنون نزلت وما لهم الا
يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وهذا من ابين ما يظهر مكانته صلى الله عليه
وسلم ودرءه العذاب عن اهل مكة بسبب كونه ثم كون اصحابه بعده بين اظهرهم فلما
خلت مكة منهم عذبهم بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم اياهم وحكم فيهم سيوفهم
واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم وفي الاية ايضا تاويل اخر حدثنا القاضي الشهيد ابو
علي رحمه الله بقراءتي عليه ثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي قالا ثنا ابو يعلى بن
زوج الحرة ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب المروزي ثنا ابو عيسى الحافظ ثنا سفين
بن وكيع ثنا ابن نمير عن اسماعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن ابي بردة بن ابي
موسى عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الله علي امانين لامتي وما كان
الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت
تركت فيكم الاستغفار ونحو منه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
قال عليه السلام انا امان لاصحابي قيل من البدع وقيل من الاختلاف والفتن قال
بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم هو الامان الاعظم ما عاش وما دامت سنته باقية
فهو باق فاذا اميتت سنته فانتظر البلاء والفتن وقال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون
على النبي الاية ابان الله تعالى فضل نبيه صلى الله عليه وسلم بصلاته عليه ثم بصلاة ملائكته
وامر عباده بالصلاة والتسليم عليه والصلاة من الملائكة ومنا له دعاء ومن الله رحمة
وقيل يصلون يباركون وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم حين علم الصلاة عليه بين لفظ
الصلاة والبركة وسنذكر حكم الصلاة عليه وذكر بعض المتكلمين في تفسير حروف
كهيعص ان الكاف من كاف اي كفاية الله تعالى لنبيه قال اليس الله بكاف

عبده وألهاه الهداية له قال ويهديك صراطا مستقيما والنبأ تأييده قال تعالى وأيدك بنصره
والعين عصمته له قال والله يعصمك من الناس والصلاة قال صلاته عليه قال إن الله وملائكته
يصلون على النبي وقال تعالى وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه الآية مولاه أي وليه وصالح
المؤمنين قيل الأنبياء وقيل الملائكة وقيل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وقيل علي رضي الله عنه
وقيل المؤمنون على ظاهرهم

فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته

قال الله تعالى إنا فتحنا لك فتحا مبينا إلى قوله يد الله فوق أيديهم تضمنت هذه الآيات من فضله
والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن الانتهاء إليه
فابتدأ جل جلاله بإعلامه بما قضاه الله له من القضاء البين بظهوره وغلبته على عدوه وعلو
كلمته وشريعته وأنه مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما يكون قال بعضهم أراد غفران ما
وقع وما لم يقع أي أنك مغفور لك وقال مكي جعل المنة سببا للمغفرة وكل
من عنده لا إله غيره منة بعد منة وفضلا بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك قيل
بخضوع من تكبر لك وقيل بفتح مكة والطائف وقيل رفع ذكرك في الدنيا وينصرك ويغفر
لك فأعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه له وفتح أهم البلاد عليه وأحبها
له ورفع ذكره وهدايته الصراط المستقيم المبلغ الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز
ومنته على أمته المؤمنين بالسكينة والطمأنينة التي جعلها في قلوبهم وبشارتهم بما لهم
بعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر لذنوبهم وهلاك عدوه في الدنيا والآخرة
ولعنهم وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
الآية فعدد محاسنه وخصائصه من شهادته على أمته لنفسه بتبليغه الرسالة
لهم وقيل شاهدا لهم بالتوحيد ومبشرا لهم بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا عدوه
بالعذاب وقيل محذرا من الضلالات لتؤمنوا بالله ثم به من سبقت له من الله الحسنى
وتعزروه أي تجلونه وقيل تنصرونه وقيل تبالغون في تعظيمه وتوقروه أي تعظمونه وقرأه

بعضهم

بعضهم تعزروه بزايين من العز والأكثر والأظهر أن هذا في حق محمد صلى الله عليه
وسلم ثم قال وتسبحوه فهذا راجع إلى الله قال ابن عطاء جمع للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه
السورة نعم مختلفة من الفتح المبين وهو من أعلام الإجابة والمغفرة وهي من أعلام
المحبة وتمام النعمة وهي من أعلام الاختصاص والهداية وهي من أعلام الولاية فالمغفرة
تبرئة من العيوب وتمام النعمة بلاغ الدرجة الكاملة والهداية وهي الدعوة إلى المشاهدة
وقال جعفر بن محمد من تمام نعمته عليه أن جعله حبيبه وأقسم بحياته ونسخ به شرائع
غيره وعرج به إلى المحل الأعلى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى وبعثه إلى
الأسود والأحمر وأحل له ولأمته الغنائم وجعله شفيعا مشفعا وسيد ولد آدم
وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله أحد ركني التوحيد ثم قال إن الذين
يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم يعني بيعة الرضوان أي إنما يبايعون الله
ببيعتهم إياك يد الله فوق أيديهم يريد عند البيعة قيل قوة الله وقيل ثوابه وقيل منته
وقيل عقده وهذه استعارة وتجنيس في الكلام وتأكيد لعقد بيعتهم إياه
وعظم شأن المبايع صلى الله عليه وسلم وقد يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم
ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وإن كان الأول في باب المجاز وهذا
في باب الحقيقة لأن القاتل والرامي بالحقيقة هو الله وهو خالق فعله ورميه وقدرته
عليه ومسببه ولأنه ليس في قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت حتى لم
يبق منهم من لم تملأ عينيه وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة وقد قيل في هذه الآية
الأخرى إنها على المجاز العربي ومقابلة اللفظ ومناسبته أي ما قتلتموهم وما رميتهم
أنت إذ رميت وجوههم بالحصا والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع أي أن
منفعة الرمي كانت من فعل الله فهو القاتل والرامي بالمعنى وأنت بالاسم ○

فيما أظهره الله من كتابه العزيز من كرامته عليه

ومكانته عنده وما خصه به من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل من ذلك ما نصه
تعالى من قصة الاسرا في سورة سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة من عظيم
منزلته وقربه ومشاهدة ما شاهد من العجائب ومن ذلك عصمته من الناس
بقوله والله يعصمك من الناس وقوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الاية
وقوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله وما دفع الله به عنه في هذه القصة من اذاهم
بعد تحزبهم لهلكه وخلوصهم نجيا في امره والاخذ على ابصارهم عند خروجه عليهم
وذهولهم عن طلبه في الغار وما ظهر في ذلك من الايات ونزول السكينة عليه
وقصة سراقة بن مالك حسب ما ذكره اهل الحديث والسير في قصة الغار وحديث
الهجرة ومنه قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو
الابتر اعلمه الله تعالى بما اعطاه والكوثر حوضه وقيل نهر في الجنة وقيل الخير
الكثير وقيل الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة ثم
اجاب عنه عدوه ورد عليه قوله تعالى ان شانئك هو الابتر اي عدوك ومبغضك
والابتر الحقير الذليل او المفرد الوحيد او الذي لا خير فيه وقال تعالى ولقد
اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم قيل السبع المثاني السور الطوال الاول
والقران العظيم ام القران وقيل السبع المثاني ام القران والقران العظيم سائره
وقيل السبع المثاني ما في القران من امر ونهي وبشرى وانذار وضرب مثل واعداد نعم
وانبائك نبا القران العظيم وقيل سميت ام القران مثاني لانها تثنى في كل ركعة
وقيل بل الله استثناها لمحمد صلى الله عليه وسلم وذخرها له دون الانبيا عليهم
السلام وسمى القران مثاني لان القصص تثنى فيه وقيل السبع المثاني اكرمناك
بسبع كرامات الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة
وقال تعالى وانزلنا اليك الذكر الاية وقال تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا

ونذيرا

ونذيرا وقال تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الاية قال الفقيه القاضي
رضي الله عنه فهذه من خصائصه وقال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان
قومه ليبين لهم فخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة كما قال
عليه السلام بعثت الى الاحمر والاسود وقال تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم
اي ما انفذه فيهم من امر فهو ماض عليهم كما يمضي حكم السيد على عبده وقيل اتباع امره
اولى من اتباع راي النفس وازواجه امهاتهم اي هن في الحرمة كالامهات حرم نكاحهن عليهم
بعده تكرمة له وخصوصية ولانهن له ازواج في الاخرة وقد قرئ وهو اب لهم ولا
يقرا به الان لمخالفته المصحف وقال تع وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الاية قيل فضله
العظيم بالنبوة وقيل بما سبق له في الازل واشار الواسطي الى انها اشارة الى احتمال الروية
التي لم يحتملها موسى صلى الله عليهما

في تكميل الله تع له
المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا اعلم
ايها المحب لهذا النبي الكريم الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم ان خصال الجلال
والكمال في البشر نوعان ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة الحياة الدنيا
ومكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله ويقرب الى الله تعالى زلفى ثم هي على فنين ايضا
منهما ما يتخلص لاحد الوصفين ومنها ما يتمازج ويتداخل فاما الضروري المحض فما ليس
للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته وجمال صورته وقوة
عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه واعضائه واعتدال حركاته وشرف
نسبه وعزة قومه وكرم ارضه ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته اليه من غذائه ونومه وملبسه
ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه وقد تلحق هذه الخصال الاخيرة بالاخروية
اذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقها وكانت على حدود الضرورة وقوانين
الشريعة واما المكتسبة الاخروية فسائر الاخلاق العلية والاداب الشرعية

الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود
والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الادب والمعاشرة
واخواتها وهي التي جماعها حسن الخلق وقد تكون من هذه الاخلاق ما هو في الغريزة
واصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها ولكنه لا بد ان تكون فيه
من اصولها في اصل الجبلة شعبة كما سنبينه ان شاء الله تعالى وتكون هذه الاخلاق
دنيوية اذا لم يرد بها وجه الله والدار الآخرة ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق
اصحاب العقول السليمة وان اختلفوا في موجب حسنها وتفضيلها

اذا كانت خصال الجلال والكمال ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يتشرف بواحدة منها
او اثنتين ان اتفقت له في كل عصر واوان اما من نسب او جمال او قوة او علم او حلم او شجاعة او
سماحة حتى يعظم قدره وتضرب باسمه الامثال وتتقرر له بالوصف بذلك في القلوب اثرة
وعظمة وهو منذ عصور خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه
الخصال الى ما لا ياخذه عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة الا بتخصيص
الكبير المتعال من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء والاسراء والرؤية
والقرب والدنو والوحي والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود
والبراق والمعراج والبعث الى الاحمر والاسود والصلاة بالانبياء عليهم السلام والشهادة
بين الانبياء والامم وسيادة ولد آدم ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند ذي
العرش والطاعة ثم والامانة والهداية ورحمة للعالمين واعطاء الرضى والسؤل والكوثر
وسماع القول واتمام النعمة والعفو عما تقدم وتاخر وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع
الذكر وعزة النصر ونزول السكينة والتاييد بالملائكة وايتاء الكتاب والحكمة والسبع
المثاني والقرآن العظيم وتزكية الامة والدعاء الى الله تعالى وصلاة الله والملائكة والحكم بين
الناس بما اراه الله ووضع الاصر والاغلال عنهم والقسم باسمه واجابة دعوته وتكليم

الجمادات

الجمادات والعجم واحياء الموتى واسماع الصم ونبع الماء من بين اصابعه وتكثير القليل وانشقاق
القمر ورد الشمس وقلب الاعيان والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب وظل الغمامة
وتسبيح الحصا وابراء الآلام والعصمة من الناس الى ما لا يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه
الا مانحه ذلك ومفضله به لا اله غيره الى ما اعد له في الدار الآخرة من منازل الكرامة ودرجات
القدس ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول ويحار دون ادانيها
الوهم

ان قلت اكرمك الله لا خفاء على القطع بالجملة انه صلى
الله عليه وسلم اعلى الناس قدرا واعظمهم محلا واكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت
في تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا شوقني الى ان اقف عليها من اوصافه صلى الله
عليه وسلم تفصيلا فاعلم نور الله قلبي وقلبك وضاعف في هذا النبي الكريم حبي
وحبك انك اذا نظرت الى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته
حائزا لجميعها محيطا بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الاخبار لذلك بل قد بلغ
بعضها مبلغ القطع اما الصورة وجمالها وتناسب اعضائه في حسنها فقد جاءت الآثار
الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث علي وانس بن مالك وابي هريرة والبراء بن
عازب وعائشة ام المؤمنين وابن ابي هالة وابي جحيفة وجابر بن سمرة وام معبد وابن عباس
ومعرض بن معيقيب وابي الطفيل والعداء بن خالد وخريم بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم من
انه صلى الله عليه وسلم كان ازهر اللون ادعج انجل اشكل اهدب الاشفار ابلج افلج
مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية تملا صدره سواء البطن والصدر واسع الصدر عظيم المنكبين
ضخم العظام عبل العضدين والذراعين والاسافل رحب الكفين والقدمين سائل الاطراف
انور المتجرد دقيق المسربة ربعة القد ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد ومع
ذلك فلم يكن يماشيه احد ينسب الى الطول الا طاله صلى الله عليه وسلم رجل الشعر
اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام اذا تكلم رئي كالنور يخرج

من ثناياه احسن الناس عنقا ليس بمطهم ولا مكلثم متماسك البدن ضرب اللحم
قال البراء ما رايت من ذي لمة في حلة حمراء احسن من رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ابو هريرة ما رايت شيئا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس
تجري في وجهه واذا ضحك يتلالا في الجدر وقال جابر بن سمرة وقال له رجل كان وجهه صلى الله
عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وقالت ام معبد
في بعض ما وصفته به اجمل الناس من بعيد واحلاه واحسنه من قريب وفي حديث ابن
ابي هالة يتلالا وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر وقال علي رضي الله عنه في اخر وصفه له من
راه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله صلى
الله عليه وسلم والاحاديث في بسط صفته مشهورة كثيرة فلا نطول بسردها وقد اختصرنا
نكت ما جاء فيها وجملة مما فيه الكفاية في القصد الى المطلوب وختمنا هذه الفصول
بحديث جامع لذلك نقف عليه ان شا الله

واما نظافة جسمه وطيب
ريحه وعرقه ونزاهته عن الاقذار وعورات الجسد فكان قد خصه الله في ذلك
بخصائص لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشر وقال
صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة حدثنا سفين بن العاصي وغير واحد
قالوا نا احمد بن عمر نا ابو العباس الرازي نا ابو احمد الجلودي نا ابن سفين نا مسلم
نا قتيبة نا جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس قال ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئا
اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم مسح خده
قال فوجدت ليده بردا وريحا كانما اخرجها من جونة عطار قال غيره مسها بطيب او لم
يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان
بريحها ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار انس فعرق فجاءت امه بقارورة تجمع فيها
عرقه فسالها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله في طيبنا وهو اطيب الطيب

وذكر

وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه
احد الا عرف انه سلكه من طيبه ذكر اسحاق بن راهويه ان تلك كانت رائحته بلا طيب
صلى الله عليه وسلم وروى المزني عن جابر اردفني النبي صلى الله عليه وسلم خلفه فالتقمت خاتم
النبوة بفمي فكان ينم علي مسكا وقد حكى بعض المعتنين باخباره وشمائله صلى الله عليه وسلم انه
كان اذا اراد ان يتغوط انشقت الارض فابتلعت غائطه وبوله وفاحت لذلك رائحة طيبة
صلى الله عليه وسلم واسند محمد بن سعد كاتب الواقدي في هذا خبرا عن عائشة وانها
قالت للنبي صلى الله عليه وسلم انك تاتي الخلا ولا نرى لك شيئا من الاذى فقال يا عائشة
او ما علمت ان الارض تبتلع ما يخرج من الانبياء فلا يرى منه شيء وهذا الخبر وان لم يكن
مشهورا فقد قال قوم من اهل العلم بطهارة الحدثين منه صلى الله عليه وسلم وهو قول
بعض اصحاب الشافعي حكاه الامام ابو نصر بن الصباغ في شامله وقد حكى القولين في ذلك
عن العلما ابو بكر بن سابق المالكي في كتابه البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم منها على
مذهبهم من تفاريع الشافعية وشاهد هذا انه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شيء يكره ولا
غير طيب ومنه حديث علي رضي الله عنه غسلت النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت انظر ما
يكون من الميت فلم اجد شيئا فقلت طبت حيا وميتا قال وسطعت منه ريح طيبة لم نجد مثلها
قط ومثله قال ابو بكر رضي الله عنه حين قبل النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ٥ ومنه شرب مالك
ابن سنان دمه يوم احد ومصه اياه وتسويغه صلى الله عليه وسلم له ذلك وقوله لن تصيبه
النار ومثله شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته فقال له عليه السلام ويل لك من الناس وويل لهم منك
ولم ينكر عليه وقد روي نحو من هذا عنه في امراة شربت بوله فقال لها لن تشتكي وجع بطنك ابدا
ولم يامر واحدا منهم بغسل فم ولا نهاه عن عودة وحديث هذه المراة التي شربت بوله صحيح
الزم الدارقطني مسلما والبخاري اخرجه في الصحيح واسم هذه المراة بركة واختلف في نسبها وقيل
هي ام ايمن وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم قالت وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان

يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فسأل
بركة عنه فقالت قمت وانا عطشانة فشربته وانا لا اعلم روى حديثها ابن جريج وغيره وكان
صلى الله عليه وسلم في بعض الروايات قد ولد مختونا مقطوع السرة وروى عن امه آمنة انها
قالت ولدته نظيفا ما به قذر وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت فرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم قط وعن علي رضي الله عنه اوصاني النبي صلى الله عليه وسلم لا يغسله
غيري فانه لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه وفي حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله
عنه انه صلى الله عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط فقام فصلى ولم يتوضا قال عكرمة لانه
كان صلى الله عليه وسلم محفوظا وأما وفور عقله وذكاء لبه وقوة حواسه
وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية انه كان اعقل الناس واذكاهم ومن تامل
تدبيره امر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة مع عجيب شمائله وبديع سيره
فضلا عما افاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة
للكتب منه لم يمتر في رجحان عقله وثقوب فهمه لاول بديهة وهذا مما لا يحتاج الى تقرير لتحقيقه
وقد قال وهب بن منبه قرأت في احدى وسبعين كتابا فوجدت في جميعها ان النبي صلى الله عليه
وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رأيا وفي رواية اخرى فوجدت في جميعها ان الله تعالى لم يعط
جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة
رمل من بين رمال الدنيا وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام في الصلوة يرى
من خلفه كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله تعالى وتقلبك في الساجدين وفي الموطأ عنه عليه
السلام اني لاراكم من وراء ظهري ونحوه عن انس في الصحيحين وعن عائشة رضي الله عنها
مثله قالت زيادة زاده الله اياها في حجته وفي بعض الروايات اني لانظر من ورائي كما انظر الى
من بين يدي وفي اخرى اني لابصر من قفاي كما ابصر من بين يدي وحكى بقي بن مخلد
عن عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء

والاخبار

والاخبار كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله عليه وسلم للملائكة والشياطين ورفع النجاشي له
حتى صلى عليه وبيت المقدس حين وصفه لقريش والكعبة حين بنى مسجده وقد حكي انه كان يرى
في الثريا احد عشر نجما وهذه كلها محمولة على رؤية العين وهو قول احمد بن حنبل وغيره وذهب
بعضهم الى ردها الى العلم والظواهر تخالفه ولا احالة في ذلك وهي من خواص الانبياء وخصالهم
كما اخبرنا ابو محمد عبد الله بن احمد العدل من كتابه نا ابو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتنا ام القاسم
بنت ابي بكر عن ابيها نا الشريف ابو الحسن علي بن محمد الحسني نا محمد بن محمد بن سعيد
نا محمد بن احمد بن سليمان نا محمد بن مرزوق نا همام نا الحسن عن قتادة عن يحيى بن
وثاب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى الله لموسى عليه السلام كان
يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا ان يختص نبينا بما
ذكرناه من هذا الباب بعد الاسراء والحظوة بما رأى من آيات ربه الكبرى وقد جاءت
الاخبار بانه صرع ركانة اشد اهل وقته وكان دعاه الى الاسلام وصارع ابا ركانة في الجاهلية
وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ابو هريرة ما رأيت احدا اسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيه كانما الارض تطوى
له انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث وفي صفته ان ضحكه كان تبسما اذا التفت
التفت معا واذا مشى مشى تقلعا كانما ينحط من صبب
وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل
الافضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وايجاز مقطع ونصاعة لفظ
وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف اوتي جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم السنة
العرب فكان يخاطب كل امة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان
كثير من اصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تأمل حديثه وسيره علم ذلك
وتحققه وليس كلامه مع قريش والانصار واهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار

الهمداني وطهفة النهدي وقطن بن حارثة العليمي والاشعث بن قيس ووايل بن حجر الكندي
وغيرهم من اقيال حضرموت وملوك اليمن وانظر كتابه الى همدان ان لكم فراعها ووهاطها
وعزازها تاكلون علافها وترعون عفاها لنا من دفيهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة
ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش الحوري وعليهم
فيها الصالغ والقارح وقوله لنهد اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث
راعيها في الدثر وافجر له الثمد وبارك له في المال والولد من اقام الصلاة كان مسلما ومن اتى
الزكاة كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودائع الشرك
ووضايع الملك لا تلطط في الزكاة ولا تلحد في الحياة ولا تتثاقل عن الصلوات وكتب لهم في
الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم
ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الرماق وتاكلوا الرباق من اقر فله الوفا بالعهد
والذمة ومن ابى فعليه الربوة ومن كتابه لوايل بن حجر الى الاقيال العباهلة والارواع المشابيب
وفيه في التيعة شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة وفي السيوب الخمس
ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالاضاميم
ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرايض الله وكل مسكر حرام ووايل بن حجر يترفل على الاقيال اين
هذا من كتابه لانس في الصدقة المشهور لما كان كلام هولاء على هذا الحد وبلاغتهم على هذا
النمط واكثر استعمالهم هذه الالفاظ استعملها معهم ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث
الناس بما يعلمون وكقوله في حديث عطية السعدي فان اليد العليا هي المنطية واليد
السفلى هي المنطاة قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله في حديث
العامري حين ساله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سل عنك اي سل عما شيت
وهي لغة بني عامر واما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه
الماثورة فقد الف الناس فيها الدواوين وجمعت في الفاظها ومعانيها الكتب ومنها

ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله المسلمون تتكافا دماوهم ويسعى بذمتهم
ادناهم وهم يد على من سواهم وقوله الناس كاسنان المشط والمرء مع من احب ولا
خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له والناس معادن وما هلك امرء عرف قدره
المستشار موتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت
فسلم وقوله اسلم تسلم واسلم يوتك الله اجرك مرتين وان احبكم الى الله واقربكم مني مجالس
يوم القيمة احاسنكم اخلاقا الموطوون اكنافا الذين يالفون ويولفون وقوله لعله كان
تكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله تعالى
وجيها ونهيه عن قيل وقال وكثرة السوال واضاعة المال ومنع وهات وعقوق الامهات
ووأد البنات وقوله اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس
بخلق حسن وخير الامور اوساطها وقوله احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك
يوما ما وقوله الظلم ظلمات يوم القيمة وقوله في بعض دعائه اللهم اني اسالك رحمة من عندك
تهدي بها قلبي وتجمع بها امري وتلم بها شعثي وتصلح بها غايبي وترفع بها شاهدي وتزكي
بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها الفتي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اني اسالك
الفوز في القضا ونزل الشهدا وعيش السعدا والنصر على الاعدا الى ما روته الكافة عن
الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه وادعيته ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف انه نزل
من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره وقد جمعت من كلماته
التي لم يسبق اليها ولا قدر احد ان يفرغ في قالبه عليها كقوله حمي الوطيس ومات حتف انفه
ولا يلدغ المومن من جحر مرتين والسعيد من وعظ بغيره في اخواتها ما يدرك الناظر العجب في
مضمنها ويذهب به في اداني حكمها وقد قال له اصحابه ما راينا الذي هو افصح منك فقال
وما يمنعني وانما انزل القران بلساني لسان عربي مبين وقال مرة اخرى بيد اني من قريش
ونشات في بني سعد فجمع له بذلك صلى الله عليه وسلم قوة عارضة البادية وجزالتها

الله عنها لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعًا قط وانه كان في اهله لا يسالهم طعامًا ولا
يتشهاه ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب ولا يعترض على هذا بحديث بريرة وقوله
الم ار البرمة فيها لحم اذ لعل سبب سؤاله ظنه صلى الله عليه وسلم اعتقادهم انه لا يحل له
فاراد بيان سنته اذ راهم لم يقدموه اليه مع علمه انهم لا يستاثرون عليه به فصدق عليهم ظنه
وبين لهم ما جهلوه من امره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية وفي حكمة لقمان يا بني اذا امتلات
المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال سحنون لا يصلح العلم
لمن ياكل حتى يشبع وفي صحيح الحديث قوله صلى الله عليه وسلم اما انا فلا اكل متكئًا والاتكاء هو التمكن
للاكل والتقعدد في الجلوس له كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته
والجالس على هذه الهيئة يستدعي الاكل ويستكثر منه والنبي صلى الله عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل
جلوس المستوفز مقعيًا ويقول انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وليس معنى
في الاتكاء الميل على شق عند المحققين وكذلك نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلًا شهدت بذلك الاثار الصحيحة
ومع ذلك فقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وكان نومه على جانبه الايمن استظهارًا على قلة
النوم لانه على الجانب الايسر اهنا لهدو القلب وما يتعلق به من الاعضاء الباطنة حينيذ لميلها
الى الجانب الايسر فيستدعي ذلك الاستثقال فيه والطول واذا نام النايم على الايمن تعلق القلب وقلق
فاسرع الافاقة ولم يغمره الاستغراق   والضرب الثاني ما يتفق التمدح بكثرته
والفخر بوفوره كالنكاح والجاه اما النكاح فمتفق فيه شرعًا وعادة فانه دليل الكمال وصحة الذكورية
ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية واما في الشرع فسنة ماثورة وقد قال
ابن عباس افضل هذه الامة اكثرها نساء مشيرًا اليه صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم تناكحوا
تناسلوا فاني مباه بكم الامم ونهى عن التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر اللذين نبه عليهما
صلى الله عليه وسلم بقوله من كان ذا طول فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج حتى لم يره العلماء مما
يقدح في الزهد قال سهل بن عبد الله قد حببن الى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فكيف يزهد فيهن ونحوه

لابن

لابن عيينة وقد كان زهاد الصحابة رضي الله عنهم كثيري الزوجات والسراري كثيري النكاح وحكي
في ذلك عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم رضي الله عنهم غير شيء وقد كره غير واحد ان يلقى الله عزبًا
فان قلت كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل وهذا يحيى بن زكريا عليه السلام قد اثنى الله
تعالى عليه انه كان حصورًا فكيف يثني الله عليه بالعجز عما تعده فضيلة وهذا عيسى عليه
السلام تبتل من النساء ولو كان كما قررته لنكح فاعلم ان ثناء الله على يحيى بانه حصور ليس كما قال
بعضهم انه كان هيوبًا او لا ذكر له بل قد انكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء وقالوا هذه نقيصة
وعيب ولا يليق بالانبيا عليهم السلام وانما معناه انه معصوم من الذنوب اي لا ياتيها كانه
حصر عنها وقيل مانعًا نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة في النساء فقد بان لك من هذا
ان عدم القدرة على النكاح نقص وانما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة كعيسى
عليه السلام او بكفاية من الله كيحيى عليه السلام فضيلة زايدة لكونها شاغلة في كثير من الاوقات
حاطة الى الدنيا ثم هي في حق من اقدر عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه عز
وجل درجة عليا وهي درجة نبينا صلى الله عليه وسلم الذي لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه بل
زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته اياهن بل صرح انها
ليست من حظوظ دنياه هو وان كانت من حظوظ دنيا غيره فقال عليه السلام حبب الي من
دنياكم فدل ان حبه لما ذكر من النساء والطيب اللذين من امور دنيا غيره واستعماله لذلك ليس لدنياه
بل للاخرة للفوايد التي ذكرناها في التزويج وللقاء الملايكة في الطيب ولانه ايضًا مما يحض على
الجماع ويعين عليه ويحرك اسبابه وكان حبه لهاتين الخصلتين لاجل غيره وقمع شهوته وكان
حبه الحقيقي المختص بذاته في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته ولذلك ميز بين الحبين
وفصل بين الحالين فقال وجعلت قرة عيني في الصلاة فقد ساوى يحيى وعيسى في كفاية فتنتهن
وزاد فضيلة بالقيام بهن وكان صلى الله عليه وسلم ممن اقدر على القوة في هذا واعطي الكثير
منه ولهذا ابيح له من عدد الحراير ما لم يبح لغيره وقد روينا عن انس انه صلى الله عليه وسلم

كان يدور على نسائه في الساعة من الليل والنهار وهن احدى عشرة قال انس وكنا نتحدث
انه أعطى قوة ثلاثين رجلا خرجه النسائي وروى نحوه عن ابي رافع وقد قال سليمان عليه السلام
لاطوفن الليلة على مائة امرأة او تسعة وتسعين وانه فعل ذلك قال ابن عباس كان في ظهر
سليمان ماء مائة رجل وكان له ثلاثمائة امرأة وثلاثمائة سرية وحكى النقاش سبع مائة امرأة
وثلاثمائة سرية وقد كان لداود عليه السلام على زهده واكله من عمل يده تسع وتسعون امرأة وتمت
بزوج اوريا مائة وقد نبه على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى ان هذا اخي له تسع وتسعون
نعجة وفي حديث انس عنه عليه السلام فضلت على الناس بأربع بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع
وقوة البطش ٥ واما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه في القلوب وقد قال
تعالى في صفة عيسى عليه السلام وجيها في الدنيا والاخرة لكن آفاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس
لعقبى الاخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو في الارض
وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية
وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون اصحابه ويقصدون اذاه في نفسه خفية حتى اذا واجههم واعظموا
امره وقضوا حاجته واخباره في ذلك معروفة سيأتي بعضها وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره
كما روي عن قيلة انها لما رأته ارعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث
ابي مسعود ان رجلا قام بين يديه فارعد فقال هون عليك فاني لست بملك الحديث ٥ فاما
عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا
فامر هو مبلغ النهاية ثم هو في الاخرة سيد ولد آدم وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم
بأسره واما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات بالتمدح به والتفاخر
بسببه والتفضيل لاجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها
توصله به الى حاجاته وتمكن اغراضه بسببه والا فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة
وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات من اعتراه وامله وتصريفه في مواضعه مشتريا به المعالي

والثناء الحسن والمنزلة من القلوب كان فضيلة في صاحبه عند اهل الدنيا واذا صرفه في وجوه البر
وانفقه في سبيل الخير وقصد بذلك الله تعالى والدار الاخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال
ومتى كان صاحبه ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد كثره كالعدم وكان منقصة
في صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة بل اوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة فاذا
التمدح بالمال وفضيلته عند مفضله ليست لنفسه وانما هو للتوصل به الى غيره وتصريفه في
متصرفاته فجامعه اذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه وجوهه غير ملي بالحقيقة ولا غني بالمعنى
ولا ممتدح عند احد من العقلاء بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه اذ ما بيده من
المال الموصل لها لم يسلط عليه فاشبه خازن مال غيره ولا مال له فكانه ليس في يده منه شيء
والمنفق ملي غني بتحصيله فوائد المال وان لم يبق في يده من المال شيء فانظر سيرة نبينا صلى الله
عليه وسلم وخلقه في المال تجده قد اوتي خزاين الارض ومفاتيح البلاد واحلت له الغنايم ولم تحل
لنبي قبله وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما
داني ذلك من الشام والعراق وجلبت اليه من اخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك الا
بعضه وهادته جماعة من ملوك الاقاليم فما استأثر بشيء منه ولا امسك منه درهما بل صرفه مصارفه
واغنى به غيره وقوى به المسلمين وقال ما يسرني ان لي احدا ذهبا يبيت عندي منه دينار الا دينارا
ارصده لدين درهم ومات ودرعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه
على ما تدعوه ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده فيلبس في الغالب الشملة والكساء
الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره اقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر اذ
المباهات في الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النساء والمحمود
منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط لمروة جنسه مما لا يؤدي
الى الشهرة في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه في العادة عند الناس انما تعود الى الفخر
بكثرة الموجود ووفور الحال وكذلك التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير آلاته وخدمه ومركوبه

كان يدور على نسائه في الساعة من الليل والنهار وهن احدى عشرة قال انس وكنا نتحدث
انه اعطي قوة ثلاثين رجلا خرجه النسائي وروى نحوه عن ابي رافع وقد قال سليمان عليه السلام
لاطوفن الليلة على مائة امرأة او تسعة وتسعين وانه فعل ذلك قال ابن عباس كان في ظهر
سليمان ماء مائة رجل وكان له ثلاثمائة امرأة وثلاثمائة سرية وحكى النقاش سبع مائة امرأة
وثلاثمائة سرية وقد كان لداود عليه السلام على زهده واكله من عمل يده تسع وتسعون امرأة وتمت
بزوج اوريا مائة وقد نبه على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى ان هذا اخي له تسع وتسعون
نعجة وفي حديث انس عنه عليه السلام فضلت على الناس باربع بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع
وقوة البطش ٥ واما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه في القلوب وقد قال
تعالى في صفة عيسى عليه السلام وجيها في الدنيا والاخرة لكن آفاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس
لعقبى الاخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو في الارض
وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية
وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون اصحابه ويقصدون اذاه في نفسه خفية حتى اذا واجههم واعظموا
امره وقضوا حاجته واخباره في ذلك معروفة سيأتي بعضها وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره
كما روي عن قيلة انها لما رأته ارعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث
ابي مسعود ان رجلا قام بين يديه فارعد فقال هون عليك فاني لست بملك الحديث ٥ فاما
عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفا والكرامة في الدنيا
فامر هو مبلغ النهاية ثم هو في الاخرة سيد ولد آدم وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم
باسره ٭ واما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات بالتمدح به والتفاخر
بسببه والتفضيل لاجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها
توصله به الى حاجاته وتمكن اغراضه بسببه والا فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة
وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات من اعتراه وامله وتصريفه في مواضعه مشتريا به المعالي

والثناء

والثناء الحسن والمنزلة من القلوب كان فضيلة في صاحبه عند اهل الدنيا واذا صرفه في وجوه البر
وانفقه في سبيل الخير وقصد بذلك الله تعالى والدار الاخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال
ومتى كان صاحبه ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد كثره كالعدم وكان منقصة
في صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة بل اوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة فاذا
التمدح بالمال وفضيلته عند مفضله ليست لنفسه وانما هو للتوصل به الى غيره وتصريفه في
متصرفاته فجامعه اذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه وجوهه غير ملي بالحقيقة ولا غني بالمعنى
ولا ممتدح عند احد من العقلاء بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه اذ ما بيده من
المال الموصل لها لم يسلط عليه فاشبه خازن مال غيره ولا مال له فكانه ليس في يده منه شيء
والمنفق ملي غني بتحصيله فوائد المال وان لم يبق في يده من المال شيء فانظر سيرة نبينا صلى الله
عليه وسلم وخلقه في المال تجده قد اوتي خزاين الارض ومفاتيح البلاد واحلت له الغنايم ولم تحل
لنبي قبله وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما
دانى ذلك من الشام والعراق وجلبت اليه من اخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك الا
بعضه وهادته جماعة من ملوك الاقاليم فما استاثر بشيء منه ولا امسك منه درهما بل صرفه مصارفه
واغنى به غيره وقوى به المسلمين وقال ما يسرني ان لي احدا ذهبا يبيت عندي منه دينار الا دينارا
ارصده لدين درهم ومات ودرعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه
على ما تدعوه ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده فيلبس في الغالب الشملة والكساء
الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره اقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر اذ
المباهات في الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النساء والمحمود
منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط لمروة جنسه مما لا يؤدي
الى الشهرة في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه في العادة عند الناس انما تعود الى الفخر
بكثرة الموجود ووفور الحال وكذلك التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير آلاته وخدمه ومركوباته

ومن ملك الارض وجبى اليه ما فيها فترك ذلك زهدا وتنزها فهو حائز لفضيلة المالية ومالك للفخر
بهذه الخصلة ان كانت فضيلة زائدة عليها في الفخر ومعرق في المدح باضرابه عنها وزهده
في فانيها وبذلها في مظانها وأما الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة والآداب
الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها
فضلا عما فوقه واثنى الشرع على جميعها وامر بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف
بعضها بانه من اجزاء النبوة وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس واوصافها
والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله عليه وسلم على
الانتهاء في كمالها والاعتدال الى غايتها حتى اثنى الله تعالى عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم
قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه وقال
عليه الصلاة والسلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق قال انس كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم احسن الناس خلقا وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه مثله وكان فيما ذكره المحققون
مجبولا عليها في اصل خلقته واول فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة الا بجود الاهي
وخصوصية ربانية وهكذا لسائر الانبيا عليهم السلام ومن طالع سيرهم منذ صباهم
الى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال عيسى وموسى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم السلام بل
غرزت فيهم هذه الاخلاق في الجبلة واودعوا العلم والحكمة في الفطرة قال الله تعالى وآتيناه الحكم
صبيا قال المفسرون اعطي يحيى العلم بكتاب الله في حال صباه وقال معمر كان ابن سنتين او ثلاث
فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال ما للعب خلقت وقيل في قوله مصدقا بكلمة من الله صدق
يحيى بعيسى وهو ابن ثلاث سنين فشهد له انه كلمة الله وروحه وقيل صدقه وهو في بطن امه
فكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له وقد نص الله عز
وجل على كلام عيسى لامه عند ولادتها اياه بقوله لها لا تحزني على قراءة من تحتها وعلى قول من
قال ان المنادي عيسى ونص على كلامه في مهده فقال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا

وقال

وقال ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وقد ذكر من حكم سليمان وهو صبي يلعب
في قصة المرجومة وفي قصة الصبي ما اقتدى به داود ابوه وحكى الطبري ان عمره كان حين اوتي
الملك اثنى عشر عاما وكذلك قصة موسى مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل وقال المفسرون
في قوله ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل اي هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن
عطاء اصطفاه قبل ابداء خلقه وقال بعضهم لما ولد ابراهيم بعث الله اليه ملكا يامره عن
الله ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك رشده وقيل ان القاء
ابراهيم عليه السلام في النار ومحنته كانت وهو ابن ست عشرة سنة وان ابتلاء اسحق
بالذبح وهو ابن سبع سنين وان استدلال ابراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابن
خمسة عشر شهرا وقيل اوحي الى يوسف وهو صبي عندما هم اخوته بالقائه في الجب
بقول الله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الآية الى غير ذلك من اخبارهم وقد حكى اهل
السير ان آمنة بنت وهب اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد حين ولد باسطا
يديه الى الارض رافعا راسه الى السماء وقال في حديثه صلى الله عليه وسلم لما نشأت بغضت الي الاوثان
وبغض الي الشعر ولم اهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمني الله منهما ثم
لم اعد ثم يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله تعالى عليهم وتشرق انوار المعارف في قلوبهم حتى
يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية دون
ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما وقد نجد غيرهم
يطبع على بعض هذه الاخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من
الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان على حسن السمت او الشهامة او صدق اللسان او
السماحة كما نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة
يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين الحالين قد تتفاوت الناس فيها وكل
ميسر لما خلق له ولهذا قد اختلف السلف فيها هل هذا الخلق جبلة او مكتسبة فحكى

الطبري عن بعض السلف ان الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود
والحسن وبه قال هو والصواب ما اصلناه وقد روى سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
في حديثه والجراة والجبن غرائز يضعها الله حيث يشاء وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الجميلة
كثيرة ولكنا نذكر اصولها ونشير الى جميعها ونحقق وصفه صلى الله عليه وسلم بها ان شاء الله تعالى
اما اصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دايرتها فالعقل الذي منه ينبعث
العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الراى وجودة الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر
للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضايل
وتجنب الرذايل وقد اشرنا الى مكانه منه صلى الله عليه وسلم وبلوغه منه ومن العلم الغاية التي لم يبلغها
بشر سواه واذ جلالة محله من ذلك ومما تفرع منه متحقق عند من تتبع مجاري احواله واطراد
سيره وطالع جوامع كلمه وحسن شمايله وبدايع سيره وحكم حديثه وعلمه بما
في التوراة والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكما وسير الامم الخالية وايامها وضرب الامثال
وسياسات الانام وتقرير الشرايع وتاصيل الاداب النفيسة والشيم الحميدة الى فنون
العلوم التي اتخذ اهلها كلامه عليه السلام فيها قدوة واشاراته حجة كالعبارة والطب
والحساب والفرايض والنسب وغير ذلك مما سنبينه في معجزاته ان شاء الله تعالى دون تعليم
ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمايهم بل نبي امي لم يعرف بشي من
ذلك حتى شرح الله صدره وابان امره وعلمه واقراه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث من حاله
ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا فلا نطول بسرد الاقاصيص وآحاد القضايا
اذ مجموعها ما لا ياخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب عقله كانت معارفه
صلى الله عليه وسلم الى ساير ما علمه الله واطلعه عليه من علم ما يكون وما كان وعجايب قدرته
وعظيم ملكوته قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما حارت العقول

في تقدير فضله عليه وخرست الالسن دون وصف يحيط بذلك او ينتهي اليه ٥
واما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره وبين هذه الالقاب
فرق فان الحلم حالة توقر وثبات عند الاسباب المحركات والاحتمال حبس النفس عند
الالام والمؤذيات ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة واما العفو فهو ترك المؤاخذة
وهذا كله مما ادب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال خذ العفو وامر بالعرف
الاية روى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الاية سال جبريل عن تاويلها فقال
له حتى اسال العالم ثم ذهب فاتاه فقال يا محمد ان الله يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من
حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال له واصبر على ما اصابك الاية وقال فاصبر كما صبر اولو العزم
من الرسل وقال وليعفوا وليصفحوا الاية وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور
ولا خفا بما يؤثر من حلمه واحتماله وان كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت عنه
هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف الجاهل
الا حلما حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا ثنا محمد بن عتاب
ثنا ابو بكر بن واقد القاضي وغيره ثنا ابو عيسى ثنا عبيد الله ثنا يحيى بن يحيى ثنا مالك عن ابن
شهاب عن عروة عن عايشة رضي الله عنها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم
في امرين قط الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه وما
انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم لله بها وروي
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم احد شق ذلك على اصحابه
شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال اني لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد
قومي فانهم لا يعلمون وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال في بعض كلامه بابي انت وامي يا رسول
الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض الاية ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا عن
آخرنا فلقد وطي ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم

اغفر لقومى فانهم لا يعلمون قال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه انظر ما فى هذا القول
من جماع الفضل ودرجات الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم
اذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا ثم اشفق عليهم ورحمهم
ودعا وشفع لهم فقال اغفر او اهد ثم اظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومى ثم اعتذر
عنهم بجهلهم فقال فانهم لا يعلمون ولما قال له الرجل اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها
وجه الله لم يزده فى جوابه ان بين له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال له فقال
ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل ونهى من اراد من اصحابه قتله
ولما تعدى له غورث بن الحارث ليفتك به رسول الله صلى الله عليه وسلم منتبذ تحت شجرة
وحده قايلا والناس قايلون فى غزات فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قايم
والسيف صلتا فى يده فقال من يمنعك منى فقال الله فسقط السيف من يده فاخذه النبى
صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك منى قال كن خير آخذ فتركه وعفا عنه فجاء الى قومه فقال
جيتكم من عند خير الناس ومن عظيم خبره فى العفو عفوه عن اليهودية التى سمته فى الشاة
بعد اعترافها على الصحيح من الرواية وانه لم يواخذ لبيد بن الاعصم اذ سحره وقد اعلم به واوحى
اليه بشرح امره ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته وكذلك لم يواخذ عبد الله بن ابى واشباههم
من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم فى جهته قولا وفعلا بل قال لمن اشار بقتل بعضهم لا يتحدث
ان محمدا يقتل اصحابه وعن انس كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية
فجبذه اعرابى بردايه جبذة شديدة حتى اثرت حاشية البرد فى صفحة عاتقه ثم قال يا محمد
احمل لى على بعيرى هذين من مال الله الذى عندك فانك لا تحمل لى من مالك ولا مال ابيك
فسكت النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا عبده ثم قال ويقاد منك يا
اعرابى ما فعلت بى قال لا قال لم قال لانك لا تكافى بالسيئة السيئة فضحك النبى صلى الله عليه وسلم
ثم امر ان يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر قالت عايشة رضى الله عنها ما رايت رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله
وما ضرب بيده شيا قط الا ان يجاهد فى سبيل الله وما ضرب خادما ولا امراة وجى اليه
برجل فقيل هذا اراد ان يقتلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تراع لن تراع ولو
اردت ذلك لم تسلط على وجاءه زيد بن سعنة قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه فجبذ ثوبه
عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه واغلظ له ثم قال انكم يا بنى عبد المطلب مطل فانتهره عمر
رضى الله عنه وشدد له فى القول والنبى صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا وهو كنا الى غير هذا منك احوج يا عمر تامرنى بحسن القضا وتامره بحسن التقاضى ثم قال لقد
بقى من اجله ثلاث وامر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان سبب اسلامه وذلك
انه كان يقول ما بقى من علامات النبوة شى الا وقد عرفتها فى محمد الا اثنتين لم اخبرهما يسبق
حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل الا حلما فاختبره بهذا فوجده كما وصف والحديث عن
حلمه عليه السلام وصبره وعفوه عند المقدرة اكثر من ان ناتى عليه وحسبك ما ذكرناه
مما فى الصحيح والمصنفات الثابتة الى ما بلغ متواتره مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش واذى
الجاهلية ومصابرة الشدايد الصعبة معهم الى ان اظفره الله عليهم وحكمه فيهم وهم لا
يشكون فى استيصال شافتهم وابادة خضرايهم فما زاد على ان عفا وصفح وقال ما تقولون
انى فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اقول كما قال اخى يوسف لا تثريب عليكم الاية
اذهبوا انتم الطلقاء وقال انس هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخذوا فاعتقهم صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وهو الذى كف ايديهم
عنكم الاية وقال لابى سفين وقد سيق اليه بعد ان جلب اليه الاحزاب وقتل عمه واصحابه
ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه فى القول ويحك يا ابا سفين الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال
بابى انت وامى ما احلمك واوصلك واكرمك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابعد الناس
غضبا واسرعهم رضى صلى الله عليه وسلم
واما الجود والكرم والسخاء

والسماحة ومعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم بينها بفروق فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس
فيما يعظم خطره ونفعه وسموه ايضا حرية وهو ضد النذالة والسماحة التجافي عما يستحقه
المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة والسخاء سهولة الانفاق وتجنب اكتساب
ما لا يحمد وهو الجود وهو ضد التقتير فكان صلى الله عليه وسلم لا يوازى في هذه
الاخلاق الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه حدثنا القاضي الشهيد
ابو علي الصدفي رحمه الله ثنا القاضي ابو الوليد الباجي ثنا ابو ذر الهروي ثنا ابو الهيثم
الكشميهني وابو محمد السرخسي وابو اسحاق البلخي قالوا ثنا ابو عبد الله الفربري ثنا البخاري ثنا محمد
بن كثير ثنا سفيان عن ابن المنكدر سمعت جابر بن عبد الله يقول ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم
عن شيء فقال لا وعن انس وسهل بن سعد مثله وقال ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم اجود
الناس بالخير واجود ما كان في شهر رمضان وكان اذا لقيه جبريل عليهما السلام اجود بالخير
من الريح المرسلة وعن انس ان رجلا ساله فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى بلده وقال اسلموا فان
محمدا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة واعطى غير واحد مائة من الابل واعطى صفوان مائة ثم مائة
ثم مائة وهذه كانت حاله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وقد قال له ورقة بن نوفل انك تحمل
الكل وتكسب المعدوم ورد على هوازن سباياها وكانوا ستة آلاف واعطى العباس من الذهب
ما لم يطق حمله وحمل اليه تسعون الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها
فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فساله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا
جاءنا شيء قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك
فقال رجل من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم صلى الله عليه
وسلم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا امرت ذكره الترمذي وذكر عن معوذ بن عفراء اتيت
النبي صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب يريد طبقا واجر زغب يريد قثاء فاعطاني ملء كفه ذهبا
وحليا قال انس كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد والخبر بجوده صلى الله عليه وسلم وكرمه

كثير وعن ابي هريرة اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم يساله فاستسلف له رسول الله صلى الله
عليه وسلم نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه فاعطاه وسقا وقال نصفه قضاء ونصفه نائل
واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل والنجدة
ثقة النفس عند استرسالها الى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف فكان صلى الله عليه وسلم منهما
بالمكان الذي لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة والابطال عنه غير مرة وهو ثابت
لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما شجاع الا وقد احصيت له فرة وحفظت عنه جولة
سواه حدثنا ابو علي الجياني فيما كتب لي ثنا القاضي سراج ثنا ابو محمد الاصيلي ثنا ابو زيد الفقيه
ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا ابن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن ابي اسحاق سمع البراء وساله
رجل افررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يفر ثم قال لقد رايته على بغلته البيضاء وابو سفيان آخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم
يقول انا النبي لا كذب وزاد غيره انا ابن عبد المطلب قيل فما رئي يومئذ احد كان اشد منه
وقال غيره نزل النبي صلى الله عليه وسلم عن بغلته وذكر مسلم عن العباس رضي الله عنه قال
فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض
بغلته نحو الكفار وانا آخذ بلجامها اكفها ارادة ان لا تسرع وابو سفيان آخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين
الحديث وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه شيء
وقال ابن عمر رضي الله عنهما ما رايت اشجع ولا انجد ولا اجود ولا ارضى من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال علي رضي الله عنه انا كنا اذا حمي الباس ويروى اذا اشتد الباس واحمرت الحدق
اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه ولقد رايتني يوم بدر ونحن
نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ باسا وقيل كان الشجاع
هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم اذا دنا العدو لقربه منه وعن انس كان النبي صلى الله عليه وسلم
احسن الناس واجود الناس واشجع الناس لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت

فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرا الخبر على فرس لابى
طلحة عري والسيف فى عنقه وهو يقول لن تراعوا وقال عمران بن حصين ما لقى صلى الله عليه وسلم
كتيبة الا كان اول من يضرب ولما راه ابى بن خلف يوم احد وهو يقول اين محمد لا نجوت ان نجا وكان يقول
للنبى صلى الله عليه وسلم حين افتدى يوم بدر عندى فرس اعلفها كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليها فقال له
النبى صلى الله عليه وسلم انا اقتلك ان شاء الله فلما راه يوم احد شد ابى على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبى صلى الله عليه وسلم هكذا اى خلوا طريقه وتناول الحربة من الحارث بن الصمة
فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعرا عن ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبله النبى صلى الله عليه
وسلم فطعنه فى عنقه طعنة تدادا منها عن فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا من اضلاعه فرجع الى قريش
يقول قتلنى محمد وهم يقولون لا باس بك فقال لو كان ما بى بجميع الناس لقتلهم اليس قد قال انا اقتلك
والله لو بصق على لقتلنى فمات بسرف فى قفولهم الى مكة ۞ واما الحيا والاغضا والحيا
رقة تعترى وجه الانسان عند فعل ما يتوقع كراهته او ما يكون تركه خيرا من فعله والاغضا
التغافل عما يكره الانسان بطبيعته وكان النبى صلى الله عليه وسلم اشد الناس حيا واكثرهم عن
العورات اغضا قال الله تعالى ان ذلكم كان يوذى النبى فيستحيى منكم الاية ۞ حدثنا ابو محمد
ابن عتاب رحمه الله بقراتى عليه ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القابسى ثنا ابو زيد المروزى ثنا
محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا عبدان ثنا شعبة عن قتادة سمعت عبد الله مولى انس عن ابى
سعيد الخدرى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حيا من العذرا فى خدرها وكان اذا كره
شيا عرفناه فى وجهه وكان صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه احدا بما يكرهه حيا
وكرم نفس وعن عايشة رضى الله عنها كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم
يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمى فاعله
وروى انس انه دخل عليه رجل به اثر صفرة فلم يقل له شيا وكان لا يواجه احدا بما يكره فلما خرج قال
لو قلتم له يغسل هذا ويروى ينزعها قالت عايشة فى الصحيح لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم فاحشا

ولا

ولا متفحشا ولا سخابا بالاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وقد حكى مثل هذا
الكلام عن التوراة من رواية ابن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص وروى عنه انه كان من حيايه لا يثبت بصره
فى وجه احد وانه كان صلى الله عليه وسلم يكنى عما اضطره الكلام اليه مما يكره وعن عايشة رضى الله
عنها ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط ۞ واما حسن عشرته وادبه وبسط خلقه
صلى الله عليه وسلم مع اصناف الخلق فبحيث انتشرت به الاخبار الصحيحة قال على رضى الله عنه فى وصفه
عليه السلام كان اوسع الناس صدرا واصدق الناس لهجة والينهم عريكة واكرمهم عشرة حدثنا
ابو الحسن على بن مشرف الانماطى فيما اجازنيه وقراته على غيره ثنا ابو اسحاق الحبال ثنا ابو محمد بن النحاس
ثنا ابن الاعرابى ثنا ابو داود ثنا هشام ابو مروان ومحمد بن المثنى قالا ثنا الوليد بن مسلم ثنا الاوزاعى
سمعت يحيى بن ابى كثير يقول حدثنى محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن قيس بن سعد قال
زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصة فى اخرها فلما اراد الانصراف قرب له سعد حمارا
وطا عليه بقطيفة وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فابيت فقال اما ان تركب
واما ان تنصرف فانصرفت وفى رواية اخرى اركب امامى فصاحب الدابة اولى بمقدمها وكان
صلى الله عليه وسلم يولفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس
منهم من غير ان يطوى عن احد منهم بشره ولا خلقه يتفقد اصحابه ويعطى كل جلسايه نصيبه لا
يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف
عنه ومن ساله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا
وصاروا عنده فى الحق سوا بهذا وصفه ابن ابى هالة قال وكان دايم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس
بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهى ولا يويس منه
وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك
وقال ادفع بالتى هى احسن الاية وكان يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعا ويكافى عليها

قال انس خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط وما قال لشيء صنعته
لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وعن عايشة رضي الله عنها ما كان احد احسن خلقا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد من اصحابه ولا اهل بيته الا قال لبيك وقال جرير بن عبد الله
ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اسلمت ولا راني الا تبسم وكان يمازح اصحابه
ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة العبد والحر
والامة والمسكين ويعود المرضى في اقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر قال انس ما التقم
احد اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فينحي راسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي راسه وما
اخذ احد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له وكان
يبدا من لقيه بالسلام ويبدا اصحابه بالمصافحة لم ير قط مادا رجليه بين اصحابه حتى
يضيق بهما على احد يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم
عليه في الجلوس عليها ان ابى ويكني اصحابه ويدعوهم باحب اسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع
على احد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهي او قيام ويروى بانتهاء او قيام وروي انه كان لا
يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف صلاته وساله عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلاته وكان
اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن او يعظ او يخطب قال عبد الله بن الحارث
ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن انس كان خدم المدينة ياتون
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغداة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بآنية الا غمس يده
فيها وربما كان ذلك في الغداة الباردة يريدون به التبرك   واما الشفقة
والرحمة والرافة لجميع الخلق فقد قال تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين
رؤوف رحيم وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال بعضهم من فضله عليه السلام
ان الله تعالى اعطاه اسمين من اسمائه فقال بالمؤمنين رؤوف رحيم وحكى نحوه الامام ابو
بكر بن فورك حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقراءتي عليه ثنا امام

الحرمين

الحرمين ثنا ابو علي الطبري ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا ابو محمد الجلودي ثنا ابراهيم بن سفيان
ثنا مسلم بن الحجاج انا ابو الطاهر انا ابن وهب انا يونس عن ابن شهاب قال غزا رسول الله صلى الله
عليه وسلم غزوة وذكر حنينا فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن امية مائة من النعم
ثم مائة ثم مائة قال ابن شهاب ثنا سعيد بن المسيب ان صفوان قال والله لقد اعطاني وانه لابغض
الخلق الي فما زال يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي وروي ان اعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فاعطاه
ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي لا ولا اجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان
كفوا ثم قام ودخل منزله وارسل اليه وزاده شيئا ثم قال احسنت اليك قال نعم فجزاك الله
من اهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت وفي انفس اصحابي من ذلك
شيء فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال نعم
فلما كان الغد او العشي جاء فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم
انه رضي اكذلك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم مثلي
ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم
صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فاني ارفق بها منكم واعلم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من
قمام الارض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم
حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار وروي عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغني
احد منكم عن احد من اصحابي شيئا فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر ومن شفقته
على امته عليه السلام تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته اشياء مخافة ان تفرض عليهم كقوله
لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك مع كل وضوء وخبر صلاة الليل ونهيهم عن الوصال
وكراهته دخول الكعبة لئلا تعنت امته ورغبته لربه عز وجل ان يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم
وانه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته ومن شفقته صلى الله عليه وسلم ان دعا ربه
وعاهده فقال ايما رجل سببته او لعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة وطهورا وقربة

تقربه بها اليك يوم القيامة ۞ ولما كذبه قومه اتاه جبريل عليه السلام فقال له ان الله تعالى
قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد امر ملك الجبال لتامره بما شئت فيهم فناداه ملك
الجبال وسلم عليه وقال مرني بما شئت ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله عليه
وسلم بل ارجوا ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا وروى ابن المنكدر ان
جبريل صلى الله عليه وسلم قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله امر السماء والارض والجبال ان
تطيعك فقال اوخر عن امتي لعل الله ان يتوب عليهم قالت عايشة رضي الله عنها ما خير رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما وقال ابن مسعود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا
بالموعظة مخافة السامة علينا وعن عايشة رضي الله عنها انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت
تردده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق   واما خلقه صلى الله عليه وسلم
في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فحدثنا القاضي ابو عامر محمد بن اسماعيل بقراتي عليه ثنا
ابو بكر محمد بن محمد ثنا ابو اسحاق الحبال ثنا ابو محمد بن النحاس ثنا ابن الاعرابي ثنا ابو داود ثنا
محمد بن يحيى ثنا محمد بن سنان ثنا ابراهيم بن طهمان عن بديل عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن ابيه
عن عبد الله بن ابي الحمسا بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته
ان اتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجيت فاذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي
انا هاهنا منذ ثلاث انتظرك ۞ وعن انس كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتي بهدية قال اذهبوا بها
الى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة انها كانت تحب خديجة وعن عايشة رضي الله عنها قالت
ما غرت على امراة ما غرت على خديجة لما كنت اسمعه يذكرها وان كان ليذبح الشاة فيهديها الى خلايلها
واستاذنت عليه اختها فارتاح اليها ودخلت عليه امراة فهش لها واحسن السوال عنها فلما خرجت قال
انها كانت تاتينا ايام خديجة وان حسن العهد من الايمان ووصفه بعضهم فقال كان يصل ذوي رحمه من
غير ان يوثرهم على من هو افضل منهم وقال صلى الله عليه وسلم ان ال ابي فلان ليسوا لي باوليا غير ان لهم رحما
سابلها ببلالها وقد صلى عليه السلام بامامة ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه فاذا سجد وضعها واذا قام

حملها وعن ابي قتادة وفد وفد للنجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال له اصحابه
نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني احب ان اكافيهم ۞ ولما جي باخته من الرضاعة
الشيما في سبايا هوازن وتعرفت له بسط لها رداه وقال لها ان احببت اقمت عندي مكرمة محببة
او متعتك ورجعت الى قومك فاختارت قومها فمتعها وقال ابو الطفيل رايت النبي صلى الله عليه
وسلم وانا غلام اذ اقبلت امراة حتى دنت منه فبسط لها رداه فجلست عليه فقلت من هذه
قالوا امه التي ارضعته وعن عمرو بن السايب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما
فاقبل ابوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه فوضع لها شق ثوبه من جانبه
الاخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسه بين
يديه وكان يبعث الى ثويبة مولاة ابي لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت سال من بقي من قرابتها
فقيل لا احد وفي حديث خديجة رضي الله عنها انها قالت له صلى الله عليه وسلم ابشر
فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على
نوايب الحق   واما تواضعه صلى الله عليه وسلم على علو منصبه ورفعة رتبته فكان
اشد الناس تواضعا واقلهم كبرا وحسبك انه خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار
ان يكون نبيا عبدا فقال له اسرافيل عند ذلك فان الله تعالى قد اعطاك بما تواضعت له انك سيد
ولد ادم يوم القيامة واول من تنشق عنه الارض واول شافع حدثنا ابو الوليد بن العواد
الفقيه رحمه الله بقراتي عليه في منزله بقرطبة سنة سبع وخمسماية ثنا ابو علي الحافظ ثنا ابو عمر
ثنا ابن عبد المومن ثنا ابن داسة ثنا ابو داود ثنا ابو بكر بن ابي شيبة ثنا عبد الله بن نمير عن مسعر عن
ابي العنبس عن ابي العدبس عن ابي مرزوق عن ابي غالب عن ابي امامة قال خرج علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم متوكيا على عصى فقمنا له فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضها
بعضا وقال انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه
ويعود المساكين ويجالس الفقرا ويجيب دعوة العبد ويجلس بين اصحابه مختلطا بهم حيث ما

انتهى به المجلس جلس وفي حديث عمر عنه لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا
عبد الله ورسوله وعن انس ان امرأة كان في عقلها شيء جاءته فقالت ان لي اليك حاجة قال اجلسي
يا ام فلان في اي طرق المدينة شئت اجلس اليك حتى اقضي حاجتك قال فجلست فجلس النبي
صلى الله عليه وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها قال انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه
اكاف قال وكان يدعى الى خبز الشعير والاهالة السنخة فيجيب قال وحج صلى الله عليه وسلم
على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوي اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا
سمعة هذا وقد فتحت عليه الارض واهدى في حجه ذلك مائة بدنة ولما فتحت عليه مكة ودخلها
بجيوش المسلمين طأطأ على رحله راسه حتى كاد يمس قادمته تواضعا لله تعالى ومن تواضعه
صلى الله عليه وسلم قوله لا تفضلوني على يونس بن متى ولا تفضلوا بين الانبياء ولا تخيروني
على موسى نحن احق بالشك من ابراهيم ولو لبثت ما لبث يوسف في السجن لاجبت الداعي
وقال للذي قال له يا خير البرية ذاك ابراهيم وسياتي الكلام على هذه الاحاديث بعد هذا ان
شاء الله تعالى وعن عائشة والحسن وابي سعيد وغيرهم في صفته وبعضهم يزيد على
بعض كان في بيته في مهنة اهله يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه
ويقم البيت ويعقل البعير ويعلف ناضحه وياكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته
من السوق وعن انس ان كانت الامة من اماء اهل المدينة لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فتنطلق به حيث شاءت حتى يقضي حاجتها ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته
رعدة فقال له هون عليك فاني لست بملك انما انا ابن امرأة من قريش تاكل القديد وعن
ابي هريرة قال دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل وقال
للوزان زن وارجح وذكر القصة قال فوثب الى يد النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب
يده وقال هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم ثم اخذ

السراويل فذهبت لاحمله فقال صاحب الشيء احق بشيئه ان يحمله
واما عدله صلى الله عليه وسلم وامانته وعفته وصدق لهجته فكان صلى الله عليه وسلم آمن
الناس واعدل الناس واعف الناس واصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك محادوه
وعداه وكان يسمى قبل نبوته الامين قال ابن اسحاق كان يسمى الامين بما جمع الله فيه من
الاخلاق الصالحة وقال تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين على انه محمد صلى الله عليه وسلم
ولما اختلفت قريش وتحازبت عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا اول داخل عليهم
فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد هذا الامين
قد رضينا به وعن الربيع بن خثيم كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية
قبل الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم والله اني لامين في السماء امين في الارض حدثنا
ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه ثنا ابو الفضل بن خيرون ثنا ابو يعلى بن زوج الحرة ثنا ابو
علي السنجي ثنا محمد بن محبوب المروزي ثنا ابو عيسى الحافظ ثنا ابو كريب ثنا معاوية بن هشام
عن سفيان عن ابي اسحاق عن ناجية بن كعب عن علي ان ابا جهل قال للنبي صلى الله
عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله فانهم لا يكذبونك الآية
وروى غيره لا نكذبك وما انت فينا بمكذب وقيل ان الاخنس بن شريق لقي ابا جهل
يوم بدر فقال له يا ابا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا تخبرني عن محمد صادق
ام كاذب فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط وسال عنه هرقل
ابا سفيان فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال قال لا وقال النضر بن الحارث
لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا واعظمكم امانة
حتى اذا رايتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر
وفي الحديث عنه ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك رقها وفي حديث علي رضي الله عنه
في وصفه عليه الصلاة والسلام اصدق الناس لهجة وقال في الصحيح ويحك فمن يعدل ان لم اعدل

خبت وخسرت ان لم اعدل قالت عائشة ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين
الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثماً فان كان اثماً كان ابعد الناس منه قال ابو العباس المبرد قسم
كسرى اياماً فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو
ويوم الشمس للحوائج قال ابن خالويه ما كان اعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهراً من
الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزأ نهاره ثلاثة
اجزاء جزءاً لله وجزءاً لاهله وجزءاً لنفسه ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس فكان يستعين
بالخاصة على العامة ويقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي فانه من ابلغ حاجة
من لا يستطيع آمنه الله يوم الفزع الاكبر وعن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا ياخذ احداً بقرف احد ولا يصدق احداً على احد وذكر ابو جعفر الطبري عن علي رضي الله
عنه صلى الله عليه وسلم ما هممت بشيء مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك
يحول الله تعالى بيني وبين ما اريد من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى اكرمني الله برسالته قلت
ليلة لغلام كان يرعى معي لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت
لذلك حتى جئت اول دار من مكة سمعت عزفاً بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست انظر
فضرب على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس فرجعت ولم اقض شيئاً ثم عراني مرة اخرى
مثل ذلك ثم لم اهم بعد ذلك بسوء

واما وقاره صلى الله عليه وسلم
وصمته وتؤدته ومروءته وحسن هديه فحدثنا ابو علي الجياني الحافظ اجازة وعارضته
بكتابه ثنا ابو العباس الدلائي انا ابو ذر الهروي انا ابو عبد الله الوراق ثنا اللؤلؤي ثنا
ابو داود ثنا عبد الرحمن بن سلام ثنا حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن عمر بن عبد
العزيز عن وهيب سمعت خارجة بن زيد يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم اوقر الناس
في مجلسه لا يكاد يخرج شيئاً من اطرافه وروى ابو سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا جلس في المجلس احتبى بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم

محتبيا

محتبيا وعن جابر بن سمرة انه تربع وربما جلس القرفصاء وهو في حديث قيلة وكان كثير السكوت
لا يتكلم في غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسماً وكلامه فصلاً
لا فضول ولا تقصير وكان ضحك اصحابه عنده التبسم توقيراً له واقتداء به مجلسه مجلس حلم
وحياء وخير وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على
رؤوسهم الطير وفي صفته يخطو تكفؤاً ويمشي هوناً كانما ينحط من صبب وفي الحديث الاخر
اذا مشى مشى مجتمعاً يعرف في مشيته انه غير غرض ولا وكل اي غير ضجر ولا كسلان وقال
عبد الله بن مسعود ان احسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن عبد الله
كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل او ترسيل قال ابن ابي هالة كان سكوته
على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر قالت عائشة كان صلى الله عليه وسلم يحدث
حديثاً لو عده العاد احصاه وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب والرائحة الحسنة
ويستعملهما كثيراً ويحض عليهما ويقول حبب الي من دنياكم النساء والطيب وجعلت
قرة عيني في الصلاة ومن مروءته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب
والامر بالاكل مما يلي والامر بالسواك وانقاء البراجم والرواجب واستعمال خصال الفطرة

واما زهده في الدنيا فقد تقدم من الاخبار اثناء هذه السيرة ما يكفي
وحسبك من تقلله منها واعراضه عن زهرتها وقد سيقت اليه بحذافيرها وترادفت
عليه فتوحها ان توفي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله
وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً حدثنا سفين بن العاصي والحسين
ابن محمد الحافظ والقاضي ابو عبد الله التميمي قالوا ثنا احمد بن عمر ثنا ابو العباس الرازي
ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابن سفين ثنا ابو الحسين مسلم بن الحجاج ثنا ابو بكر بن ابي شيبة
ثنا ابو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة قالت ما شبع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام تباعاً من خبز حتى مضى لسبيله وفي رواية اخرى من خبز شعير

يومين متواليين ولو شاء لاعطاه الله ما لا يخطر ببال وفي رواية اخرى ما شبع آل رسول الله
صلى الله عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله وقالت عايشة ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم
دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وفي حديث عمرو بن الحارث ما ترك الا سلاحه وبغلته
وارضا جعلها صدقة قالت عايشة ولقد مات وما في بيتي شي ياكله ذو كبد الا شطر شعير
في رف لي وقال لي اني عرض علي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب اجوع يوما واشبع
يوما فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك
واثني عليك وفي حديث آخر ان جبريل نزل عليه فقال له ان الله يقرئك السلام ويقول
لك اتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما كنت فاطرق ساعة ثم قال
يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له
جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت وعن عايشة قالت ان كنا آل محمد لنمكث شهرا ما
نستوقد نارا ان هو الا التمر والماء وعن عبد الرحمن بن عوف هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير وعن عايشة وابي امامة وابن عباس نحوه
قال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت هو واهله الليالي المتتابعة طاويا
لا يجدون عشاء وعن انس قال ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة
ولا خبز له مرقق ولا راى شاة سميطا قط وعن عايشة انما كان فراشه الذي ينام عليه
ادما حشوه ليف وعن حفصة كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته مسحا
نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة باربع فلما اصبح قال ما فرشتموني الليلة فذكرنا
له ذلك فقال ردوه بحاله فان وطاته منعتني الليلة صلاتي وكان ينام احيانا على سرير
مرمول بشريط حتى يوثر في جنبه وعن عايشة قالت لم يمتلي جوف النبي صلى الله
عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى الى احد وكانت الفاقة احب اليه من الغنى وان
كان ليظل جايعا يلتوي طول ليلته من الجوع فما يمنعه صيام يومه ولو شاء سال

ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت ابكي له رحمة مما ارى به وامسح بيدي
على بطنه مما به من الجوع واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عايشة
ما لي وللدنيا اخواني من اولي العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على
حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت في
معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم وما من شي هو احب الي من اللحوق باخواني واخلاي
قالت فما اقام بعد الا اشهرا حتى توفي صلى الله عليه وسلم وأما خوفه ربه
وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال فيما حدثناه ابو محمد بن عتاب
قراءة مني عليه ثنا ابو القاسم الطرابلسي ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو زيد المروزي ثنا
ابو عبد الله الفربري ثنا محمد بن اسماعيل ثنا يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن
شهاب عن سعيد بن المسيب ان ابا هريرة كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون
ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا زاد في روايتنا عن ابي عيسى الترمذي رفعه الى ابي
ذر اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تيط ما فيها موضع
اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا
ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجارون
الى الله لوددت اني شجرة تعضد روي هذا الكلام وددت اني شجرة تعضد من قول ابي ذر
نفسه وهو اصح وفي حديث المغيرة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه
وفي رواية كان يصلي حتى ترم قدماه فقيل له اتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك
وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا ونحوه عن ابي سلمة وابي هريرة وقالت عايشة كان
عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وايكم يطيق ما كان يطيق وقالت
كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ونحوه عن ابن عباس
وام سلمة وانس وقال كنت لا تشاء ان تراه من الليل مصليا الا رايته مصليا ولا نايما

الا رأيته نايما وقال عوف بن مالك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم
توضا ثم قام يصلي فقمت معه فبدا فاستفتح البقرة فلا يمر بآية رحمة الا وقف فسال
ولا يمر بآية عذاب الا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان ذي الجبروت
والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرا آل عمران ثم سورة سورة يفعل مثل
ذلك وعن حذيفة مثله وقال سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه وقال حتى قرا
البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وعن عائشة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من
القرآن ليلة وعن عبد الله بن الشخير اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيز
كأزيز المرجل قال ابن ابي هالة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دايم الفكرة
ليست له راحة وقال عليه السلام اني لاستغفر الله تعالى في اليوم مائة مرة وروي
سبعين مرة وعن علي رضي الله عنه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته
فقال المعرفة راس مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق مركبي وذكر الله انيسي
والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضى غنيمتي والعجز فخري
والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة
عيني في الصلاة وفي حديث آخر وثمرة فؤادي في ذكره وغمي لاجل امتي وشوقي الى ربي

اعلم وفقنا الله واياك ان صفات جميع الانبياء والرسل صلوات الله
عليهم من كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن
هي هذه الصفات لانها صفة الكمال والكمال والتمام البشري والفضل الجميع لهم صلوات
الله عليهم اذ رتبتهم اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات ولكن فضل الله بعضهم على
بعض قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال تعالى ولقد اخترناهم
على علم على العالمين وقد قال عليه السلام ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر
ليلة البدر ثم قال آخر الحديث على خلق رجل واحد على صورة ابيهم آدم عليه السلام طول ستون ذراعا

في السماء وفي حديث ابي هريرة رايت موسى فاذا رجل ضرب رجل كانه
من رجال شنوءة ورايت عيسى فاذا هو رجل ربعة كثير خيلان الوجه احمر
كانما خرج من ديماس وفي حديث آخر مبطن مثل السيف قال وانا اشبه
ولد ابراهيم به وقال في حديث آخر في صفة موسى كاحسن ما انت
راء من ادم الرجال وفي حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث الله
تعالى من بعد لوط نبيا الا في ذروة من قومه ويروى في ثروة من قومه اي
كثرة ومنعة وحكى الترمذي عن قتادة ورواه الدارقطني من
حديث قتادة عن انس ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم
احسنهم وجها واحسنهم صوتا صلى الله عليه وسلم تسليما وفي حديث هرقل
وسالتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في انساب قومها
وقال تعالى في ايوب انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وقال
تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله ويوم يبعث حيا وقال ان الله يبشرك
بيحيى الى الصالحين وقال ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران
على العالمين الآيتين وقال في نوح انه كان عبدا شكورا وقال ان الله يبشرك
بكلمة منه اسمه المسيح الى الصالحين وقال اني عبد الله آتاني الكتاب الى ما دمت حيا
وقال يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبراه الله مما قالوا
الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم كان موسى حييا ستيرا ما يرى من جلده
شيء استحياء الحديث وقال تعالى عنه فوهب لي ربي حكما الآية وقال
في وصف جماعة منهم اني لكم رسول امين وقال ان خير من استاجرت القوي الامين
وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال ووهبنا له
اسحق ويعقوب كلا هدينا الى قوله فبهداهم اقتده فوصفهم باوصاف

جمة من الصلاح والهدى والاجتباء والحلم والنبوة وقال فبشرناه بغلام
عليم وقال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم إلى
أمين وقال ستجدني إن شاء الله من الصابرين وقال في اسمعيل انه كان
صادق الوعد الآية وفي موسى انه كان مخلصا وفي سليمن نعم العبد انه أواب
ثم قال وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب وقال عن يوسف
اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم وفي موسى ستجدني إن شاء الله صابرا
من الصالحين وقال وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح
ما استطعت وما توفيقي إلا بالله وقال ولوطا آتيناه حكما وعلما وقال
إنهم كانوا يسارعون في الخيرات الآية قال سفين هو الحزن الدائم في
آي كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن أخلاقهم الدالة على كمالهم
وجاء من ذلك في الأحاديث كثير كقوله عليه الصلوة والسلام
إنما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحق بن
ابرهيم نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي وفي حديث وكذلك الأنبياء تنام
أعينهم ولا تنام قلوبهم وروي أن سليمن عليه السلام كان مع ما أعطي من الملك
لا يرفع بصره إلى السماء تخشعا وتواضعا لله تعالى وكان يطعم الناس لذائذ
الأطعمة ويأكل خبز الشعير وأوحى الله إليه يا رأس العابدين وابن محجة
الزاهدين وكانت العجوز تعترضه وهو على الريح في جنوده فيقف فينظر
في حاجتها ويمضي وقيل ليوسف ما لك تجوع وأنت على خزائن الأرض
قال أخاف أن أشبع فأنسى الجائع وروى أبو هريرة عنه صلى الله عليه
وسلم خفف على داود القرآن فكان يأمر بدابته فتسرج فيقرأ القرآن
قبل أن تسرج ولا يأكل إلا من عمل يده قال الله تعالى وألنا له الحديد أن

اعمل

اعمل سابغات وقدر في السرد وكان سأل ربه أن يرزقه عملا بيده يغنيه عن
بيت مال الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم أحب الصلوة إلى الله صلوة داود وأحب
الصيام إلى الله صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه
ويصوم يوما ويفطر يوما وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر ويأكل خبز الشعير
بالملح والرماد ويمزج شرابه بالدموع ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصا
ببصره إلى السماء حياء من ربه عز وجل ولم يزل باكيا حياته كلها وقيل
بكى حتى نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت الدموع في خده أخدودا وقيل
كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيستمع الثناء عليه فيزداد تواضعا وقيل
لعيسى عليه السلام لو اتخذت حمارا فقال أنا أكرم على الله من أن يشغلني بحمار
وكان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولم يكن له بيت أينما أدركه النوم نام وكان
أحب الأسامي إليه أن يقال له مسكين وقيل إن موسى عليه السلام لما
ورد ماء مدين كانت ترى خضرة البقل في بطنه من الهزال وقال
نبينا صلى الله عليه وسلم لقد كان الأنبياء قبلي يبتلى أحدهم بالفقر والقمل
وكان ذلك أحب إليهم من العطاء إلينا وقال عيسى عليه السلام لخنزير
لقيه اذهب بسلام فقيل له في ذلك فقال أكره أن أعود لساني النطق بسوء وقال
مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان يبكي من خشية الله حتى اتخذ الدمع مجرى
في خده وكان يأكل مع الوحش لئلا يخالط الناس وحكى الطبري عن وهب
أن موسى عليه السلام كان يستظل بعريش ويأكل في نقرة من حجر ويكرع فيها
إذا أراد أن يشرب كما تكرع الدابة تواضعا لله بما أكرمه الله به من كلامه
وأخبارهم في هذا كله مسطورة وصفاتهم في الكمال وجميل الأخلاق وحسن
الصورة والشمائل معروفة مشهورة فلا نطول بها ولا نلتفت إلى ما يجده في كتب

قد أتينا **فصل** هذا مما يخالف المفسرين أو المؤرخين بعض حملة
الكريمة الله من ذكر الأخلاق الحميدة والفضائل المجيدة وخصال الكمال العديدة
وأريناك صحتها له صلى الله عليه وسلم وجلبنا من الآثار ما فيه مقنع والأمر أوسع
فمجال هذا الباب في حقه صلى الله عليه وسلم ممتد تنقطع دون نفاده الأدلاء
وبحر علم خصائصه زاخر لا تكدره الدلاء ولكنا أتينا فيه بالمعروف مما أكثره
في الصحيح والمشهور من المصنفات واقتصرنا في ذلك بقل من كل وغيض من فيض
ورأينا أن نختم هذه الفصول بذكر حديث الحسن عن ابن أبي هالة لجمعه من
شمائله وأوصافه كثيرا وإدماجه جملة كافية من سيره وفضائله ونصله
بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله حدثنا القاضي أبو علي الحسين بن محمد
الحافظ رحمه الله بقراءتي عليه سنة ثمان وخمسمائة قال حدثنا الإمام
أبو القاسم عبد الله بن طاهر التميمي قرأت عليه أخبركم الفقيه الأديب
أبو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابوري والشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد
ابن أحمد بن الحسن المحمدي والقاضي أبو علي الحسن بن علي بن جعفر الوخشي
قالوا أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن الحسن الخزاعي قال أخبرنا أبو سعيد
الهيثم بن كليب قال أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ قال
حدثنا سفين بن وكيع حدثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي إملاء من
كتابه قال حدثني رجل من بني تميم من ولد أبي هالة زوج خديجة أم المؤمنين
رضي الله عنها يكنى أبا عبد الله عن ابن لأبي هالة عن الحسن بن علي بن أبي طالب
رضي الله عنه قال سألت خالي هند بن أبي هالة **قال** القاضي أبو علي
رحمه الله وقرأت على الشيخ أبي طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد بن خداداد الكرجي
الباقلاني قال وأجاز لنا الشيخ أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون قالا أخبرنا
أبو

أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران الفارسي
قراءة عليه فأقر به قال أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر
ابن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بابن أخي
طاهر العلوي قال حدثنا إسمعيل بن محمد بن إسحق بن جعفر بن محمد بن علي
ابن الحسين عن أخيه موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن
علي بن الحسين قال قال الحسن بن علي واللفظ لهذا السند سألت خالي هند
ابن أبي هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان وصافا وأنا أرجو
أن يصف لي منها شيئا أتعلق به **قال** كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر أطول من المربوع
وأقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر إن انفرقت عقيقته فرق
وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره أزهر اللون واسع الجبين
أزج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب أقنى العرنين له
نور يعلوه ويحسبه من لم يتأمله أشم كث اللحية أدعج سهل الخدين
ضليع الفم مفلج الأسنان دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية في صفاء
الفضة معتدل الخلق بادنا متماسكا سواء البطن والصدر مسيح الصدر
بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس أنور المتجرد موصول ما بين اللبة
والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين مما سوى ذلك أشعر
الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين
والقدمين سائل الأطراف أو قال سائن الأطراف وسائر الأطراف سبط
العصب خمصان الأخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء إذا
زال زال تقلعا ويخطو تكفؤا ويمشي هونا ذريع المشية إذا مشى

كأنما ينحط من صبب وإذا التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره إلى الأرض
أطول من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظة يسوق أصحابه ويبدر من لقي
بالسلام **قلت** صف لي منطقه **قال** كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل
الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت
يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه
ولا تقصير دمثا ليس بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وإن دقت لا يذم
شيئا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام لغضبه إذا تعرض للحق بشيء
حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها إذا أشار أشار بكفه كلها وإذا
تعجب قلبها وإذا تحدث اتصل بها فضرب بإبهامه اليمنى راحته اليسرى وإذا
غضب أعرض وأشاح وإذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن
مثل حب الغمام **قال** الحسن فكتمتها الحسين بن علي زمانا ثم حدثته عن
هذا فوجدته قد سبقني إليه فسأل أباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيئا **قال** الحسين سألت أبي
عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه مأذونا
له في ذلك فكان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزءا لله تعالى
وجزءا لأهله وجزءا لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فيرد
ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئا فكان من سيرته في جزء الأمة
إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين منهم ذو الحاجة
ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم
والأمة من مسألته عنهم وإخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد
منكم الغائب وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي حاجته فإنه من أبلغ سلطانا

حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة لا يذكر عنده إلا ذلك
لا يقبل من أحد غيره قال في حديث سفين بن وكيع يدخلون روادا ولا
يفترقون إلا عن ذواق ويخرجون أدلة يعني فقهاء **قلت** فأخبرني عن
مخرجه كيف كان يصنع فيه **قال** كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن
لسانه إلا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا ينفرهم يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم
ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره وخلقه ويتفقد
أصحابه ويسأل الناس عما في الناس ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح
ويوهنه معتدل الأمر غير مختلف لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا لكل
حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه إلى غيره الذين يلونه من الناس
خيارهم وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم
مواساة وموازرة **فسألته** عن مجلسه عما كان يصنع فيه **فقال** كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر ولا يوطن الأماكن وينهى
عن إيطانها وإذا انتهى إلى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ويعطي
كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه من جالسه
أو قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من سأله حاجة لم يرده
إلا بها أو بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا
عنده في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى **وفي** الرواية الأخرى وصاروا
عنده في الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة لا ترفع فيه الأصوات
ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنثى فلتاته وهذه الكلمة من غير ابن وكيع متعادلين يتفاضلون
فيه بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ويرفدون
ذا الحاجة ويحفظون الغريب **فسألته** عن سيرته صلى الله عليه وسلم

في جلسائه **فقال** كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق
لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح
يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه قد ترك نفسه من ثلاث المراء والإكثار
وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم أحدا ولا يعيبه ولا يطلب
عورته ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على
رؤوسهم الطير وإذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث من تكلم عنده
أنصتوا له حتى يفرغ حديثهم حديث أوليتهم يضحك مما يضحكون منه
ويتعجب مما يتعجبون ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق ويقول إذا رأيتم صاحب
الحاجة يطلبها فأرفدوه ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ بأتيها أو دوام
هنا انتهى حديث سفين بن وكيع وزاد الآخر **قلت** كيف كان
سكوته صلى الله عليه وسلم **قال** كان سكوته على أربع على الحلم والحذر
والتقدير والتفكر فأما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس
وأما تفكره ففي ما يبقى ويفنى وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم في الصبر فكان
لا يغضبه شيء يستفزه وجمع له في الحذر أربع أخذه بالحسن ليقتدى به وتركه
القبيح لينتهى عنه واجتهاده الرأي بما أصلح أمته والقيام لهم بما جمع لهم
أمر الدنيا والآخرة انتهى الوصف بحمد الله تعالى **فصل** في تفسير
غريب هذا الحديث ومشكله **قوله** المشذب أي البائن الطول في نحافة
وهو مثل قوله في الحديث الآخر ليس بالطويل الممغط والشعر الرجل
الذي كأنه مشط فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد والعقيقة شعر الرأس
أراد إن انفرقت من ذاتها فرقها وإلا تركها معقوصة ويروى عقيصته
وأزهر اللون نير وقيل أزهر حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا أي زينتها

وهذا كما قال في الحديث الآخر ليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم والأمهق هو
الناصع البياض والآدم الأسمر اللون ومثله في الحديث الآخر أبيض مشرب
أي فيه حمرة والحاجب الأزج المقوس الطويل الوافر الشعر والأقنى السائل
الأنف المرتفع وسطه والأشم الطويل قصبة الأنف والقرن اتصال شعر
الحاجبين وضده البلج ووقع في حديث أم معبد وصفه بالقرن والأدعج
الشديد سواد الحدقة وفي الحديث الآخر أشكل العين وأسجر العين وهو
الذي في بياضها حمرة والضليع الواسع والشنب رونق الأسنان وماؤها
وقيل رقتها وتحزيز فيها كما يوجد في أسنان الشباب والفلج فرق بين الثنايا
ودقيق المسربة خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة بادن ذو لحم ومتماسك
معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا مثل قوله في الحديث الآخر لم يكن بالمطهم
ولا بالمكلثم أي ليس بمسترخي اللحم والمكلثم القصير الذقن وسواء
البطن والصدر أي مستويهما ومشيح الصدر إن صحت هذه اللفظة فتكون
من الإقبال وهو أحد معاني أشاح أي أنه كان بادي الصدر ولم يكن في
صدره قعس وهو تطامن فيه وبه يتضح قوله قبل سواء البطن والصدر أي
ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن ولعل اللفظة مسيح بالسين وفتح
الميم بمعنى عريض كما وقع في الرواية الأخرى وحكاه ابن دريد والكراديس
رؤوس العظام وهو مثل قوله في الحديث الآخر جليل المشاش والكتد والمشاش
رؤوس المناكب والكتد مجتمع الكتفين وشثن الكفين والقدمين لحيمهما والزندان
عظما الذراع وسائل الأطراف أي طويل الأصابع وذكر ابن الأنباري
أنه روي سابل الأطراف أو قال سابن بالنون وهما بمعنى واحد تبدل
اللام من النون إن صحت الرواية بهما وأما على الرواية الأخرى وسائر

الأطراف فإشارة إلى ضخامة جوارحه كما وقعت مفصلة في الحديث ورحب الراحة
أي واسعها وقيل كناية عن سعة العطاء والجود وخمصان الأخمصين أي متجافي
أخمص القدم وهو الموضع الذي لا تناله الأرض من وسط القدم ومسيح القدمين
أي أملسهما ولذلك قال ينبو عنهما الماء وفي حديث أبي هريرة خلاف هذا
قال فيه إذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له أخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح
القدمين وبه قالوا سمي المسيح عيسى بن مريم أي أنه لم يكن له أخمص وقيل مسيح
لا لحم عليهما وهذا أيضا يخالف قوله شثن القدمين والتقلع هو رفع الرجل
بقوة والتكفؤ الميل إلى سنن المشي وقصده والهون الرفق والوقار والذريع
الواسع الخطو أي أن مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف
مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما
قال كأنما ينحط من صبب وقوله يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه أي لسعة
فمه والعرب تمادح بهذا وتذم بصغر الفم وأشاح مال وانقبض وحب
الغمام البرد وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة أي جعل من جزء
نفسه ما يوصل الخاصة إليه فتوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه للخاصة
ثم يبدلها في جزء آخر بالعامة ويدخلون روادا أي محتاجين إليه
وطالبين لما عنده ولا يتفرقون إلا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه ويشبه
أن يكون على ظاهره أي في الغالب والأكثر والعتاد العدة والشيء
الحاضر المعد والموازرة المعاونة وقوله لا يوطن الأماكن أي لا
يتخذ للمصلى موضعا معلوما وقد ورد نهيه عن هذا مفسرا في غير
هذا الحديث وصابر أي حبس نفسه على ما يريد صاحبه ولا تؤبن فيه الحرم
أي لا يذكرن بسوء ولا تنثى فلتاته أي لا يتحدث بها أي لم تكن فيه فلتة وإن كانت

من أحد سترت ويرفدون يعينون والسخاب الكثير الصياح وقوله ولا يقبل الثناء
إلا من مكافئ قيل مقتصد في ثنائه ومدحه وقيل إلا من مسلم وقيل إلا من
مكافئ على يد سبقت من النبي صلى الله عليه وسلم له ويستفزه يستخفه وفي
حديث آخر في وصفه صلى الله عليه وسلم منهوس العقب أي قليل لحمها وأهدب
الأشفار أي طويل شعرها انتهى التفسير والحمد لله رب العالمين وآله الطيبين
وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا

الباب الثالث

فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه
به في الدارين من كرامته صلى الله عليه وسلم تسليما لا خلاف أنه أكرم البشر
وسيد ولد آدم وأفضل الناس منزلة عند الله وأعلاهم درجة وأقربهم
زلفى واعلم أن الأحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها على
صحيحها ومنتشرها وحصرنا معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلا والحمد لله وحده

الفصل الأول

فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه والاصطفاء
ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد آدم وما خصه به في الدنيا من
مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب صلى الله عليه وسلم أخبرنا الشيخ أبو محمد
عبد الله بن أحمد العدل إذنا بلفظه قال حدثنا أبو الحسن الفرغاني حدثتنا
أم القاسم بنت أبي بكر بن يعقوب عن أبيها حدثنا حاتم هو ابن عقيل عن يحيى
هو ابن إسماعيل عن يحيى الحماني حدثنا قيس عن الأعمش عن عباية بن ربعي
عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى قسم الخلق
قسمين فجعلني من خيرهم قسما فذلك قوله أصحاب اليمين وأصحاب الشمال
فأنا من أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلني في
خيرها ثلثا وذلك قوله فأصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة والسابقون فأنا

فأصحاب

من التابعين وأنا خير التابعين ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك قوله وجعلناكم شعوبا وقبائل الآية فأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا فذلك قوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية وعن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله اصطفى من ولد إبرهيم إسمعيل واصطفى من ولد إسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم ومن حديث أنس أنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ومن حديث ابن عباس أنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر وعن عائشة رضي الله عنها عنه صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل فقال قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أر رجلا أفضل من محمد ولم أر بني أب أفضل من بني هاشم وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بالبراق ليلة أسري به فاستصعب عليه فقال له جبريل أبمحمد تفعل هذا فما ركبك أحد أكرم على الله منه فارفض عرقا وعن ابن عباس رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم لما خلق الله آدم أهبطني في صلبه إلى الأرض وجعلني في صلب نوح في السفينة وقذف بي في النار في صلب إبرهيم ثم لم يزل ينقلني في الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة حتى أخرجني بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط وإلى هذا أشار العباس بن عبد المطلب عمه فيه بقوله

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق ۵ ثم هبطت البلاد لا بشر أنت ولا مضغة ولا علق بل نطفة تركب السفين وقد ألجم نسرا

وأهل

وأهله الغرق تنقل من صالب إلى رحم إذا عالم بدا طبق في أبيات أخر

وروى عنه صلى الله عليه وسلم أبو ذر وابن عباس وابن عمر وأبو هريرة وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم أنه قال أعطيت خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل أدركته الصلوة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي وبعثت إلى الناس كافة وأعطيت الشفاعة وفي رواية بدل هذه الكلمة وقيل لي سل تعطه وفي رواية أخرى وعرض علي أمتي فلم يخف علي التابع من المتبوع وفي رواية بعثت إلى الأحمر والأسود قيل الأسود العرب لأن الغالب على ألوانهم الأدمة فهم من السود والحمر العجم وقيل البيض والسود من الأمم وقيل الحمر الإنس والسود الجن وفي الحديث الآخر عن أبي هريرة نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم وبينا أنا نائم إذ جيء بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي وفي رواية عنه وختم بي النبيون وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها وعن عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا محمد النبي الأمي لا نبي بعدي أوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة العرش وعن ابن عمر رضي الله عنهما بعثت بين يدي الساعة ومن رواية ابن وهب أنه صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى سل يا محمد فقلت ما أسأل يا رب اتخذت إبرهيم خليلا وكلمت موسى تكليما واصطفيت نوحا وأعطيت سليمن ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فقال الله تعالى ما أعطيتك خير من ذلك أعطيتك

الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السماء وجعلت الأرض طهورًا لك
ولأمتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فأنت تمشي في الناس مغفورًا
لك ولم أصنع ذلك لأحد قبلك وجعلت قلوب أمتك مصاحفها وخبأت لك شفاعتك
ولم أخبأها لنبي غيرك وفي حديث آخر رواه حذيفة بشرني يعني ربه أول
من يدخل الجنة معي من أمتي سبعون ألفًا مع كل ألف سبعون ألفًا ليس عليهم حساب
وأعطاني أن لا تجوع أمتي ولا تغلب وأعطاني النصر والعزة والرعب يسعى
بين يدي أمتي شهرًا وطيب لي ولأمتي الغنائم وأحل لنا كثيرًا مما شدد على من
قبلنا ولم يجعل علينا في الدين من حرج وعن أبي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم
ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما
كان الذي أوتيت وحيًا أوحى الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيمة
معنى هذا عند المحققين بقاء معجزته ما بقيت الدنيا وسائر معجزات الأنبيا
ذهبت للحين ولم يشاهدها إلا الحاضر لها ومعجز القرآن يقف عليها قرن
بعد قرن عيانًا لا خبرًا إلى يوم القيمة وفيه كلام يطول هذا نجتنبه وقد
بسطنا القول فيه وفيما ذكر فيه سوى هذا آخر باب المعجزات وعن علي
رضي الله عنه كل نبي أعطي سبعة نجباء من أمته وأعطي نبيكم صلى الله عليه
وسلم أربعة عشر نجيبًا منهم أبو بكر وعمر وابن مسعود وعمار وقال صلى الله
عليه وسلم إن الله قد حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وإنها
لم تحل لأحد بعدي وإنما أحلت لي ساعة من نهار وعن العرباض بن سارية
رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إني عبد الله وخاتم
النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته ودعوة أبي إبرهيم وبشارة عيسى بن مريم
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال إن الله فضل محمدًا صلى الله عليه وسلم

على أهل السماء وعلى الأنبياء صلوات الله عليهم قالوا فما فضله على أهل السماء قال
إن الله تعالى قال لأهل السماء ومن يقل منهم إني إله من دونه الآية وقال
لمحمد صلى الله عليه وسلم إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا الآية قالوا فما فضله على الأنبياء
قال إن الله تعالى قال وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه وقال لمحمد
صلى الله عليه وسلم وما أرسلناك إلا كافة للناس وعن خالد بن معدان رضي
الله عنه أن نفرًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله
أخبرنا عن نفسك وقد روي نحوه عن أبي ذر وشداد بن أوس وأنس بن
مالك فقال نعم أنا دعوة أبي إبرهيم يعني قوله ربنا وابعث فيهم رسولًا
منهم وبشرى عيسى ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له
قصور بصرى من أرض الشام واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا أنا مع أخ
لي خلف بيوتنا نرعى بهمًا لنا إذ جاءني رجلان عليهما ثياب بيض وفي
حديث آخر ثلاثة رجال بطست من ذهب مملوءة ثلجًا فأخذاني فشقا بطني
قال في غير هذا الحديث من نحري إلى مراق بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه
فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى
أنقياه قال في حديث آخر ثم تناول أحدهما شيئًا فإذا بخاتم في يده من
نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ إيمانًا وحكمة ثم أعاده مكانه
وأمر الآخر يده على مفرق صدري فالتأم وفي رواية أن جبريل قال
قلب وكيع أي شديد فيه عينان تبصران وأذنان سميعتان ثم قال أحدهما
لصاحبه زنه بعشرة من أمته فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من أمته فوزنني
فرجحتهم ثم قال زنه بألف من أمته فوزنني فرجحتهم ثم قال
دعه عنك فلو وزنته بأمته لوزنها قال في الحديث الآخر ثم ضموني

إلى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع إنك لو تدري ما
يراد بك من الخير لقرت عيناك وفي بقية هذا الحديث من قولهم ما أكرمك
على الله إن الله معك وملائكته قال في حديث أبي ذر فما هو إلا أن وليا عني
فكأنما أرى الأمر معاينة وحكى أبو محمد مكي وأبو الليث السمرقندي وغيرهما
أن آدم عليه السلام عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي ويروى
تقبل توبتي فقال له الله عز وجل من أين عرفت محمدا قال رأيت في كل موضع
من الجنة مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي
فعلمت أنه أكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند قائله تأويل
قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وفي رواية الآجري قال
فقال آدم لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب لا إله إلا الله محمد
رسول الله فعلمت أنه ليس أحد أعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك
فأوحى الله إليه وعزتي وجلالي إنه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما
خلقتك قال وكان آدم يكنى بأبي محمد وقيل بأبي البشر ويروى عن يونس أنه
قال إن لله ملائكة سياحين عبادتهم كل دار فيها أحمد أو محمد إكراما منهم
لمحمد صلى الله عليه وسلم وروى ابن قانع القاضي عن أبي الحمراء قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسري بي إلى السماء إذا على العرش مكتوب لا إله
إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلي وفي التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما
في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن
أيقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن أيقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن رأى
الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها أنا الله لا إله إلا أنا محمد عبدي
ورسولي وعن ابن عباس رضي الله عنهما على باب الجنة مكتوب إني أنا الله لا

إله

إله إلا أنا محمد رسول الله لا أعذب من قالها وذكر أنه وجد على الحجارة القديمة
مكتوب لا إله إلا الله محمد تقي مصلح وسيد أمين وذكر السمنطاري أنه شاهد
في بعض بلاد خراسان مولودا ولد على أحد جنبيه مكتوب لا إله إلا الله
وعلى الآخر محمد رسول الله وذكر الأخباريون أن ببلاد الهند وردا أحمر
مكتوبا عليه بالأبيض لا إله إلا الله محمد رسول الله وروى عن جعفر بن محمد
عن أبيه إذا كان يوم القيامة نادى مناد ألا ليقم من اسمه محمد فليدخل
الجنة لكرامة اسمه عليه الصلاة والسلام وروى ابن القاسم في سماعه وابن
وهب في جامعه عن مالك سمعت أهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد
إلا نمى ورزقوا وعن عبد الله بن مسعود أن الله تعالى نظر إلى قلوب العباد
فاختار منها قلب محمد صلى الله عليه وسلم فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته وحكى
النقاش أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله
الآية قام خطيبا فقال يا معشر أهل الإيمان إن الله فضلني عليكم
تفضيلا وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا الحديث

فصل في تفضيله
بما تضمنته كرامة الإسراء من المناجاة والرؤية وإمامة الأنبياء والعروج به إلى
سدرة المنتهى وما رأى من آيات ربه الكبرى صلى الله عليه وسلم تسليما ومن خصائصه
عليه الصلاة والسلام قصة الإسراء وما انطوت عليه من درجات الرفعة
مما نبه عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الأخبار قال الله سبحان الذي
أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الآية وقال عز وجل والنجم إذا هوى إلى
قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى فلا خلاف بين المسلمين في صحة الإسراء
به صلى الله عليه وسلم إذ هو نص القرآن وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه وخواص
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيه أحاديث كثيرة منتشرة رأينا أن نقدم أكملها

ونسبه الى زيادة من غير يحب ذكرها حدثنا القاضي الشهيد ابو علي والفقيه
ابو بحر بسماعي عليهما والقاضي ابو عبد الله التميمي وغير واحد من شيوخنا قالوا
حدثنا ابو العباس العذري حدثنا ابو العباس الرازي حدثنا ابو احمد الجلودي
حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا حماد بن سلمة
حدثنا ثابت البناني عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق
وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال
فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الانبيا ثم دخلت المسجد
فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت
اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل
فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد
بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بادم صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج
بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن
مريم ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى
السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف صلى الله عليه وسلم
واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء
الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس فرحب بي ودعا لي بخير قال الله تعالى ورفعناه
مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهرون فرحب بي ودعا
لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى فرحب
بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابرهيم مسند
ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون

اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى واذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال
فلما غشيها من امر الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها
فاوحى الله الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال
ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فسله التخفيف فان
امتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي
فقلت يا رب خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا قال
ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فسله التخفيف قال فلم ازل ارجع
بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة
بكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة
فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سيئة
واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فسله التخفيف
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه
قال القاضي رحمه الله جود ثابت رحمه الله هذا الحديث عن انس ما
شاء ولم يات احد عنه باصوب من هذا وقد خلط فيه غيره عن انس تخليطا كثيرا
لا سيما من رواية شريك بن ابي نمر فقد ذكر في اوله مجي الملك له وشق
بطنه وغسله بماء زمزم وهذا انما كان وهو صبي وقبل الوحي وقد قال
شريك في حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر قصة الاسراء ولا خلاف
انها كانت بعد الوحي وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل
هذا وقد روى ثابت عن انس من رواية حماد بن سلمة ايضا مجي جبريل الى النبي صلى
الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره وشقه قلبه تلك القصة مفردة
من حديث الاسراء كما رواه الناس فجود في القصتين وفي ان الاسراء الى بيت المقدس

وأن سدرة المنتهى كان قصة واحدة وأنه وصل إلى البيت المقدس ثم عرج به من هناك
فأزاح كل إشكال أوهمه غيره **وقد روى** يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك قال كان أبو
ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي فنزل جبريل ففرج
صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغها
في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بنا إلى السماء فذكر القصة **وروى**
قتادة الحديث بطوله عن أنس عن مالك بن صعصعة وفيها تقديم وتأخير وزيادة
ونقص وخلاف في ترتيب الأنبياء في السموات وحديث ثابت عن أنس أتقن
وأجود **وقد** وقعت في حديث الإسراء زيادات نذكر منها نكتا مفيدة في غرضنا
منها في حديث ابن شهاب وفيه قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والأخ
الصالح إلا آدم وإبرهيم فقالا له والابن الصالح **وفيه** من حديث ابن عباس ثم
عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام **وعن** أنس ثم انطلق بي
حتى أتيت سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي قال ثم أدخلت الجنة **وفي**
حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته يعني موسى بكى فنودي ما يبكيك قال
رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتي **وفي**
حديث أبي هريرة وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فحانت الصلوة فأممتهم فقال
قائل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت فبدأني بالسلام **وفي**
حديث أبي هريرة ثم سار حتى أتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه إلى صخرة فصلى
مع الملئكة فلما قضيت الصلوة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد رسول
الله خاتم النبيين قالوا وقد أرسل إليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ وخليفة
فنعم الأخ ونعم الخليفة ثم لقوا أرواح الأنبياء فأثنوا على ربهم وذكر كلام
كل واحد منهم وهم إبرهيم وموسى وعيسى وداود وسليمن ثم ذكر كلام

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم قال وإن محمدا صلى الله عليه وسلم أثنى على ربه فقال
كلكم أثنى على ربه وأنا أثني على ربي **الحمد لله** الذي أرسلني رحمة للعالمين
وكافة للناس بشيرا ونذيرا وأنزل علي الفرقان فيه تبيان كل شيء وجعل أمتي خير أمة
وجعل أمتي أمة وسطا وجعل أمتي هم الأولون وهم الآخرون وشرح صدري
ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال إبرهيم
صلى الله عليه وسلم بهذا فضلكم محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر أنه عرج به إلى
السماء الدنيا ومن سماء إلى سماء نحو ما تقدم **وفي** حديث ابن مسعود وانتهى بي إلى
سدرة المنتهى وهي في السماء السابعة إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض
منها وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال إذ يغشى السدرة ما يغشى قال
فراش من ذهب **وفي** حديث أبي هريرة من طريق الربيع بن أنس فقيل لي هذه
سدرة المنتهى ينتهي إليها كل أحد من أمتك خلا على سبيلك وهي السدرة المنتهى يخرج
من أصلها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة
للشاربين وأنهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما
وإن ورقة منها مظلة الخلق فغشيها نور وغشيتها الملئكة قال فهو قوله إذ يغشى
السدرة ما يغشى قال الله تبارك وتعالى له سل فقال إنك اتخذت إبرهيم
خليلا وأعطيته ملكا عظيما وألنت له الحديد وسخرت له الجبال وأعطيت
سليمن ملكا عظيما وسخرت له الجن والإنس والشياطين والرياح وأعطيته
ملكا لا ينبغي لأحد من بعده وعلمت عيسى التوراة والإنجيل وجعلته يبرئ الأكمه
والأبرص وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل **فقال له
ربه تعالى** قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن وأرسلتك
للناس كافة وجعلت أمتك هم الأولون وهم الآخرون وجعلت أمتك لا

يجوزهم خطبة حتى تشهد وانك عبدي ورسولي وجعلتك اول النبيين
خلقا واخرهم بعثا واعطيتك سبعا من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك واعطيتك
خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم اعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا
وخاتما قال فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا اعطي الصلوات الخمس
واعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا من امته المقحمات وقال
ما كذب الفؤاد ما رأى الآيتين رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح وفي
حديث شريك انه رأى موسى في السابعة قال بتفضيل كلام الله قال ثم علا به
فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله فقال موسى لم اظن ان يرفع علي احد وقد روي
عن انس انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبياء ببيت المقدس وعن انس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل عليه
السلام فوكز بين كتفي فقمت الى شجرة فيها مثل وكري الطائر فقعد في واحدة وقعدت
في الاخرى فسمت حتى سدت الخافقين ولو شئت لمسست السماء وانا اقلب طرفي ونظرت
جبريل كانه حلس لاطئ فعرفت فضل علمه بالله علي وفتح لي باب السماء ورأيت
النور الاعظم واذا دوني الحجاب وفرجة الدر والياقوت ثم اوحى الله الي ما شاء ان
يوحي وذكر البزار عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما اراد الله تعالى ان
يعلم رسوله الاذان جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها فاستصعبت
عليه فقال لها جبريل اسكني فوالله ما ركبك عبد اكرم على الله من محمد صلى الله
عليه وسلم فركبها حتى اتى بها الى الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى فبينا هو كذلك
اذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل من
هذا قال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رأيته
منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له من

ورا

وراء الحجاب صدق عبدي انا الله لا اله الا انا وذكر مثل هذا في بقية الاذان
الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حي على الصلاة حي على الفلاح وقال ثم اخذ الملك
بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه فأم اهل السماء فيهم آدم ونوح قال
ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين راويه اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على
اهل السموات والارض قال القاضي رحمه الله ما في هذا الحديث من ذكر
الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون والباري جل اسمه منزه
عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس ولكن حجبه على ابصار خلقه وبصائرهم
وادراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء كقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون فقوله في هذا الحديث الحجاب واذ خرج ملك من الحجاب يجب ان يقال
انه حجاب حجب به من وراءه من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه
وعظمته وعجائب ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث قول جبريل عن
الملك الذي خرج من ورائه ان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي
هذه تدل على ان هذا الحجاب لم يختص بالذات ويدل عليه قول كعب في تفسير
سدرة المنتهى قال اليها ينتهي علم الملائكة وعندها يجدون امر الله تعالى لا يجاوزها
علمهم واما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف المضاف اي يلي عرش الرحمن او امرا
ما من عظيم آياته او مبادئ حقائق معارفه مما هو اعلم به كما قال تعالى واسأل
القرية التي كنا فيها اي اهلها وقوله من وراء الحجاب صدق انا اكبر وظاهره انه
سمع في هذا الموطن كلام الله تعالى ولكن من وراء حجاب كما قال تعالى وما
كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب اي وهو لا يراه حجب بصره
عن رؤيته فان صح القول بان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فيحتمل انه في غير
هذا الموطن بعد هذا او قبله رفع الحجاب عن بصره حتى رآه فالله اعلم

بعيد

فصل ثم اختلف السلف والعلماء هل كان إسراؤه بروحه أو جسده على ثلاث
مقالات **فذهبت** طائفة إلى أنه إسراء بالروح وأنه رؤيا منام مع اتفاقهم أن رؤيا
الأنبياء حق ووحي وإلى هذا ذهب معوية وحكي عن الحسن والمشهور عنه خلافه
وإليه أشار محمد بن إسحق وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك وما
حكوا عن عائشة ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا أنا نائم
وقول أنس وهو نائم في المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال في آخرها فاستيقظت
وأنا بالمسجد الحرام **وذهب** معظم السلف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد وفي
اليقظة وهذا هو الحق وهو قول ابن عباس وجابر وأنس وحذيفة وعمر وأبي
هريرة ومالك بن صعصعة وأبي حبة البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد
ابن جبير وقتادة وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد والحسن وإبراهيم ومسروق
ومجاهد وعكرمة وابن جريج وهو دليل قول عائشة وهو قول الطبري
وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين وهو قول أكثر المتأخرين من الفقهاء
والمحدثين والمتكلمين والمفسرين **وقالت** طائفة كان الإسراء بالجسد يقظة
من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وإلى السماء بالروح واحتجوا بقوله سبحان
الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى فجعل إلى المسجد الأقصى
غاية الإسراء الذي وقع التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي
محمد صلى الله عليه وسلم بإظهار الكرامة له بالإسراء إليه قال هؤلاء ولو كان الإسراء
بجسده إلى زائد على المسجد الأقصى لذكره فيكون أبلغ في المدح **ثم** اختلفت هذه
الفرقتان هل صلى صلى الله عليه وسلم ببيت المقدس أم لا ففي حديث أنس وغيره
ما تقدم من صلاته فيه وأنكر ذلك حذيفة بن اليمان وقال والله ما زالا عن
ظهر البراق حتى رجعا **قال** القاضي رضي الله عنه والحق من هذا والصحيح إن شاء الله

انه

أنه إسراء بالجسد والروح في القصة كلها وعليه تدل الآية وصحيح الأخبار
والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة
وليس في الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة إذ لو كان مناما لقال بروح عبده
ولم يقل بعبده وقوله ما زاغ البصر وما طغى ولو كان مناما لما كانت فيه آية
ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء من أسلم وافتتنوا
به إذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم إلا وقد علموا إنما كان عن جسمه
وحال يقظته الى ما ذكر في الحديث من ذكر صلاته بالأنبياء ببيت المقدس في رواية
أنس أو في السماء على ما روى غيره وذكر مجيء جبريل له بالبراق وخبر المعراج واستفتاح
السماء فيقال ومن معك فيقول محمد ولقائه الأنبياء فيها وخبرهم معه وترحيبهم
به وشأنه في فرض الصلاة ومراجعته مع موسى في ذلك وفي بعض هذه الأخبار
فأخذ يعني جبريل بيدي فعرج بي إلى السماء إلى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت
لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام وأنه وصل سدرة المنتهى وأنه دخل الجنة ورأى
فيها ما ذكره قال ابن عباس هي رؤيا عين رآها النبي صلى الله عليه وسلم لا رؤيا
منام **وعن** الحسن فيه بينا أنا نائم في الحجر جاءني جبريل فهمزني بعقبه فقمت
فجلست فلم أر شيئا فعدت لمضجعي فذكر ذلك ثلاثا فقال في الثالثة فأخذ بعضدي
فجرني إلى باب المسجد فإذا بدابة وذكر خبر البراق **وعن** أم هانئ ما أسري
برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو في بيتي تلك الليلة صلى العشاء الآخرة
ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر أهببنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح
وصلينا قال يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي
ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الآن كما ترون وهذا
بين في أنه بجسمه **وعن** أبي بكر من رواية شداد بن أوس عنه أنه قال للنبي صلى الله

عليه وسلم ليلة أسري به طلبتك يا رسول الله البارحة في مكانك فلم أجدك فأجابه أن جبريل حمله إلى المسجد الأقصى **وعن** عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة أسري بي في مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة فإذا بملك قائم معه آنية ثلث وذكر الحديث **وهذه** التصريحات ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على ظاهرها **وعن** أبي ذر رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل فشرح صدري ثم غسله بماء زمزم إلى آخر القصة ثم أخذ بيدي فعرج بي **وعن** أنس أتيت فانطلقوا بي إلى زمزم فشرح عن صدري **وعن** أبي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء لم أثبتها فكربت كربا ما كربت مثله فرفعه الله لي أنظر إليه ونحوه عن جابر **وقد** روى عمر بن الخطاب في حديث الإسراء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ثم رجعت إلى خديجة وما تحولت عن جانبها **فصل** في إبطال حجج من قال إنها نوم احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس فسماها رؤيا قلنا قوله سبحان الذي أسرى بعبده يرده لأنه لا يقال في النوم أسرى وقوله فتنة للناس يؤيد أنها رؤيا عين وإسراء بشخص إذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب به أحد لأن كل أحد يرى مثل ذلك في منامه من الكون في ساعة واحدة في أقطار متباينة على أن المفسرين قد اختلفوا في هذه الآية فذهب بعضهم إلى أنها نزلت في قضية الحديبية وما وقع في نفوس الناس من ذلك وقيل غير هذا وأما قولهم إنه قد سماها في الحديث مناما وقوله في حديث آخر بين النائم واليقظان وقوله أيضا وهو نائم وقوله ثم استيقظت فلا حجة فيه إذ قد يحتمل أن أول وصول الملك إليه كان وهو نائم أو أول حمله والإسراء به وهو نائم وليس في الحديث أنه كان نائما في القصة كلها إلا ما

يدل عليه ثم استيقظت وأنا في المسجد الحرام فلعل قوله استيقظت بمعنى أصبحت واستيقظ من نوم آخر بعد وصوله بيته ويدل عليه أن مسراه لم يكن طول ليله وإنما كان في بعضه وقد يكون قوله استيقظت وأنا في المسجد الحرام لما كان غمره من عجائب ما طالع من ملكوت السموات والأرض وخامر باطنه من مشاهدة الملأ الأعلى وما رأى من آيات ربه الكبرى فلم يستفق ويرجع إلى حال البشرية إلا وهو بالمسجد الحرام **ووجه** ثالث أن يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه أسري بجسده وقلبه حاضر ورؤيا الأنبياء حق تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم وقد مال بعض أصحاب الإشارات إلى نحو من هذا قال تغمض عينيه لئلا يشغله شيء من المحسوسات عن الله تعالى عز وجل ولا يصح أن يكون هذا في وقت صلاته بالأنبياء ولعله كانت له في هذا الإسراء حالات **ووجه** رابع وهو أن يعبر بالنوم ها هنا عن هيئة النائم بالاضطجاع ويقويه قوله في رواية عبد بن حميد عن همام بينا أنا نائم وربما قال مضطجع وفي رواية هدبة عنه بينا أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع وقوله في الرواية الأخرى بين النائم واليقظان فيكون سمى هيئته بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا **وذهب** بعضهم إلى أن هذه الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة في هذا الحديث إنما هي من رواية شريك عن أنس فهي منكرة من روايته إذ شق البطن في الأحاديث الصحيحة إنما كان في صغره عليه الصلاة والسلام وقبل النبوة ولأنه قال في الحديث قبل أن يبعث والإسراء كان بإجماع بعد المبعث فهذا كله يوهن ما وقع في رواية أنس مع أن أنسا قد بين من غير طريق أنه إنما رواه عن غيره وأنه لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة

على الشك وقال من كان أبو ذر يحدث **وأما** قول عايشة ما فقد جسده فعايشة
لم تحدث به عن مشاهدة لأنها لم تكن حينئذ زوجة ولا في سن من تضبط ولعلها
لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الإسراء متى كان فإن الإسراء كان في أول الإسلام
على قول الزهري ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت عايشة في الهجرة
بنت نحو ثمانية أعوام وقد قيل كان الإسراء لخمس قبل الهجرة وقيل قبل
الهجرة بعام والأشبه أنه لخمس والحجة لذلك تطول ليست من غرضنا فإذا لم
تشاهد ذلك عايشة دل أنها حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها على خبر
غيرها وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا في حديث أم هانئ وغيره وأيضا فليس
حديث عايشة بالثابت والأحاديث الأخر أثبت لسنا نعني حديث أم هانئ وما
ذكرت فيه خديجة رضي الله عنها وأيضا فقد روي في حديث عايشة ما فقدت ولم
يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم إلا بالمدينة وكل هذا يوهنه بل الذي يدل
عليه صحيح قولها إنه بجسده لإنكارها أن يكون رؤياه لربه رؤيا عين ولو
كانت عندها مناما لم تنكره **فإن قيل** فقد قال تبارك وتعالى ما كذب
الفؤاد ما رأى فقد جعل ما رآه للقلب وهذا يدل على أنها رؤيا نوم ووحي
لا مشاهدة عين وحس **قلنا** يقابله قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فقد
أضاف الأمر للبصر وقد قال أهل التفسير في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما
رأى أي لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها وقيل ما
أنكر قلبه ما رأته عينه **فصل** وأما رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه جل
وعز فاختلف السلف فيها فأنكرته عايشة حدثنا أبو الحسين سراج بن
عبد الملك الحافظ بقراءتي عليه قال حدثني أبي وأبو عبد الله بن عتاب الفقيه
قالا حدثنا القاضي يونس بن مغيث حدثنا أبو الفضل الصقلي حدثنا ثابت بن قاسم

بن ثابت عن أبيه وجده قالا حدثنا عبد الله بن علي حدثنا محمود بن آدم حدثنا وكيع
عن ابن أبي خالد عن عامر عن مسروق أنه قال لعايشة يا أم المومنين هل
رأى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت ثلاث من حدثك بهن فقد
كذب من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الأبصار
الآية وذكر الحديث **وقالت** جماعة بقول عايشة رضي الله عنها وهو
المشهور عن ابن مسعود ومثله عن أبي هريرة أنه إنما رأى جبريل واختلف عنه
وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء
والمتكلمين **وعن** ابن عباس أنه رآه بعينه وروى عطاء عنه أنه رآه بقلبه
وعن أبي العالية عنه أنه رآه بفؤاده مرتين **وذكر** ابن إسحاق أن ابن عمر
أرسل إلى ابن عباس يسأله هل رأى محمد ربه فقال نعم والأشهر عنه أنه
رأى ربه بعينه روي ذلك عنه من طرق وقال إن الله اختص موسى بالكلام
وإبراهيم بالخلة ومحمدا بالرؤية **وحجته** قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما
رأى أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى **قال** الماوردي قيل
إن الله قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم فرآه محمد
مرتين وكلمه موسى مرتين **وحكى** أبو الفتح الرازي وأبو الليث السمرقندي
الحكاية عن كعب **وروى** عبد الله بن الحارث قال اجتمع ابن عباس وكعب فقال
ابن عباس أما نحن بنو هاشم فنقول إن محمدا قد رأى ربه مرتين فكبر كعب حتى
جاوبته الجبال وقال إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى
ورآه محمد بقلبه **وروى** شريك عن أبي ذر في تفسير الآية قال رأى النبي
صلى الله عليه وسلم ربه **وحكى** السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي وربيع
ابن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادي ولم

أن يعنيني وروى مالك بن يخامر عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
رأيت ربي وذكر كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى وحكى عبد
الرزاق أن الحسن كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه وحكاه أبو عمر الطلمنكي
عن عكرمة وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود وحكى ابن
إسحق أن مروان سأل أبا هريرة هل رأى محمد ربه فقال نعم وحكى
النقاش عن أحمد بن حنبل أنه قال أنا أقول بحديث ابن عباس بعينه رآه رآه
حتى انقطع نفسه يعني نفس أحمد قال أبو عمر قال أحمد بن حنبل رآه بقلبه
وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالأبصار وقال سعيد بن جبير لا أقول
رآه ولا لم يره وقد اختلف في تأويل الآية عن ابن عباس وعكرمة والحسن
وابن مسعود فحكي عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود
رأى جبريل وحكى عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه أنه قال رآه وعن
ابن عطاء في قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية
وشرح صدر موسى للكلام وقال أبو الحسن علي بن إسمعيل الأشعري وجماعة
من أصحابه أنه رأى الله تعالى ببصره وعيني رأسه وقال كل آية أوتيها نبي
من الأنبياء عليهم السلام فقد أوتي مثلها نبينا عليه الصلوة والسلام وخص
من بينهم بتفضيل الرؤية ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه
دليل واضح ولكنه جائز أن يكون قال القاضي أبو الفضل رحمه الله
والحق الذي لا امتراء فيه أن رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا وليس في
العقل ما يحيلها والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه السلام
لها ومحال أن يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه بل لم يسأل إلا جائزا
غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه إلا من علمه الله

فقال

فقال له الله لن تراني أي لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي ثم ضرب له مثلا بما هو
أقوى من بنية موسى وأثبت وهو الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في
الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا
امتناعها إذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على
منعها بقوله لا تدركه الأبصار لاختلاف التأويلات في الآية وإذ ليس يقتضي قول
من قال في الدنيا الاستحالة وقد استدل بعضهم بهذه الآية نفسها على جواز
الرؤية وعدم استحالتها على الجملة وقد قيل لا تدركه أبصار الكفار وقيل
لا تدركه الأبصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس وقد قيل لا تدركه الأبصار وإنما
يدركه المبصرون وكل هذه التأويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها
وكذلك لا حجة لهم بقوله لن تراني الآية وقوله تبت إليك لما قدمناه
ولأنها ليست على العموم ولأن من قال معناها لن تراني في الدنيا إنما هو تأويل
وأيضا فليس فيه نص الامتناع وإنما جاءت في حق موسى وحيث تتطرق
التأويلات وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع إليه سبيل وقوله تبت إليك
أي من سؤالي ما لم تقدر لي وقد قال أبو بكر الهذلي في قوله لن تراني أي
ليس لبشر أن يطيق أن ينظر إلي في الدنيا وأنه من نظر إلي مات وقد رأيت
لبعض السلف والمتأخرين ما معناه أن رؤية الله تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف
تركيب أهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة للآفات والفناء فلم تكن لهم قوة على
الرؤية فإذا كان في الآخرة وركبوا تركيبا آخر ورزقوا قوى ثابتة باقية
وأتم أنوار أبصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية وقد رأيت نحو هذا
لمالك بن أنس رحمه الله قال لم ير في الدنيا لأنه باق ولا يرى الباقي بالفاني
فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصارا باقية رئي الباقي بالباقي وهذا

كلام حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة الا من حيث ضعف القدرة
فإذا قوى الله تعالى من يشاء من عباده واقدره على حمل اعباء الرؤية لم تمتنع
في حقه وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام ونفوذ
إدراكهما بقوة إلهية منحاها لإدراك ما أدركاه ورؤية ما رأياه والله أعلم
وقد ذكر القاضي أبو بكر في أثناء اجوبته عن الآيتين ما معناه أن موسى عليه
السلام رأى الله فلذلك خر صعقا وأن الجبل رأى ربه فصار دكا بإدراك
خلقه الله له واستنباط ذلك والله أعلم من قوله ولكن انظر الى الجبل فإن استقر
مكانه فسوف تراني ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا
وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى رآه على هذا القول وقال جعفر بن محمد
شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا بلا إفاقة وقوله هذا يدل على
أن موسى رآه وقد وقع لبعض المفسرين في الجبل أنه رآه وبرؤية الجبل له استدل
من قال برؤية محمد نبينا عليه الصلوة والسلام له تعالى إذ جعله دليلا
على الجواز ولا مرية في الجواز إذ ليس نص بالمنع وأما وجوبه لنبينا صلى الله عليه
وسلم والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه قاطع أيضا ولا نص إذ المعول فيه على
آيتي النجم والتنازع فيهما مأثور والاحتمال لهما ممكن ولا أثر قاطع متواتر
عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وحديث ابن عباس خبر عن اعتقاده لم يسنده
الى النبي صلى الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد مضمنه ومثله حديث أبي ذر
في تفسير الآية وحديث معاذ محتمل للتأويل وهو مضطرب الإسناد والمتن
وحديث أبي ذر الآخر مختلف محتمل مشكل فروي نور أني أراه وحكى
بعض شيوخنا أنه روي نوراني أراه وفي حديثه الآخر سألته فقال رأيت
نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد منها على صحة الرؤية فإن كان الصحيح رأيت

نورا

نورا فهو قد أخبر أنه لم ير الله تعالى وإنما رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله
تعالى وإلى هذا يرجع قوله نور أنى أراه أي كيف أراه مع حجاب النور المغشي للبصر
وهذا مثل ما في الحديث الآخر حجابه النور وفي الحديث الآخر لم أره بعيني
ولكن رأيته بقلبي مرتين وتلا ثم دنى فتدلى والله قادر على خلق الإدراك الذي
في البصر في القلب أو كيف شاء لا إله غيره فإن ورد حديث نص بين في الباب
اعتقد ووجب المصير إليه إذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يرده والله سبحانه
الموفق للصواب فصل وأما ورد في هذه القصة من مناجاته لله تعالى
وكلامه معه بقوله تعالى فأوحى إلى عبده ما أوحى إلى ما تضمنته الأحاديث
فأكثر المفسرين على أن الموحي الله تعالى إلى جبريل وجبريل إلى محمد عليهما
الصلوة والسلام إلا شذوذا منهم فذكر عن جعفر بن محمد الصادق قال
أوحى إليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطي وإلى هذا ذهب بعض المتكلمين أن محمدا
كلم ربه في الإسراء وحكي عن الأشعري وذكر عن ابن مسعود وابن
عباس وأنكره آخرون وذكر النقاش عن ابن عباس في قصة الإسراء
عنه صلى الله عليه وسلم في قوله دنا فتدلى قال فارقني جبريل فانقطعت الأصوات
عني فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدأ روعك يا محمد أدن أدن وفي
حديث أنس في الإسراء نحو منه وقد احتجوا في هذا بقوله تعالى وما كان
لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما
يشاء فقالوا هي ثلثة أقسام من وراء حجاب كتكليم موسى وبإرسال الملائكة
كحال جميع الأنبياء وأكثر أحوال نبينا عليه وعليهم الصلوة والسلام الثالث
قوله وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام إلا المشافهة مع المشاهدة وقد قيل الوحي
هاهنا هو ما يلقيه في قلب النبي بلا واسطة وقد ذكر أبو بكر البزار عن علي في حديث

الإسراء ما هو أوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله من الآية فذكر فيه
فقال الملك الله أكبر الله أكبر فقيل لي من وراء الحجاب صدق عبدي أنا أكبر
أنا أكبر وقال في سائر كلمات الأذان مثل ذلك ويجيء الكلام في مشكل هذين
الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما يشبهه وفي أول فصل من الباب منه وكلام
الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ومن اختصه من أنبيائه جائز غير ممتنع عقلا
ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه فإن صح في ذلك خبر اعتمد عليه وكلامه تعالى
لموسى كائن حق مقطوع به نص ذلك في الكتاب وأكده بالمصدر دلالة على الحقيقة
ورفع مكانه على ما ورد في الحديث في السماء السابعة بسبب كلامه ورفع محمدا
صلى الله عليه وسلم فوق هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع صريف الأقلام فكيف
يستحيل في حق هذا أو يبعد سماع الكلام فسبحان من خص من شاء بما شاء ورفع
بعضهم فوق بعض درجات

فصل

وأما ما ورد في حديث الإسراء وظاهر
الآية من الدنو والقرب من قوله تعالى دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأكثر
المفسرين أن الدنو والتدلي منقسم ما بين محمد وجبريل عليهما الصلاة والسلام
أو مختص بأحدهما من الآخر أو من السدرة المنتهى قال الرازي وقال ابن
عباس هو محمد صلى الله عليه وسلم دنا فتدلى من ربه وقيل معنى دنا قرب وتدلى
زاد في القرب وقيل هما بمعنى واحد أي قرب وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس
هو الرب تعالى دنا من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى إليه أي أمره وحكمه
وحكى النقاش عن الحسن قال دنا من عبده محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب
منه فأراه ما شاء أن يريه من قدرته وعظمته قال وقال ابن عباس هو مقدم
ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع
فدنى من ربه قال فارقني جبريل وانقطعت عني الأصوات وسمعت كلام ربي

وعن

وعن أنس في الصحيح عرج بي جبريل إلى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة
فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى إليه بما شاء وأوحى إليه
خمسين صلاة وذكر حديث الإسراء وعن محمد بن كعب هو محمد صلى الله
عليه وسلم دنا من ربه فكان كقاب قوسين قال جعفر بن محمد أدناه ربه
منه حتى كان منه كقاب قوسين وقال جعفر بن محمد والدنو من الله لا حد له
ومن العباد بالحدود وقال أيضا انقطعت الكيفية عن الدنو ألا ترى كيف
حجب جبريل عن دنوه ودنا محمد إلى ما أودع قلبه من المعرفة والإيمان فتدلى بسكون
قلبه إلى ما أدناه وزال الشك عن قلبه والارتياب قال القاضي أبو الفضل
رحمه الله اعلم أن ما وقع من إضافة الدنو والقرب هنا من الله أو إلى الله فليس
بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرنا عن جعفر بن محمد الصادق ليس بدنو
حد وإنما دنو النبي صلى الله عليه وسلم من ربه وقربه منه إبانة عظيم منزلته
وتشريف رتبته وإشراق أنوار معرفته ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته ومن
الله تعالى له مبرة وتأنيس وبسط وإكرام ويتأول فيه ما يتأول في قوله
ينزل ربنا إلى السماء الدنيا على أحد الوجوه نزول إجمال وإفضال وقبول
وإحسان قال الواسطي من توهم أنه بنفسه دنا جعل ثم مسافة بل كلما
دنا بنفسه من الحق تدلى صلى الله عليه وسلم بعدا يعني عن درك حقيقته إذ لا
دنو للحق ولا بعد وقوله قاب قوسين أو أدنى فمن جعل الضمير عائدا إلى الله لا
إلى جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل وإيضاح المعرفة
والإشراف على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة عن إجابة الرغبة وقضاء
المطالب وإظهار التحفي وإنافة المنزلة والمرتبة من الله تعالى له ويتأول فيه ما يتأول
في قوله تعالى من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة

أي قربت بالإجابة والقبول وإيناس بالإحسان وتعجيل المأمول

فصل

في ذكر تفضيله في القيامة بخصوص الكرامة صلى الله عليه وسلم حدثنا القاضي أبو علي حدثنا أبو الفضل وأبو الحسين حدثنا أبو يعلى حدثنا السنجي حدثنا ابن محبوب حدثنا الترمذي حدثنا الحسين بن يزيد الكوفي حدثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن أنس عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا لواء الحمد بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر **وفي** رواية ابن زحر عن الربيع بن أنس في لفظ هذا الحديث أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا قائدهم إذا وفدوا وأنا خطيبهم إذا أنصتوا وأنا شفيعهم إذا حبسوا وأنا مبشرهم إذا أبلسوا لواء الكرم بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربه ولا فخر ويطوف علي ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون **وعن** أبي هريرة وأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري **وعن** أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر **وعن** أبي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع **وعن** ابن عباس أنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر **وعن** أنس أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الناس تبعا **وعن** أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا سيد الناس يوم القيامة وتدرون لم ذلك يجمع الله الأولين والآخرين وذكر حديث الشفاعة

وعن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال أطمع أن أكون أعظم الأنبياء أجرا يوم القيامة **وفي** حديث آخر أما ترضون أن يكون إبراهيم وعيسى فيكم يوم القيامة ثم قال إنهما في أمتي يوم القيامة أما إبراهيم فيقول أنت دعوتي وذريتي فاجعلني من أمتك وأما عيسى فالأنبياء إخوة بنو علات أمهاتهم شتى وإن عيسى أخي ليس بيني وبينه نبي وأنا أولى الناس به قوله أنا سيد الناس يوم القيامة هو سيدهم في الدنيا ويوم القيامة ولكن أشار صلى الله عليه وسلم لانفراده فيه بالسؤدد والشفاعة دون غيره إذ لجأ الناس إليه في ذلك فلم يجدوا سواه والسيد هو الذي يلجأ الناس إليه في حوائجهم فكان حينئذ سيدا منفردا من بين البشر لم يزاحمه أحد في ذلك ولا ادعاه كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والملك له تعالى في الدنيا والآخرة لكن في الآخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك في الدنيا وكذلك لجأ إلى محمد صلى الله عليه وسلم جميع الناس في الشفاعة فكان سيدهم في الأخرى دون دعوى **وعن** أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك **وعن** عبد الله ابن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من الورق وريحه أطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ أبدا **وعن** أبي ذر نحوه وقال طوله ما بين عمان إلى أيلة يشخب فيه ميزابان من الجنة **وعن** ثوبان مثله وقال أحدهما من ذهب والآخر من ورق **وفي** رواية حارثة بن وهب كما بين المدينة وصنعاء **وقال** أنس أيلة وصنعاء **وقال** ابن عمر كما بين الكوفة والحجر الأسود **وروى** حديث الحوض أيضا أنس وجابر وسمرة وابن عمر وعقبة بن عامر وحارثة بن وهب الخزاعي والمستورد وأبو برزة الأسلمي وحذيفة بن اليمان وأبو أمامة وزيد بن أرقم وابن مسعود وعبد الله

ابن زيد وسهل بن سعد وسويد بن حبلة وأبو سعيد الخدري وعبد الله الصنابحي
وأبو هريرة والبراء وجندب وعائشة وأسماء ابنتا أبي بكر وأبو بكرة وخولة بنت قيس
وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين **فصل** في تفضيله صلى الله عليه وسلم
بالمحبة والخلة جاءت بذلك الآثار الصحيحة واختص عليه الصلوة والسلام على
ألسنة المسلمين بحبيب الله أخبرنا أبو القسم بن إبرهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت
أحمد بن محمد حدثنا أبو الهيثم وأخبرنا حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه
حدثنا القاضي أبو الوليد حدثنا عبد بن أحمد حدثنا أبو الهيثم حدثنا أبو
عبد الله محمد بن يوسف نا محمد بن إسمعيل حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا أبو
عامر حدثنا فليح حدثنا أبو النضر عن بسر بن سعيد عن أبي سعيد عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر
وفي حديث آخر وإن صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله بن مسعود
وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال جلس ناس من
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى إذا دنا منهم
سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا إن الله اتخذ إبرهيم من
خلقه خليلا وقال آخر ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما
وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر وآدم اصطفاه الله فخرج
عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم أن الله اتخذ إبرهيم خليلا وهو كذلك
وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وآدم اصطفاه الله
وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيمة
ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة
فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين
ولا

ولا فخر وفي حديث أبي هريرة من قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم إني اتخذتك
خليلا فهو مكتوب في التوراة أنت حبيب الرحمن قال القاضي أبو الفضل رضي الله
عنه اختلف في تفسير الخلة وأصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع إلى الله تعالى
الذي ليس في انقطاعه إليه ومحبته له اختلال وقيل الخليل المختص واختار
هذا القول غير واحد وقال بعضهم أصل الخلة الاستصفاء وسمي إبرهيم
خليل الله لأنه يوالي فيه ويعادي فيه وخلة الله له نصره وجعله إماما لمن
بعده وقيل الخليل أصله الفقير المحتاج المنقطع مأخوذ من الخلة وهي
الحاجة فسمي بها إبرهيم لأنه قصر حاجته على ربه وانقطع إليه بهمه ولم
يجعله قبل غيره إذ جاءه جبريل وهو في المنجنيق ليرمى في النار فقال ألك حاجة
قال أما إليك فلا وقال أبو بكر بن فورك الخلة صفاء المودة التي توجب الاختصاص
بتخلل الأسرار وقال بعضهم أصل الخلة المحبة ومعناها الإسعاف والإلطاف
والترفيع والتشفيع وقد بين ذلك في كتابه تبارك وتعالى بقوله وقالت اليهود
والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فأوجب للمحبوب
أن لا يؤاخذ بذنوبه قال هذا والخلة هنا أقوى من البنوة لأن البنوة قد تكون
فيها العداوة كما قال الله تعالى إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم ولا تكون عداوة
مع خلة فإذا تسمية إبرهيم ومحمد عليهما الصلوة والسلام بالخلة إما بانقطاعهما
إلى الله ووقف حوائجهما عليه والانقطاع عمن دونه والإضراب عن الوسائط
والأسباب أو لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفي ألطافه عندهما وما
خالل بواطنهما من أسرار إلهيته ومكنون غيوبه ومعرفته أو لاستصفائه لهما
واستصفاء قلوبهما عمن سواه حتى لم يخاللهما حب لغيره ولهذا قال بعضهم
الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم

لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا لكن أخوة الإسلام واختلف العلماء
وأرباب القلوب أيهما أرفع درجة الخلة أو درجة المحبة فجعلهما بعضهم سوا
فلا يكون الحبيب إلا خليلًا ولا الخليل إلا حبيبًا لكنه خص إبراهيم بالخلة
ومحمدًا عليه الصلوة والسلام بالمحبة وقال بعضهم درجة الخلة أرفع
واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذًا خليلًا غير ربي فلم يتخذه وقد أطلق
المحبة لفاطمة وابنيها وأسامة وغيرهم وأكثرهم جعل المحبة أرفع من الخلة
لأن درجة الحبيب نبينا أرفع من درجة الخليل إبراهيم وأصل المحبة الميل
إلى ما يوافق المحب ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق وهي
درجة المخلوق فأما الخالق جل جلاله فمنزه عن الأغراض فمحبته لعبده
تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئة أسباب القرب وإفاضة رحمته
عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر إليه ببصيرته
فيكون كما قال في الحديث فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر
به ولسانه الذي ينطق به ولا ينبغي أن يفهم من هذا سوى التجرد لله والانقطاع
إلى الله والإعراض عن غير الله وصفا القلب لله وإخلاص الحركات لله كما قالت
عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن يرضاه يرضى ويسخطه يسخط ومن هذا
عبر بعضهم عن الخلة بقوله قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل
خليلًا فإذا ما نطقت كنت حديثي وإذا ما سكت كنت الغليلا فإذًا مزية الخلة
وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا صلى الله عليه وسلم بما دلت عليه الآثار
الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الأمة وكفى بقوله تعالى قل إن كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحببكم الله حكى أهل التفسير أن هذه الآية لما نزلت قال الكفار
إنما يريد محمد أن نتخذه حنانًا كما اتخذت النصارى عيسى فأنزل الله تعالى غيظًا لهم

ورغمًا على مقالتهم هذه قل أطيعوا الله والرسول الآية فقرنه بطاعته فزاده شرفًا بأمرهم بطاعته وقرنها
بطاعته ثم توعدهم على التولي عنه بقوله فإن الله لا يحب الكافرين وقد نقل الإمام أبو
بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلامًا في الفرق بين المحبة والخلة يطول جملة
إشاراته إلى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه طرفًا يهدي
إلى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة من قوله وكذلك نري إبراهيم
ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين والحبيب يصل الحبيب من قوله
فكان قاب قوسين أو أدنى وقيل الخليل الذي يكون مغفرته في حد الطمع من
قوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين والحبيب الذي مغفرته في حد
اليقين من قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الآية والخليل
قال ولا تخزني والحبيب قيل له يا أيها النبي حسبك الله والخليل قال واجعل لي لسان
صدق والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك أعطي بلا سؤال والخليل
قال واجنبني وبني أن نعبد الأصنام والحبيب قيل له إنما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد أصحاب هذا
المقال من تفضيل المقامات والأحوال وكل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو
أهدى سبيلًا وهو الموفق للصواب والمستعان فصل في تفضيله بالشفاعة
والمقام المحمود صلى الله عليه وسلم تسليمًا قال الله تعالى عسى أن يبعثك ربك
مقامًا محمودًا أخبرنا الشيخ أبو علي الغساني الجياني فيما كتب به إلي بخطه
حدثنا سراج بن عبد الله القاضي حدثنا أبو محمد الأصيلي أخبرنا أبو زيد وأبو
أحمد قالا حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا محمد بن إسمعيل قال حدثنا إسمعيل بن
أبان حدثنا أبو الأحوص عن آدم بن علي قال سمعت ابن عمر يقول إن الناس يصيرون
يوم القيمة جثًا كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى

تنتهي الشفاعة إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله مقاما محمودا
وعن أبي هريرة سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قوله عسى أن
يبعثك ربك مقاما محمودا فقال هي الشفاعة وروى كعب بن مالك عنه صلى
الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة فأكون أنا وأمتي على تل ويكسوني ربي حلة
خضراء ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود وعن ابن عمر
وذكر حديث الشفاعة قال فأمشي حتى آخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه
الله المقام المحمود الذي وعده وعن ابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم أنه قيامه
عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيري يغبطه فيه الأولون والآخرون ونحوه
عن كعب والحسن وفي رواية هو المقام الذي أشفع لأمتي فيه وعن ابن مسعود
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لقائم المقام المحمود قيل وما هو قال
ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى على كرسيه الحديث وعن أبي موسى عنه صلى الله
عليه وسلم خيرت بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة
لأنها أعم أترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخطائين وعن أبي هريرة قلت يا رسول
الله ماذا ورد عليك في الشفاعة قال شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصا يصدق
لسانه قلبه وعن أم حبيبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أريت ما تلقى أمتي
بعدي وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من الله ما سبق للأمم فسألت الله أن
يؤتيني شفاعة يوم القيمة فيهم ففعل وقال حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد
حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس إلا
بإذنه فينادي محمد فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس إليك والمهدي
من هديت وعبدك بين يديك ولك وإليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك تباركت
وتعاليت سبحانك رب البيت قال فذلك المقام المحمود الذي ذكره الله وقال ابن

عباس إذا دخل أهل النار النار وأهل الجنة الجنة فيبقى آخر زمرة من الجنة وآخر زمرة
من النار فيقول زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم إيمانكم فيدعون ربهم ويضجون
فيسمعهم أهل الجنة فيسألون آدم وغيره بعده في الشفاعة لهم فكلهم يعتذر حتى
يأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم فذلك المقام المحمود ونحوه عن ابن مسعود
أيضا ومجاهد وذكره علي بن الحسين عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله
ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد صلى الله عليه وسلم يعني الذي يبعثه الله فيه قلت
نعم قال فإنه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج يعني من النار وذكر
حديث الشفاعة في إخراج الجهنميين وعن أنس نحوه وقال فهذا المقام المحمود
الذي وعده وعن سلمان المقام المحمود هو الشفاعة في أمته يوم القيمة ومثله
عن أبي هريرة وقال قتادة كان أهل العلم يرون المقام المحمود هو شفاعته
يوم القيمة وعلى أن المقام المحمود هو شفاعته عليه الصلوة والسلام للشفاعة مذهب
السلف من الصحابة والتابعين وعامة أئمة المسلمين وبذلك جاءت مفسرة في صحيح
الأخبار عنه عليه الصلوة والسلام وجاءت مقالة في تفسيرها شاذة عن
بعض السلف يجب أن لا تثبت إذ لم يعضدها صحيح أثر ولا يسند بد نظر ولو
صح لكان لها تأويل غير مستنكر لكن ما أثر النبي صلى الله عليه وسلم في صحاح
الأحاديث رده فلا يجب أن يلتفت إليه مع أنه لم يأت في كتاب ولا سنة ولا اتفق على
القائل به أئمة وفي إطلاقه ظاهر منكر من القول وشنعة وفي رواية أنس وأبي
هريرة وغيرهما دخل حديث بعضهم في حديث بعض قال صلى الله عليه وسلم
يجمع الله الأولين والآخرين يوم القيمة فيهتمون أو قال فيلهمون فيقولون لو
استشفعنا إلى ربنا ومن طريق عنه ماج الناس بعضهم في بعض وعن أبي هريرة
وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون ألا تنظرون

من يشفع لكم فيأتون آدم فيقولون زاد بعضهم أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده
ونفخ فيك من روحه وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء
اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربي غضب
اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت
نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا فيقولون أنت أول
الرسل إلى الأرض وسماك الله عبدا شكورا ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما بلغنا
ألا تشفع لنا إلى ربك فيقول إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب مثله قبله ولا
يغضب بعده مثله نفسي نفسي قال في رواية أنس ويذكر خطيئته التي أصاب سؤاله
ربه بغير علم وفي رواية أبي هريرة وقد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي اذهبوا إلى
غيري اذهبوا إلى إبراهيم فإنه خليل الله فيأتون إبراهيم فيقولون أنت نبي الله
وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربي غضب
اليوم غضبا فذكر مثله ويذكر ثلث كلمات كذبهن نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم
بموسى فإنه كليم الله وفي رواية أخرى فإنه عبد آتاه الله التورية وكلمه وقربه
نجيا قال فيأتون موسى فيقول لست لها ويذكر خطيئته التي أصاب وقتله النفس
نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول لست لها ولكن
عليكم بمحمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فأقول أنا لها
فأنطلق فأستأذن على ربي فيؤذن لي فإذا رأيته وقعت ساجدا وفي رواية فآتي تحت
العرش فأخر ساجدا وفي رواية فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليها الآن
إلا أن يلهمنيه الله وفي رواية فيفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم
يفتحه على أحد قبلي قال في رواية أبي هريرة فيقال يا محمد سل تعطه واشفع تشفع
فأرفع رأسي فأقول يا رب أمتي يا رب أمتي فيقول أدخل من أمتك من لا حساب عليه

من

من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ولم
يذكر في رواية أنس هذا الفصل وفي رواية وقال مكانه ثم أخر ساجدا فيقال
لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يا رب أمتي أمتي
فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من بر أو شعيرة من إيمان فأخرجه
فأنطلق فأفعل ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد وذكر مثل الأول
وقال فيه مثقال حبة من خردل قال فأفعل ثم أرجع وذكر مثل ما تقدم وقال فيه
من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل فأفعل وذكر في المرة الرابعة
فيقال لي ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع واسأل تعطه فأقول يا رب ائذن لي فيمن
قال لا إله إلا الله قال ليس ذلك إليك ولكن وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي
وجبريائي لأخرجن من النار من قال لا إله إلا الله ومن رواية قتادة عنه قال فلا
أدري في الثالثة أو الرابعة فأقول يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن أي من
وجب عليه الخلود وعن أبي بكر وعقبة بن عامر وأبي سعيد وحذيفة مثله قال
فيأتون محمدا فيؤذن له وتأتي الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط وذكر في رواية
أبي مالك عن حذيفة فيأتون محمدا فيشفع فيضرب الصراط فيمرون أولهم كالبرق
ثم كالريح والطير وشد الرجال ونبيكم صلى الله عليه وسلم على الصراط يقول اللهم
سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر آخرهم جواز الحديث وفي رواية أبي هريرة فأكون
أول من يجوز وعن ابن عباس رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم توضع للأنبياء منابر يجلسون
عليها ويبقى منبري لا أجلس عليه قائما بين يدي ربي منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى
ما تريد أن أصنع بأمتك فأقول يا رب عجل حسابهم فيدعا بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل
برحمته ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ولا أزال أشفع حتى أعطى صكاكا برجال
قد أمر بهم إلى النار حتى إن خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في أمتك
من نقمة ومن طريق زياد النميري عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا أول
من تنفلق الأرض عن جمجمته ولا فخر وأنا سيد الناس يوم القيمة ولا فخر
ومعي لواء الحمد يوم القيمة وأنا أول من تفتح له الجنة ولا فخر فآتي فآخذ بحلقة الجنة
فيقال من هذا فأقول محمد فيفتح لي فيستقبلني الجبار تعالى فأخر له ساجدا وذكر

نحو ما تقدم ومن رواية أنس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأشفعن
يوم القيامة لأكثر مما في الأرض من حجر وشجر فقد اجتمع من اختلاف ألفاظ
هذه الآثار أن شفاعته عليه الصلاة والسلام ومقامه المحمود من أول الشفاعات
إلى آخرها من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق
والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ لإراحة الناس من
الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جاء في الحديث عن أبي هريرة وحذيفة
وهذا الحديث أتقن فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من أمته إلى الجنة كما تقدم
في الحديث ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسبما تقتضيه
الأحاديث الصحيحة ثم فيمن قال لا إله إلا الله وليس هذا لسواه صلى الله عليه وسلم
وفي الحديث المنتشر الصحيح لكل نبي دعوة يدعو بها واختبأت دعوتي شفاعة
لأمتي يوم القيامة قال أهل العلم معناه دعوة أعلموا أنها تستجاب لهم
ويبلغ فيها مرغوبهم وإلا فكم لكل نبي منهم من دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله
عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف وضمنت
لهم إجابة دعوة فيما شاءوه يدعون بها على يقين من الإجابة وقد قال محمد بن
زياد وأبو صالح عن أبي هريرة في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها في أمته
فاستجيب له وأنا أريد أن أؤخر دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة وفي رواية
أبي صالح لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية أبي زرعة
عن أبي هريرة وعن أنس مثل رواية ابن زياد عن أبي هريرة فتكون هذه
الدعوة المذكورة مخصوصة بالأمة مضمونة الإجابة وإلا فقد أخبر صلى الله عليه
وسلم أنه سأل لأمته أشياء من أمور الدين والدنيا أعطي بعضها ومنع بعضها وادخر
لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة المحن وعظيم السؤال والرغبة جزاه الله
أحسن ما جزى نبيا عن أمته وصلى الله عليه كثيرا وسلم والحمد لله رب العالمين
ولنذكر الآن تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة

فصل في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر
والفضيلة حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي والفقيه أبو الوليد

هشام

هشام بن أحمد بقراءتي عليهما قالا حدثنا أبو علي الغساني حدثنا النمري حدثنا
ابن عبد المؤمن حدثنا أبو بكر التمار حدثنا أبو داود حدثنا محمد بن سلمة حدثنا ابن
وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن أبي أيوب عن كعب بن علقمة عن عبد
الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاصي أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم
يقول إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلى الله
عليه عشرا ثم سلوا الله تعالى لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد
من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة
وفي حديث آخر عن أبي هريرة الوسيلة أعلى درجة في الجنة وعن أنس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا أسير في الجنة إذ عرض لي نهر حافتاه
قباب اللؤلؤ قلت لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر الذي أعطاكه الله قال ثم ضرب
بيده إلى طينه فاستخرج مسكا وعن عائشة وعبد الله بن عمرو مثله قال ومجراه
على الدر والياقوت وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج وفي رواية عنه فإذا
هو يجري ولم يشق شقا عليه حوض ترد عليه أمتي وذكر حديث الحوض ونحوه
عن ابن عباس وعن ابن عباس أيضا الكوثر الخير الذي أعطاه الله إياه وقال
سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله وعن حذيفة
فيما ذكر صلى الله عليه وسلم عن ربه وأعطاني الكوثر نهرا من الجنة يسيل
في حوضي وعن ابن عباس في قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال ألف
قصر من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن وفي رواية أخرى وفيه ما ينبغي له
من الأزواج والخدم صلى الله عليه وسلم **فصل** فإن قلت إذا تقرر
من دليل القرآن وصحيح الأخبار وإجماع الأمة كونه أكرم البشر وأفضل
الأنبياء فما معنى الأحاديث الواردة بنهيه عن التفضيل كقوله فيما حدثناه

الاسدي قال حدثنا السمرقندي حدثنا الفارسي حدثنا الجلودي حدثنا ابن سفيان
حدثنا مسلم حدثنا ابن مثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن قتادة سمعت ابا
العالية يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم يعني ابن عباس عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى وفي غير
هذا الطريق عن ابي هريرة قال يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لعبد
الحديث وفي حديث ابي هريرة في اليهودي الذي قال والذي اصطفى موسى على البشر
فلطمه رجل من الانصار وقال تقول ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين
اظهرنا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الانبياء وفي
رواية لا تخيروني على موسى فذكر الحديث وفيه ولا اقول ان احدا افضل من
يونس بن متى وعن ابي هريرة من قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب
وعن ابن مسعود لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى وفي حديثه الاخر
فجاءه رجل فقال له يا خير البرية فقال ذاك ابراهيم فاعلم ان للعلماء في
هذه الاحاديث تاويلات احدها ان نهيه عن التفضيل كان قبل ان يعلم
انه سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل بلا علم
فقد كذب وكذلك قوله لا اقول ان احدا افضل لا يقتضي تفضيله هو
وانما هو في الظاهر كف عن التفضيل الوجه الثاني انه قاله صلى الله عليه وسلم
على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض الوجه
الثالث الا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي الى تنقص بعضهم او الغض منه لا سيما في
جهة يونس عليه السلام اذ اخبر الله عنه ما اخبر لئلا يقع في نفس من لا يعلم
منه بذلك غضاضة وانحطاط من رتبته الرفيعة اذ قال تعالى عنه اذ ابق الى
الفلك المشحون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فربما يخيل لمن لا علم

عنده حطيطته بذلك الوجه الرابع منع التفضيل في حق النبوة والرسالة
فان الانبياء فيها على حد واحد اذ هي شيء واحد لا تتفاضل وانما التفاضل في زيادة
الاحوال والخصوص والكرامات والرتب والالطاف واما النبوة في نفسها
فلا تتفاضل وانما التفاضل بامور اخر زائدة عليها ولذلك منهم رسل ومنهم اولوا
عزم من الرسل ومنهم من رفع مكانا عليا ومن اوتي الحكم صبيا واوتي
بعضهم الزبور وبعضهم البينات ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات قال
الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الآية وقال تلك الرسل فضلنا
بعضهم على بعض الآية قال بعض اهل العلم والتفضيل المراد لهم هنا في
الدنيا وذلك بثلاثة احوال ان تكون آياته ومعجزاته اظهر واشهر او تكون امته
ازكى واكثر او يكون في ذاته افضل واظهر وفضله في ذاته راجع الى ما خصه
الله به من كرامته واختصاصه من كلام او خلة او رؤية او ما شاء الله من
الطافه وتحف ولايته واختصاصه وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان للنبوة اثقالا وان يونس تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ صلى الله عليه وسلم
موضع الفتنة من اوهام من يسبق اليه بسببها جرح في نبوته او قدح في اصطفائه
وحط من رتبته ووهن في عصمته شفقة منه صلى الله عليه وسلم على امته
وقد يتوجه على هذا الترتيب وجه خامس وهو ان يكون انا راجعا الى القائل
نفسه اي لا يظن احد وان بلغ من الزكاء والعصمة والطهارة ما بلغ انه خير
من يونس لاجل ما حكى الله تعالى عنه فان درجة النبوة افضل واعلى وان تلك
الاقدار لم تحطه عنها حبة خردل ولا ادنى وسنزيد في القسم الثالث في
هذا بيانا ان شاء الله تعالى فقد بان لك الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض
وبالله التوفيق وهو المستعان لا اله الا هو فصل في اسمائه صلى الله عليه

فصل

وما تضمنه من فضائله عليه الصلاة والسلام حدثنا أبو عمران موسى بن أبي تليد الفقيه قال حدثنا أبو عمر الحافظ حدثنا سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا محمد بن وضاح حدثنا يحيى حدثنا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب وقد سماه الله تعالى في كتابه محمدا وأحمد فمن خصائصه تعالى له أن ضمن أسماءه ثناءه وطوى أثناء ذكره عظيم شكره فأما اسمه أحمد فأفعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد فهو صلى الله عليه وسلم أجل من حمد وأفضل من حمد وأكثر الناس حمدا فهو أحمد المحمودين وأحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيامة ليتم له كمال الحمد ويشتهر في تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقاما محمودا كما وعده يحمده فيه الأولون والآخرون بشفاعته لهم صلى الله عليه وسلم ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال عليه الصلاة والسلام ما لم يعط غيره وسمى أمته في كتب أنبيائه بالحمادين فحقيق أن يسمى محمدا وأحمد ثم في هذين الاسمين من عجائب خصائصه وبدائع آياته فن آخر هو أن الله جل اسمه حمى أن يسمى بهما أحد قبل زمانه أما أحمد الذي أتى في الكتاب وبشرت به الأنبياء فمنع الله تعالى بحكمته أن يسمى به غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب وشك وكذلك محمد لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل وجوده عليه الصلاة والسلام وميلاده أن نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو والله أعلم حيث يجعل رسالاته وهم محمد بن أحيحة بن الجلاح الأوسي ومحمد بن مسلمة الأنصاري ومحمد بن البراء البكري ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي

السلمي لا سابع لهم ويقال أول من سمي محمد محمد بن سفيان واليمن تقول بل محمد بن اليحمد من الأزد ومحمد بن سوادة ثم حمى الله كل من تسمى به أن يدعي النبوة أو يدعيها أحد له أو يظهر عليه سبب يشكك أحدا في أمره حتى تحققت السمتان له صلى الله عليه وسلم ولم ينازع فيهما وأما قوله صلى الله عليه وسلم وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ففسر في الحديث ويكون محو الكفر إما من مكة وبلاد العرب وما زوي له من الأرض ووعد أنه يبلغه ملك أمته أو يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة كما قال تعالى ليظهره على الدين كله وقد ورد تفسيره في الحديث أنه الذي محيت به سيئات من اتبعه وقوله وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي أي على زماني وعهدي أي ليس بعدي نبي كما قال تعالى وخاتم النبيين وسمي عاقبا لأنه عقب غيره من الأنبياء وفي الصحيح وأنا العاقب الذي ليس بعدي نبي وقيل معنى على قدمي أي يحشر الناس بمشاهدتي كما قال تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ومعنى قوله لي خمسة أسماء قيل إنها موجودة في الكتب المتقدمة وعند أولي العلم من الأمم السالفة والله أعلم وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم لي عشرة أسماء وذكر منها طه ويس حكاه مكي وقد قيل في بعض تفاسير طه إنه يا طاهر يا هادي وفي يس أنه يا سيد حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر بن محمد وذكر غيره لي عشرة أسماء فذكر الخمسة التي في الحديث الأول وقال وأنا رسول الرحمة ورسول الراحة ورسول الملاحم وأنا المقفي قفيت النبيين وأنا قيم والقيم الجامع الكامل كذا وجدته ولم أروه وأرى أن صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه بعد عن الحربي وهو أشبه بالتفسير وقد وقع أيضا في كتب الأنبياء قال داود عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة

فقد يكون القيّم بمعناه وقد روى النقاش عنه صلى الله عليه وسلم لي في القرآن سبعة أسماء محمد وأحمد ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله وفي حديث أبي موسى الأشعري أنه كان صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه أسماء فيقول أنا محمد وأحمد والمقفي والحاشر ونبي التوبة ونبي الملحمة ونبي الرحمة وكل صحيح إن شاء الله ومعنى المقفي معنى العاقب وأما نبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال الله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين وكما وصفه بأنه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم وبالمؤمنين رؤوف رحيم وقد قال في صفة أمته إنها أمة مرحومة وقال تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أي يرحم بعضهم بعضا فبعثه عليه الصلاة والسلام ربه تبارك وتعالى رحمة لأمته ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما مستغفرا لهم وجعل أمته أمة مرحومة ووصفها بالرحمة وأمرها بالتراحم وأثنى عليه فقال إن الله يحب من عباده الرحماء وقال الراحمون يرحمهم الرحمن يوم القيامة ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء وأما رواية نبي الملحمة فإشارة إلى ما بعث به من القتال والسيف صلى الله عليه وسلم وهي صحيحة وروى حذيفة مثل حديث أبي موسى وفيه ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى الحربي في حديثه أنه عليه الصلاة والسلام قال أتاني ملك فقال لي أنت قثم أي مجتمع قال والقثم الجامع للخير وهذا اسم هو في آل أهل بيته عليه وعليهم السلام معلوم وقد جاءت من ألقابه عليه الصلاة والسلام وسماته في القرآن عدة كثيرة سوى ما ذكرنا كالنور والسراج المنير والمنذر والنذير والمبشر والبشير والشاهد والشهيد والحق المبين وخاتم النبيين والرؤوف الرحيم

والأمين

والأمين وقدم الصدق ورحمة للعالمين ونعمة الله والعروة الوثقى والصراط المستقيم وطه ويس والنجم الثاقب والكريم والنبي الأمي وداعي الله في أوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى منها في كتب الله المتقدمة وكتب أنبيائه وأحاديث رسوله وإطلاق الأمة جملة شافية كتسميته بالمصطفى والمجتبى وأبي القاسم والحبيب ورسول رب العالمين والشفيع المشفع والمتقي والمصلح والطاهر والمهيمن والصادق والمصدوق والهادي وسيد ولد آدم وسيد المرسلين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين وخليل الله وحبيب الرحمن وصاحب الحوض المورود والشفاعة والمقام المحمود وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وصاحب التاج والمعراج واللواء والقضيب وراكب البراق والنجيب وصاحب الحجة والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان وصاحب الهراوة والنعلين ومن أسمائه صلى الله عليه وسلم في الكتب المتوكل والمختار ومقيم السنة وروح الحق وهو معنى البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل ومن أسمائه في الكتب السالفة ماذ ماذ ومعناه طيب طيب وحمطايا والخاتم والحاتم حكاه كعب الأحبار قال ثعلب فالخاتم الذي ختم الله به الأنبياء والحاتم أحسن الأنبياء خلقا وخلقا صلى الله عليه وسلم ويسمى بالسريانية مشفح والمنحمنا واسمه أيضا في التوراة أحيد روى ذلك عن ابن سيرين ومعنى صاحب القضيب أي السيف وقع ذلك مفسرا في الإنجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل به وأمته كذلك وقد يحمل على أنه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه صلى الله عليه وسلم وهو الآن عند الخلفاء وأما الهراوة التي وصف بها فهي في اللغة العصا وأراها والله أعلم العصا المذكورة في

حديث الحوض أذود الناس عنه بعصاي لأهل اليمن وأما التاج فالمراد به
العمامة ولم تكن حينئذ إلا للعرب والعمائم تيجان العرب وأوصافه وألقابه
وسماته في الكتب كثيرة وفيما ذكرناه منها مقنع إن شاء الله وكانت كنيته المشهورة
أبا القاسم وروي عن أنس رضي الله عنه أنه لما ولد له إبرهيم جاءه جبريل
فقال له السلام عليك يا أبا إبرهيم

فصل في تشريف الله تعالى له بما
سماه به من أسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلى صلى الله عليه وسلم
تسليما **قال** القاضي أبو الفضل رضي الله عنه ما أحرى هذا الفصل بفصول
الباب الأول لانخراطه في سلك مضمونها وامتزاجه بعذب معينها لكن
لم يشرح الله الصدر للهداية إلى استنباطه ولا أنار الفكر لاستخراج
جوهره والتقاطه إلا عند الخوض في الفصل الذي قبله فرأينا أن نضيفه إليه
ونجمع به شمله **فاعلم** أن الله تبارك وتعالى خص كثيرا من أنبيائه بكرامة خلعها
عليهم من أسمائه كتسميته إسحق وإسمعيل بعليم وحليم وإبرهيم بحليم
ونوح بشكور وعيسى ويحيى ببر وموسى بكريم وقوي ويوسف بحفيظ عليم
وأيوب بصابر وإسمعيل بصادق الوعد كما نطق بذلك الكتاب العزيز من
مواضع ذكرهم **وفضل** نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بأن حلاه
منها في كتابه العزيز وعلى ألسنة أنبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد إعمال
الفكر وإحضار الذكر إذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين ولا من تفرغ فيها
لتأليف فصلين وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسما ولعل الله تعالى
كما ألهم إلى ما علم منها وحققه يتم النعمة بإبانة ما لم يظهره لنا الآن ويفتح غلقه
فمن أسمائه تعالى الحميد ومعناه المحمود لأنه حمد نفسه وحمده عباده
ويكون أيضا بمعنى الحامد لنفسه ولأعمال الطاعات **وسمى** النبي صلى الله
عليه

عليه وسلم محمدا وأحمد فمحمد بمعنى محمود وكذا وقع اسمه في زبور داود وأحمد
بمعنى أكبر من حمد وأجل من حمد **وقد** أشار إلى نحو هذا حسان بقوله
وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد **ومن أسمائه** تعالى الرؤوف
الرحيم وهما بمعنى متقارب **وسماه** في كتابه بذلك فقال بالمؤمنين رؤوف رحيم
ومن أسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود والمتحقق أمره وكذلك
المبين أي البين أمره وإلهيته بان وأبان بمعنى ويكون بمعنى المبين لعباده أمر دينهم
ومعادهم **وسمى** النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في كتابه بقوله حتى جاءهم
الحق ورسول مبين وقال وقل إني أنا النذير المبين وقال قد جاءكم الحق من ربكم
وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد وقيل القرآن ومعناه هنا ضد الباطل
والمتحقق صدقه وأمره وهو بالمعنى الأول والمبين البين أمره ورسالته أو المبين
عن الله ما بعثه به كما قال لتبين للناس ما نزل إليهم **ومن أسمائه** تعالى النور ومعناه
ذو النور أي خالقه أو منور السموات والأرض بالأنوار ومنور قلوب المؤمنين
بالهداية **وسماه** نورا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل محمد وقيل
القرآن وقال فيه وسراجا منيرا سمي بذلك لوضوح أمره وبيان نبوته وتنوير
قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به صلى الله عليه وسلم **ومن أسمائه** تعالى
الشهيد ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده يوم القيامة **وسماه** شهيدا
وشاهدا فقال إنا أرسلناك شاهدا وقال ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو
بمعنى الأول والله المستعان **ومن أسمائه** تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل
المتفضل وقيل العفو وقيل العلي وفي الحديث المروي في أسمائه تعالى
الأكرم **وسماه** تعالى كريما بقوله إنه لقول رسول كريم قيل محمد وقيل
جبريل عليهما الصلوة والسلام وقال صلى الله عليه وسلم أنا أكرم ولد آدم

ومعاني الاسم صحيحة في حقه صلى الله عليه وسلم **ومن اسمائه** تعالى العظيم ومعناه
الجليل الشأن الذي كل شيء دونه وقال في النبي صلى الله عليه وسلم وإنك
لعلى خلق عظيم ووقع في أول سفر من التوراة عن اسمعيل وسيلد عظيماً لأمة
عظيمة فهو عظيم وعلى خلق عظيم **ومن اسمائه** تعالى الجبار ومعناه المصلح وقيل
القاهر وقيل العلي العظيم الشأن وقيل المتكبر وسمي النبي صلى الله عليه وسلم
في كتاب داود بجبار فقال تقلد أيها الجبار سيفك فإن ناموسك وشرائعك
مقرونة بهيبة يمينك ومعناه في حق النبي صلى الله عليه وسلم إما لإصلاحه
الأمة بالهداية والتعليم أو لقهره أعداءه أو لعلو منزلته على البشر وعظيم
خطره ونفى عنه في القرآن التي لا تليق به فقال وما أنت عليهم بجبار **ومن اسمائه** — جبرية الكبر
تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه الشيء والعالم بحقيقته وقيل معناه المخبر
وقال الله تعالى الرحمن فسل به خبيرا قال القاضي بكر بن العلاء المأمور بالسؤال
غير النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤول الخبير هو النبي صلى الله عليه وسلم وقال غيره
بل السائل النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤول الله تعالى فالنبي صلى الله عليه وسلم
خبير بالوجهين المذكورين من قبل أنه عالم على غاية من العلم بما أعلمه الله من مكنون — بما علمه
علمه وعظيم معرفته مخبر لأمته بما أذن له في إعلامهم به صلى الله عليه وسلم **ومن
اسمائه** تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده أو فاتح أبواب الرزق والرحمة
والمنغلق من أمورهم عليهم أو يفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق ويكون أيضا
بمعنى الناصر كقوله تعالى إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح أي إن تستنصروا فقد جاءكم
النصر **وسمى** الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالفاتح في حديث الإسراء — وقيل معناه مبتدي الفتح والنصر
الطويل من رواية الربيع بن أنس عن أبي العالية وغيره عن أبي هريرة وفيه من قول الله
تعالى وجعلتك فاتحاً وخاتماً وفيه من قول النبي صلى الله عليه وسلم في ثنائه على

ربه

ربه وتعديد مراتبه ورفع لي ذكري وجعلني فاتحاً وخاتماً فيكون الفاتح هنا
بمعنى الحاكم أو الفاتح لأبواب الرحمة على أمته والفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق
والإيمان بالله أو الناصر للحق أو المبتدئ بهداية الأمة أو المبتدأ المقدم — المبتدأ
في الأنبياء والخاتم لهم كما قال صلى الله عليه وسلم كنت أول الأنبياء في الخلق
وآخرهم في البعث صلى الله عليه وسلم تسليما **ومن اسمائه** تعالى في الحديث
الشكور ومعناه المثيب على العمل القليل وقيل المثني على المطيعين ووصف بذلك
نبيه نوحاً فقال إنه كان عبداً شكوراً وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم نفسه
بذلك فقال أفلا أكون عبداً شكوراً أي معترفاً بنعم ربي عارفاً بقدر ذلك — عالما
مثنياً عليه مجتهداً نفسي في الزيادة من ذلك لقوله عز وجل لئن شكرتم لأزيدنكم
فأراد الزيادة **ومن اسمائه** تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة
ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه فقال وعلمك ما
لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم
ما لم تكونوا تعلمون **ومن اسمائه** تعالى الأول والآخر ومعناهما السابق
للأشياء قبل وجودها والباقي بعد فنائها وتحقيقه أنه ليس له أول ولا آخر
وقال صلى الله عليه وسلم كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث
وفسر بهذا قوله تعالى وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم — بهذا
محمداً صلى الله عليه وسلم وقد أشار إلى نحو منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون وقوله أنا أول
من تنشق الأرض عنه وأول من يدخل الجنة وأول شافع وأول مشفع وهو
خاتم النبيين وآخر الرسل صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليما **ومن اسمائه**
تعالى القوي وذو القوة المتين ومعناه القادر وقد وصفه الله تعالى بذلك

تعالى ذي قوة عند ذي العرش مكين قيل محمد وقيل جبريل صلى الله عليهما وسلم تسليما
ومن اسمائه تعالى الصادق في الحديث المأثور وورد في الحديث ايضا اسمه صلى
الله عليه وسلم بالصادق والمصدوق صلى الله عليه وسلم تسليما كلما ذكره الذاكرون
وغفل عن ذكره الغافلون ومن اسمائه تعالى الولي والمولى ومعناهما الناصر
وقد قال الله تعالى انما وليكم الله ورسوله وقال صلى الله عليه وسلم انا ولي كل
مومن وقال الله عز وجل النبي اولى بالمومنين من انفسهم وقال صلى الله عليه وسلم
من كنت مولاه فعلي مولاه ومن اسمائه تعالى العفو ومعناه الصفوح وقد وصف
الله تعالى بهذا نبينا صلى الله عليه وسلم في القرآن والتوراة وامره بالعفو فقال
خذ العفو وأمر بالعرف وقال فاعف عنهم واصفح وقال له جبريل وقد سأله عن
قوله تعالى خذ العفو قال ان تعفو عمن ظلمك وقال في التوراة والانجيل في الحديث المشهور
في صفته ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح ومن اسمائه تعالى الهادي وهو
بمعنى توفيق الله تعالى لمن اراد من عباده وبمعنى الدلالة والدعاء قال الله تبارك
وتعالى والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم واصل الجميع
من الميل وقيل من التقدم وقيل في تفسير طه انه يا طاهر يا هادي يعني النبي صلى الله
عليه وسلم وقال تعالى له وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقال فيه وداعيا
الى الله باذنه فالله تعالى مختص بالمعنى الاول قال الله تعالى انك لا تهدي من احببت
ولكن الله يهدي من يشاء وبمعنى الدلالة يطلق على غيره تعالى فهو في حقه بمعنى الدلالة
عليه الصلوة والسلام ومن اسمائه تعالى المومن المهيمن وقيل هما بمعنى واحد
فمعنى المومن في حقه تعالى المصدق وعده عباده والمصدق قوله الحق والمصدق لعباده
المومنين ورسله وقيل الموحد نفسه وقيل المومن عباده في الدنيا من ظلمه والمومنين في الآخرة
من عذابه وقيل المهيمن بمعنى الامين مصغر منه فقلبت الهمزة هاء وقيل ان قولهم

في الدعا

في الدعاء آمين انه اسم من اسماء الله تعالى ومعناه بمعنى المومن وقيل المهيمن بمعنى الشاهد
والحافظ والنبي صلى الله عليه وسلم امين ومهيمن ومومن وقد سماه الله تعالى امينا
فقال مطاع ثم امين وكان صلى الله عليه وسلم يعرف بالامين وشهر به قبل
النبوة وبعدها وسماه العباس في شعره مهيمنا في قوله ۝ ثم احتوى بيتك
المهيمن من خندف علياء تحتها النطق قيل المراد يا ايها المهيمن قاله القتبي والامام
ابو القسم القشيري وقال تعالى يومن بالله ويومن للمومنين اي يصدق وقال
انا امنة لاصحابي واصحابي امنة لامتي فهذا بمعنى المومن صلى الله عليه وعلى اله وعلى
جميع النبيين وسلم ومن اسمائه تعالى القدوس ومعناه المنزه عن النقائص المطهر
من سمات الحدث وسمي بيت المقدس لانه يتطهر فيه من الذنوب ومنه الوادي المقدس
وروح القدس ووقع في كتب الانبياء عليهم السلام في اسمائه عليه الصلوة والسلام
المقدس اي المطهر من الذنوب كما قال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر او الذي يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها كما قال تعالى ويزكيهم
وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور او يكون مقدسا بمعنى مطهر من الاخلاق
الذميمة والاوصاف الدنية صلى الله عليه وعلى جميع النبيين وسلم تسليما ومن اسمائه
تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب او الذي لا نظير له او المعز لغيره وقال تعالى
ولله العزة ولرسوله اي الامتناع وجلالة القدر وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة
والنذارة فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات وقال ان الله
يبشرك بيحيى وبكلمة منه وسماه تعالى مبشرا ونذيرا لاهل معصيته صلى
الله عليه وسلم ومن اسمائه جل وتعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس
وقد ذكر بعضهم انها من اسماء محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم
فصل قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وها انا اذكر

كلمة أذيل بها هذا الفصل وأختم بها هذا القسم وأزيح الإشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم تخلصه من وساوس التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه وهو أن الله جل اسمه في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى أسمائه وعلي صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به وأن ما جاء مما أطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي إذ صفات القديم سبحانه بخلاف صفات المخلوقين فكما أن ذاته تعالى لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين إذ صفاتهم لا تنفك عن الأغراض والأعراض وهو سبحانه منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته وأسمائه وكفى في هذا قوله تعالى ليس كمثله شيء ولله در من قال من العلماء العارفين المحققين التوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات وزاد هذه النكتة الواسطي رحمه الله بيانا وهي مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة إلا من جهة موافقة اللفظ اللفظ وجلت الذات القديمة أن تكون لها صفة حديثة كما استحال أن تكون للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب أهل الحق والسنة والجماعة رضي الله عنهم وقد فسر الإمام أبو القسم القشيري رحمه الله قوله هذا ليزيده بيانا فقال هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل التوحيد وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات وهي بوجودها مستغنية وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب أنس أو دفع نقص حصل ولا بخواطر وأغراض وجد ولا بمباشرة ومعالجة ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه وقال آخر من مشايخنا ما توهمتموه بأوهامكم أو أدركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال الإمام أبو المعالي من اطمأن إلى موجود انتهى إليه فكره فهو مشبه ومن اطمأن إلى النفي

المحض فهو معطل وإن قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد وما أحسن قول ذي النون المصري حقيقة التوحيد أن تعلم أن قدرة الله تعالى في الأشياء بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وما تصور في وهمك فالله بخلافه وهذا كلام عجيب نفيس محقق والفصل الآخر تفسير لقوله تعالى ليس كمثله شيء والثاني تفسير لقوله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون والثالث تفسير لقوله تعالى إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ثبتنا الله وإياك على التوحيد والإثبات والتنزيه وجنبنا طرفي الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه وفضله ورحمته لا رب غيره

الباب الرابع

فيما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه حسب المتأمل أن يحقق أن كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولا لطاعن في معجزاته فنحتاج إلى نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل الطاعن إليها ونذكر شروط المعجز والتحدي وحده وفساد قول من أبطل نسخ الشرائع ورده بل ألفناه لأهل ملته الملبين لدعوته المصدقين لنبوته ليكون تأكيدا في محبتهم له ومنماة لأعمالهم وليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ونيتنا أن نثبت في هذا الباب أمهات معجزاته ومشاهير آياته لتدل على عظيم قدره عنده وأتينا منها بالمحقق والصحيح الإسناد وأكثره مما بلغ القطع أو كاد وأضفنا إليها بعض ما وقع في كتب الأئمة وإذا تأمل المتأمل المنصف ما قدمناه من جميل أثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله ومشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة

نبوته وصدق دعوته وقد لقي هذا غير واحد في اسلامه والايمان به
فروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما باسانيدهم ان عبد الله بن سلام
رضي الله عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لانظر
اليه فلما استبنت وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب حدثنا
به القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله قال حدثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل
ابن خيرون عن ابي يعلى البغدادي عن ابي علي السنجي عن ابن محبوب عن
الترمذي حدثنا عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر وابن ابي عدي ويحيى
ابن سعيد عن عوف بن ابي جميلة الاعرابي عن زرارة بن ابي اوفى عن عبد الله
ابن سلام الحديث وعن ابي رمثة التيمي اتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي
ابن لي فاريته فلما رايته قلت هذا نبي الله صلى الله عليه وسلم وروى مسلم
وغيره ان ضمادا لما وفد على النبي صلى الله عليه وسلم قال له صلى الله عليه وسلم
ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال له
اعد علي كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك وقال
جامع بن شداد كان رجل منا يقال له طارق فاخبر انه راى النبي صلى الله عليه
وسلم بالمدينة فقال هل معكم شيء تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا
وكذا وسقا من تمر فاخذ بخطامه وسار الى المدينة فقلنا بعنا من رجل
لا ندري من هو ومعنا ظعينة فقالت انا ضامنة لثمن البعير رايت وجه
رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم فاصبحنا فجاء رجل بتمر فقال انا
رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم يامركم ان تاكلوا من هذا التمر وتكتالوا
حتى تستوفوا ففعلنا وفي خبر الجلندي ملك عمان لما بلغه ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم يدعوه الى الاسلام قال الجلندي والله لقد دلني على هذا النبي
انه لا يامر بخير الا كان اول اخذ به ولا ينهى عن شر الا كان اول تارك له
وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز الموعود واشهد
انه نبي وقال نفطويه في قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار
هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل على
نبوته وان لم يتل قرآنا كما قال ابن رواحة — لو لم تكن فيه آيات مبينة
لكان منظره ينبيك بالخبر وقد آن ان ناخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة
وبعده في معجزة القرآن فصل اعلم ان الله جل اسمه قادر على خلق
المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته واسمائه وصفاته وجميع تكليفاته
ابتداء دون واسطة لو شاء كما حكي عن سنته في بعض الانبياء وذكره
بعض اهل التفسير في قوله عز وجل وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
او من وراء حجاب وجائز ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم
كلامه ويكون ذلك الواسطة اما من غير البشر كالملائكة مع الانبياء او من
جنسهم كالانبياء مع الامم ولا مانع لهذا من دليل العقل واذا جاز
هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم وجب
تصديقهم في جميع ما اتوا به لان المعجزة مع التحدي من النبي قائم مقام قول الله
تعالى صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه فيما يقوله وهذا
كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن اراد تتبعه وجده مستوفى في
مصنفات ائمتنا رحمهم الله والنبوة في لغة من همز ماخوذة من النبأ وهو
الخبر وقد لا تهمز على هذا التاويل تسهيلا والمعنى ان الله تعالى اطلعه
على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبي منبأ فعيل بمعنى مفعول او يكون مخبرا

عما نعمه الله به ومنبئا بما اطلعه الله عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون عند من لم
يهمز من النبوة وهو ما ارتفع من الارض معناه ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة
عند مولاه منيفة فالوصفان في حقه متلازمان وأما الرسول فهو المرسل
ولذا بات فعول بمعنى مفعل في اللغة الا نادرا وارساله امر الله له بالابلاغ
الى من ارسله اليه واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم جاء الناس ارسالا اذا
تبع بعضهم بعضا فكانه الزم تكرير التبليغ او الزمت الامة اتباعه واختلف
العلماء هل النبي والرسول بمعنى ام بمعنيين فقيل هما سواء واصله من الانباء
وهو الاعلام واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
فقد اثبت لهما معا الارسال قال ولا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول
الا نبيا وقيل هما مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع
على الغيب والاعلام بخواص النبوة او الرفعة بمعرفة ذلك وحوز درجتها
وافترقا في زيادة الرسالة التي للرسل وهو الامر بالانذار والاعلام كما
قلنا وحجتهم من الاية نفسها التفريق بين الاسمين ولو كانا شيئا واحدا لما حسن
تكرارهما في الكلام البليغ قالوا والمعنى وما ارسلنا من نبي الى امة او نبي
ليس بمرسل الى احد وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدا
ومن لم يات به نبي غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار والصحيح والذي عليه
الجماء الغفير ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا واول الرسل ادم
واخرهم محمد صلى الله عليهم اجمعين وفي حديث ابي ذر عنه صلى الله
عليه وسلم الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الف نبي وذكر ان الرسل
منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر اولهم ادم عليه وعلى جميعهم السلام فقد بان لك
معنى النبوة والرسالة وليستا عند المحققين ذاتا للنبي صلى الله عليه وسلم ولا وصف

ذاتا خلافا للكرامية في تطويل لهم وتمويل ليس عليه تعويل
وأما الوحي فاصله الاسراع فلما كان النبي يتلقى ما ياتيه
من ربه بعجل سمي وحيا وسميت انواع الالهامات وحيا تشبيها
بالوحي الى النبي وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد كاتبه
ووحي الحاجب واللحظ سرعة اشارتهما ومنه قوله تعالى فاوحى
اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اي اوما ورمز وقيل كتب ومنه
قولهم الوحا الوحا اي السرعة وقيل اصل الوحي السر والاخفاء
ومنه سمي الالهام وحيا ومنه قوله وان الشياطين ليوحون الى
اوليائهم اي يوسوسون في صدورهم ومنه قوله واوحينا الى ام
موسى اي القي في قلبها وقد قيل ذلك في قوله تعالى وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا اي ما يلقيه في قلبه دون واسطة

فصل اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبياء معجزة
هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين ضرب هو
من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل لله دل على
صدق نبيه كصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القرآن على
رأي بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على
الاتيان بمثله كاحياء الموتى وقلب العصا حية واخراج ناقة من
صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من الاصابع وانشقاق القمر مما لا يمكن
ان يفعله احد الا الله فيكون ذلك على يد النبي من فعل الله تعالى
وتحديه من يكذبه ان ياتي بمثله تعجيزا له واعلم ان المعجزات التي
ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته
وبراهين صدقه من هذين النوعين معا
~~وهو اكثر الرسل معجزة وابهرهم اية واظهرهم برهانا~~
~~كما سنبينه وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط~~
وهو اكثر الرسل معجزة وابهرهم اية واظهرهم برهانا كما
سنبينه وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط

فإن واحدا منها وهو القرآن لا يحصى عدد معجزاته بألف
ولا ألفين ولا أكثر لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدى
بسورة منه فعجز عنها قال أهل العلم وأقصر السور إنا
أعطيناك الكوثر فكل آية أو آيات منه بعددها وقدرها
معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما سنفصله فيما انطوى
عليه من المعجزات ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين
قسم منها علم قطعا ونقل إلينا متواترا كالقرآن فلا مرية
ولا خلاف بمجيء النبي به وظهوره من قبله واستدلاله بحجته
وإن أنكر هذا معاند جاحد فهو كإنكاره وجود محمد صلى الله
عليه وسلم في الدنيا وإنما جاء اعتراض الجاحدين في الحجة به فهو
في نفسه وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة ووجه إعجازه معلوم
ضرورة ونظرا كما سنشرحه قال بعض أيمتنا ويجري هذا المجرى على
الجملة أنه قد جرى على يديه عليه السلام آيات وخوارق عادات
إن لم يبلغ واحد منها معينا القطع فيبلغه جميعها فلا مرية في جريان
معانيها على يديه ولا يختلف مومن ولا كافر أنه جرت على يديه
عجائب وإنما خلاف المعاند في كونها من قبل الله وقد قدمنا كونها
من قبل الله وأن ذلك بمثابة قوله صدقت فقد علم وقوع مثل هذا
أيضا من نبينا ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود
حاتم وشجاعة عنترة وحلم أحنف لاتفاق الأخبار الواردة
عن كل واحد منهم على كرم هذا وجوده وشجاعة هذا وحلم
هذا وإن كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته
والقسم الثاني ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو
على نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد وشاع الخبر به عند
المحدثين والرواة ونقلة السير والأخبار كنبع الماء من بين
الأصابع وتكثير الطعام ونوع منه اختص به الواحد أو الاثنان
ونوع منه اختص به الواحد والكل والجماعة

والاثنان

والاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه إذا جمع إلى مثله
اتفقا في المعنى واجتمعا على الإتيان بالمعجز كما قدمنا **قال** القاضي أبو الفضل
وأنا أقول صدعا بالحق أن كثيرا من هذه الآيات المأثورة عنه صلى الله عليه وسلم
معلومة بالقطع أما انشقاق القمر فالقرآن نص بوقوعه وأخبر عن وجوده ولا
يعدل عن ظاهر الآية إلا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح الأخبار من طرق
كثيرة فلا يوهن عزمنا خلاف أخرق منحل عرى الدين ولا يلتفت إلى سخافة مبتدع
يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين بل نرغم بهذا أنفه وننبذ بالعراء سخفه **وكذلك**
قصة نبع الماء وتكثير الطعام رواها الثقات والعدد الكثير عن الجماء الغفير عن
العدد الكثير من الصحابة ومنها ما رواه الكافة عن الكافة متصلا عمن حدث
بها من جملة الصحابة وأخبارهم أن ذلك كان في موطن اجتماع الكثير منهم
في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة الحديبية وغزوة تبوك وأمثالها
من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يؤثر عن أحد من الصحابة مخالفة للراوي
فيما حكاه ولا إنكار لما ذكر عنهم أنهم رأوه كما رآه فسكوت الساكت منهم كنطق
الناطق إذ هم المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة في كذب وليس
هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير
معروف لديهم لأنكروه كما أنكر بعضهم على بعض أشياء رواها من
السنن والسير وحروف القرآن وخطأ بعضهم بعضا ووهمه في ذلك
مما هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطعي من معجزاته كما بيناه وأيضا
فإن أمثال الأخبار التي لا أصل لها وبنيت على باطل لا بد مع مرور الزمان
وتداول الناس وأهل البحث من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها كما نشاهد
في كثير من الأخبار الكاذبة والأراجيف الطارئة **وأعلام** نبينا هذه الواردة

خ ظاهر
خ قلوب
خ الجم
خ جملة
خ لما
خ الأزمان

من طريق الآحاد لا تزداد مع الأيام إلا ظهورًا ومع تداول القرون وكثرة طعن
العدو وحرصه على توهينها وتضعيف أصلها واجتهاد الملحد على إطفاء نورها
إلا قوةً وقبولًا ولا الطاعن عليها إلا حسرةً وغليلًا وكذلك إخباره صلى الله
عليه وسلم عن الغيوب وإنباؤه بما يكون وكان معلومًا من آياته على الجملة
بالضرورة وهذا حق لا غطاء عليه وقد قال به من أئمتنا القاضي والأستاذ
أبو بكر وغيرهما رحمهم الله وما أوجب عندي قول القائل إن هذه القصص
المشهورة من باب خبر الواحد إلا قلة مطالعته للأخبار وروايتها وشغله بغير
ذلك من المعارف والأمر أعني بطريق النقل وطالع الحديث والسير لم يرتب
في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه ولا يبعد أن يحصل
العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر فإن أكثر الناس يعلمون بالخبر
أن بغداد موجودة وأنها مدينة عظيمة ودار الإمامة والخلافة وآحاد
من الناس لا يعلمون اسمها فضلًا عن وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من أصحاب
مالك بالضرورة وتواتر النقل عنه أن مذهبه إيجاب قراءة أم القرآن في الصلاة
للمنفرد والإمام وإجزاء النية في أول ليلة من رمضان عما سواه وأن الشافعي
يرى تجديد النية كل ليلة والاقتصار في المسح على بعض الرأس وأن مذهبهما
القصاص في القتل بالمحدد وغيره وإيجاب النية في الوضوء واشتراط الولي
في النكاح وأن أبا حنيفة يخالفهما في هذه المسائل وغيرهم ممن لم يشتغل
بمذاهبهم ولا روى أقوالهم لا يعلم هذا من مذاهبهم فضلًا عما سواه وعند
ذكر آحاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانًا إن شاء الله تعالى ٥

فصل في إعجاز القرآن اعلم وفقنا الله وإياك أن كتاب الله العزيز
منطوٍ على وجوه من الإعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه
أولها

أولها حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته وإيجازه وبلاغته الخارقة عادة
العرب وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة
والحكم بما لم يخص به أحد من الأمم غيرهم وأوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت إنسان
ومن فصل الخطاب ما يقيد الألباب جعل الله لهم ذلك طبعًا وخلقةً وفيهم
غريزةً وقوةً يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به إلى كل سبب فيخطبون بديهًا
في المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويمدحون
ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون من ذلك
بالسحر الحلال ويطوقون من أوصافهم أجمل من سمط اللآل فيخدعون الألباب
ويذللون الصعاب ويذهبون الإحن ويهيجون الدمن ويجرئون الجبان
ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص كاملًا وينزلون النبيه خاملًا
منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام الفخم والطبع
الجوهري والمنزع القوي ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة
والألفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف في
القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا البابين فلهما
في البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناهج
لا يشكون أن الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا
فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من أبوابها وعلوا صرحًا لبلوغ
أسبابها فقالوا في الخطير والمهين وتفننوا في الغث والسمين وتقاولوا في
القل والكثر وتساجلوا في النظم والنثر فما راعهم إلا رسول كريم بكتاب عزيز
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد أحكمت آياته وفصلت
كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر .

إيجازه وإعجازه، وتظاهرت حقيقته ومجازه، وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه، وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه، واعتدل مع إيجازه حسن نظمه، وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه. وهم أفصح ما كانوا في هذا الباب مجالاً، وأشهر في الخطابة رجالاً، وأكثر في السجع والشعر سجالاً، وأوسع في الغريب واللغة مقالاً، بلغتهم التي بها يتحاورون، ومنازعهم التي عنها يتناضلون، صارخاً بهم في كل حين، ومقرعاً لهم بضعاً وعشرين عاماً على رؤوس الملأ أجمعين: أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين، وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله إلى قوله فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا، وقل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن الآية، وقل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات. وذلك أن المفترى أسهل، ووضع الباطل والمختلق على الاختيار أقرب، واللفظ إذا تبع المعنى الصحيح كان أصعب، ولهذا قيل: فلان يكتب كما يقال له، وفلان يكتب كما يريد، وللأول على الثاني فضل، وبينهما شأو بعيد. فلم يزل صلى الله عليه وسلم يقرعهم أشد التقريع، ويوبخهم غاية التوبيخ، ويسفه أحلامهم، ويحط أعلامهم، ويشتت نظامهم، ويذم آلهتهم وآباءهم، ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم، وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته، محجمون عن مماثلته، يخادعون أنفسهم بالتكذيب والإغراء بالافتراء، وقولهم: إن هذا إلا سحر يؤثر، وسحر مستمر، وإفك افتراه، وأساطير الأولين، والمباهتة والرضى بالدنية، كقولهم: قلوبنا غلف، وفي أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب، ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون، والادعاء مع العجز بقولهم: لو نشاء لقلنا مثل هذا، وقد قال لهم الله تعالى: ولن تفعلوا، فما فعلوا وما قدروا

ولا

[ارتجالا] [إذا اتبع المعنى] [الشغب الكاذب]

ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم، وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم، وإلا فلم يخف على أهل الميز منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم، بل ولوا عنه مدبرين، وأتوا مذعنين، من بين مهتد وبين مفتون. ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله يأمر بالعدل والإحسان الآية، قال: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، وما يقول هذا بشر. وذكر أبو عبيد أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ: فاصدع بما تؤمر، فسجد وقال: سجدت لفصاحته. وسمع آخر رجلاً يقرأ: فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا، فقال: أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام. وحكي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يوماً نائماً في المسجد، فإذا هو بقائم على رأسه يتشهد شهادة الحق، فاستخبره، فأعلمه أنه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها، وأنه سمع رجلاً من أسارى المسلمين يقرأ آية من كتابكم فتأملتها فإذا هو قد جمع فيها ما أنزل على عيسى ابن مريم من أحوال الدنيا والآخرة، وهي قوله تعالى: ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون. وحكى الأصمعي أنه سمع كلام جارية فقال لها: قاتلك الله ما أفصحك، فقالت: أو يعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى: وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه الآية، فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين. فهذا نوع من إعجازه منفرد بذاته غير مضاف إلى غيره على التحقيق والصحيح من القولين. وكون القرآن من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وأنه أتى به معلوم ضرورة، وكونه عليه الصلاة والسلام متحدياً به معلوم ضرورة، وعجز العرب عن الإتيان به معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة، وسبيل من ليس من أهلها علم

[من مهتد ومن مفتون] [أن] [يومًا]

ذلك بعجز المنكرين من أهلها عن معارضته واعتراف المقرين بإعجاز بلاغته
وأنت إذا تأملت قوله تعالى ولكم في القصاص حياة وقوله ولو ترى إذ فزعوا
فلا فوت وأخذوا من مكان قريب وقوله ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك
وبينه عداوة كأنه ولي حميم وقوله وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي الآية
وقوله فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا الآية وأشباهها من
الآي بل أكثر القرآن إذا نظرت حققت ما تضمنته من إيجاز ألفاظها
وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تأليف حروفها وتلاؤم كلمها وأن
تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين
من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات في المستنبطات عنها ثم هو في سرد
القصص الطوال وأخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء
عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية لمتأمله من ربط الكلام بعضه
ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف على طولها ثم
إذا ترددت قصة اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة
تنسي في البيان صاحبتها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس
من ترديدها ولا معاداة لمعادها **فصل** الوجه الثاني من
إعجازه صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام
العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت مقاطع آيه وانتهت
فواصل كلماته إليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع أحد
مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه أحلامهم ولم يهتدوا
إلى مثله في جنس كلامهم من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر **ولما سمع**
كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة وقرأ عليه القرآن رق فجاءه

أبو

أبو جهل منكرا عليه قال والله ما منكم أحد أعلم بالأشعار مني والله ما
يشبه الذي يقول شيئا من هذا **وفي خبره** الآخر حين جمع قريشا عند حضور
الموسم وقال إن وفود العرب ترد فأجمعوا فيه رأيا لا يكذب بعضكم بعضا
فقالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا نقول
مجنون قال والله ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر
قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه
ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قالوا ما هو بساحر ولا نفثه ولا
عقده قالوا فما نقول قال ما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا وأنا أعرف أنه باطل
وإن أقرب القول أنه ساحر فإنه سحر يفرق بين المرء وزوجه والمرء
وابنه والمرء وأخيه والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون
الناس فأنزل الله تعالى في الوليد ذرني ومن خلقت وحيدا الآيات **وقال**
عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن يا قوم قد علمتم أني لم أترك شيئا إلا وقد علمته
وقرأته وقلته والله لقد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر
ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال النضر بن الحارث مثله **وفي** حديث
إسلام أبي ذر رضي الله عنه ووصف أخاه أنيسا فقال والله ما سمعت بأشعر
من أخي أنيس لقد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية أنا أحدهم وإنه انطلق
إلى مكة وجاء إلى أبي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال
يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد
وضعته على أقراء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر
وإنه لصادق وإنهم لكاذبون **والأخبار** في هذا صحيحة كثيرة والإعجاز
بكل واحد من النوعين الإيجاز والبلاغة بذاتها أو الأسلوب الغريب بذاته

كل واحد منهما نوع إعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الإتيان بواحد
منهما إذ كل واحد منهما خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها وإلى هذا ذهب
غير واحد من أئمة المحققين وذهب بعض المقتدى بهم إلى أن الإعجاز في مجموع
البلاغة والأسلوب وأتى على ذلك بقول تمجه الأسماع وتنفر منه القلوب
والصحيح ما قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة وقطعا ومن تكلم في علوم البلاغة
وأرهف خاطره ولسانه أدب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه وقد
اختلف أئمة أهل السنة في وجه عجزهم عنه فأكثرهم يقول إنه مما جمع في
قوة جزالته ونصاعة ألفاظه وحسن نظمه وإيجازه وبديع تأليفه وأسلوبه
لا يصح أن يكون في مقدور البشر وأنه من باب الخوارق الممتنع إقدار الخلق
عليها كإحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصى وذهب الشيخ أبو الحسن إلى
أنه مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله تعالى عليه
ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة من
أصحابه وعلى الطريقين عجز العرب عنه ثابت وإقامة الحجة عليهم بما يصح
أن يكون في مقدور البشر وتحديهم بأن يأتوا بمثله قاطع وهو أبلغ في
التعجيز وأحرى بالتقريع والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة
البشر لازم وهو أبهر آية وأقمع دلالة وعلى كل حال فما أتوا في ذلك بمقال
بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا
من شموخ الأنف وإباء الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه
إلا اضطرارا وإلا فالمعارضة لو كانت من قدرهم والشغل بها أهون عليهم
وأسرع بالنجح وقطع العذر وإفحام الخصم لديهم وهم ممن لهم قدرة على الكلام
وقدوة في المعرفة به لجميع الأنام وما منهم إلا من جهد جهده واستنفد ما عنده

في إخفاء ظهوره وإطفاء نوره فما جلوا في ذلك خبيئة من بنات شفاههم ولا أتوا
بنطفة من معين مياههم مع طول الأمد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد
بل أبلسوا فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا فهذان نوعان من إعجازه **فصل** الوجه
الثالث من الإعجاز ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات وما لم يكن وما لم
يقع فوجد كما ورد وعلى الوجه الذي أخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام إن
شاء الله آمنين وقوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقوله ليظهره على الدين
كله وقوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الآية
وقوله إذا جاء نصر الله والفتح إلى آخرها فكان جميع هذا كما قال تبارك
وتعالى فغلبت الروم فارس في بضع سنين ودخل الناس في الإسلام أفواجا
فما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي بلاد العرب موضع لم يدخله الإسلام
واستخلف المؤمنين في الأرض ومكن فيها دينهم وملكهم إياها من أقصى المشارق
إلى أقصى المغارب كما قال صلى الله عليه وسلم زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها
وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها وقوله عز وجل إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له
لحافظون فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى في تغييره وتبديل محكمه من الملحدة
والمعطلة لا سيما القرامطة فأجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم
نيفا على خمسمائة عام فما قدروا على إطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه
ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه والحمد لله ومنه قوله تعالى
سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم
الآية وقوله هو الذي أرسل رسوله بالهدى الآية وقوله لن يضروكم
إلا أذى وإن يقاتلوكم الآية فكان كل ذلك وما فيه من كشف أسرار المنافقين
واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله تعالى ويقولون

في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول وقوله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك
الآية وقوله تعالى ومن الذين هادوا سماعون للكذب الآية وقوله من الذين
هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه إلى قوله في الدين وقد قال مبديا ما قدره
الله تعالى واعتقده المؤمنون يوم بدر وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها
لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ومنه قوله تعالى إنا كفيناك المستهزئين
ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك أصحابه بأن الله تعالى كفاه إياهم
وكان المستهزئون نفرا بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه صلى الله عليه وسلم
فهلكوا وقوله والله يعصمك من الناس فكان كذلك على كثرة من رام ضره
وقصد قتله والأخبار بذلك معروفة صحيحة والحمد لله وحده فصل
الوجه الرابع ما أنبأ به من أخبار القرون الماضية والأمم البائدة والشرائع
الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذي
قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتي به على نصه
فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وأن مثله لم ينله بتعليم وقد علموا أنه
صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة لم يغب
عنهم ولا جهل حاله أحد منهم وقد كان أهل الكتاب كثيرا ما يسألونه صلى الله عليه وسلم
عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص الأنبياء مع قومهم
وخبر موسى والخضر ويوسف وإخوته وأصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان
وابنه وأشباه ذلك من الأنباء وبدء الخلق وما في التوراة والإنجيل والزبور
وصحف إبراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما
ذكر منها بل أذعنوا لذلك فمن موفق آمن بما سبق له من خير ومن شقي معاند
خاسر ومع هذا فلم يحك عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم

له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت
عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له عليه الصلاة والسلام وتعنيتهم إياه
عن أخبار أنبيائهم وأسرار علومهم ومستودعات سيرهم وإعلامه لهم بمكتوم
شرائعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذي القرنين وأصحاب
الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم إسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من
الأنعام ومن طيبات كانت أحلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله ذلك
مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل وغير ذلك من أمورهم التي نزل فيها القرآن
فأجابهم وعرفهم بما أوحي إليه من ذلك أنه أنكر ذلك أو كذبه بل أكثرهم
صرح بصحة نبوته وصدق مقالته واعترف بعناده وحسده إياه كأهل
نجران وابن صوريا وابني أخطب وغيرهم ومن باهت في ذلك بعض المباهتة
وادعى أن فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة دعي إلى إقامة حجته وكشف
دعوته فقيل له قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين إلى قوله الظالمون
فقرع ووبخ ودعي إلى إحضار ممكن غير ممتنع فمن معترف بما جحده
ومتواقح يلقي على فضيحته من كتابه يده ولم يؤثر أن واحدا منهم أظهر
خلاف قوله من كتبه ولا أبدى صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله تعالى
يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو
عن كثير الآيتين فصل هذه الوجوه الأربعة من إعجازه بينة لا نزاع
فيها ولا مرية ومن الوجوه البينة في إعجازه من غير هذه الوجوه آي وردت
بتعجيز قوم في قضايا وإعلامهم أنهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك
كقوله لليهود قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة الآية قال
أبو إسحاق الزجاج في هذه الآية أعظم حجة وأظهر دلالة على صحة الرسالة لأنه

قال لهم فتمنوا الموت إن كنتم صادقين وأعلمهم أنهم لن يتمنوه أبدا فلم يتمنه واحد منهم
وعن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم إلا غص بريقه
يعني يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله وصحة ما أوحي
إليه إذ لم يتمنه واحد منهم وكانوا على تكذيبه أحرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما
يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته قال أبو محمد الأصيلي من أعجب أمرهم
أنه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم أمر الله بذلك نبيه عليه الصلاة والسلام
يقدم عليه ولا يجيب إليه وهذا موجود مشاهد لمن أراد أن يمتحنه منهم
وكذلك آية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه أساقفة نجران
وأبوا الإسلام فأنزل الله تعالى عليه آية المباهلة بقوله فمن حاجك فيه الآية
فامتنعوا منها ورضوا بالجزية وذلك أن العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم
أنه نبي وأنه ما لاعن قوما نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله وإن
كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا إلى قوله فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فأخبرهم
أنهم لا يفعلون كما كان وهذه الآية أدخل في باب الإخبار عن الغيب ولكن فيها
من التعجيز ما في التي قبلها فصل ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه
وأسماعهم عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وإنافة
خطره وهي على المكذبين به أعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا
كما قال تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
إن القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم وأما المؤمن فلا تزال روعته
به وهيبته إياه مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه إليه وتصديقه
به قال تبارك وتعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم
وقلوبهم إلى ذكر الله وقال لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الآية ويدل على أن

هذا

هذا شيء خص به أنه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روي عن
نصراني أنه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل له مم بكيت قال للشجا والنظم وهذه
الروعة قد اعترت جماعة قبل الإسلام وبعده فمنهم من أسلم لها لأول وهلة
وآمن به ومنهم من كفر فحكي في الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله
عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية أم خلقوا من غير شيء أم هم
الخالقون إلى قوله المسيطرون كاد قلبي أن يطير وفي رواية وذلك أول ما
وقر الإسلام في قلبي وعن عتبة بن ربيعة أنه كلم النبي صلى الله عليه وسلم
فيما جاء به من خلاف قومه فتلا عليه حم فصلت إلى قوله صاعقة مثل صاعقة
عاد وثمود فأمسك عتبة بيده على فم النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم أن
يكف وفي رواية فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف
ظهره معتمد عليهما حتى انتهى إلى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة
لا يدري بما يراجعه ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قومه حتى أتوه فاعتذر لهم
وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت أذناي بمثله قط فما دريت ما أقول
له وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته أنه اعترته روعة وهيبة كف
بها عن ذلك فحكي أن ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبي
يقرأ وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي فرجع ومحا ما عمل وقال أشهد
أن هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان من أفصح أهل وقته
يحيى بن حكم الغزال بليغا في زمنه فحكي أنه رام شيئا من هذا فنظر في سورة
الإخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترته خشية ورقة
حملته على التوبة والإنابة فصل ومن وجوه إعجازه المعدودة كونه
آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال إنا نحن نزلنا الذكر

وإنا له لحافظون وقال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسائر معجزات
الأنبياء انقضت بانقضاء أوقاتها فلم يبق إلا خبرها والقرآن العزيز الباهرة آياته
الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنة
لأول نزوله إلى وقتنا هذا حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة والأعصار كلها
طافحة بأهل البيان وحملة علم اللسان وأئمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة
والملحد فيهم كثير والمعادي للشرع عتيد فما منهم من أتى بشيء يؤثر في معارضته
ولا ألف كلمتين في مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من
ذهنه في ذلك إلا بزند شحيح بل المأثور عن كل من رام ذلك إلقاؤه في العجز بيديه
والنكوص على عقبيه فصل وقد عدّ جماعة من الأئمة ومقلدي الأمة
في إعجازه وجوها كثيرة منها أن قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الإكباب على
تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام
ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادى إذا أعيد وكتابنا
يستلذ به في الخلوات ويؤنس بتلاوته في الأزمات وسواه من الكتب لا يوجد
فيها ذلك حتى أحدث لها أصحابها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم
على قراءتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بأنه لا يخلق
على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه هو الفصل ليس بالهزل
لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة هو الذي لم
تنته الجن حين سمعته أن قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به
ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم خاصة قبل نبوته معرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها أحد من علماء الأمم
ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على

طرق

طرق الحجج العقلية والرد على فرق الأمم ببراهين قوية وأدلة بينة سهلة
الألفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون بعد أن ينصبوا أدلة مثله فلم يقدروا عليه
كقوله تعالى أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم وقل
يحييها الذي أنشأها أول مرة ولو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا إلى ما حواه من
علوم السير وأنباء الأمم والمواعظ والحكم وأخبار الدار الآخرة ومحاسن
الآداب والشيم قال الله عز وجل اسمه ما فرطنا في الكتاب من شيء ونزلنا عليك
الكتاب تبيانا لكل شيء ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل الآية
وقال صلى الله عليه وسلم إن الله أنزل هذا القرآن آمرا وزاجرا وسنة
خالية ومثلا مضروبا فيه نبؤكم وخبر من كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما
بينكم لا يخلقه كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق
ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به أقسط ومن عمل به أجر
ومن تمسك به هدي إلى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره أضله
الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط
المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة
لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ولا
يخلق على كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود وقال فيه ولا يختلف ولا يتشان
فيه نبأ الأولين والآخرين وفي الحديث قال الله تعالى لمحمد صلى الله
عليه وسلم إني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها أعينا عميا وآذانا
صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب وعن كعب
عليكم بالقرآن فإنه فهم العقول ونور الحكمة وقال الله تعالى إن هذا
القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وقال هذا بيان للناس

وهذه الآية تجمع فيه مع وجازة ألفاظه وجوامع كلمه أضعاف ما
في الكتب قبله التي ألفاظها على الضعف منه مرات ومنها جمعه فيه بين الدليل
والمدلول وذلك أنه احتج بنظم القرآن وحسن وصفه وإيجازه وبلاغته
وأثناها هذه البلاغة أمره ونهيه ووعده ووعيده فالتالي له يفهم موضع
الحجة والتكليف معاً من كلام واحد وسورة منفردة ومنها أن جعله
في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور لأن المنظوم أسهل
على النفوس وأوعى للقلوب وأسمح في الآذان وأحلى في الأفهام فالناس إليه
أميل والأهواء إليه أسرع ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبه
على متحفظيه قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر وسائر الأمم لا
يحفظ كتابها الواحد منهم فكيف الجماعة على مرور الأعوام عليهم والقرآن ميسر
حفظه للغلمان في أقرب مدة ومنها مشاكلة بعض أجزائه بعضاً وحسن
ائتلاف أنواعها والتئام أقسامها وحسن التخلص من قصة إلى أخرى والخروج
من باب إلى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة على أمر ونهي
وخبر واستخبار ووعد ووعيد وإثبات نبوة وتوحيد وتقرير
وترغيب وترهيب إلى غير ذلك من فوائد دون خلل يتخلل فصوله
والكلام الفصيح إذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته
وقل رونقه وتقلقلت ألفاظه فتأمل أول ص وما جمع فيها من أخبار
الكفار وشقاقهم وتقريعهم بإهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم
لمحمد صلى الله عليه وسلم وتعجبهم مما أتى به والخبر عن اجتماع ملائهم على الكفر
وما ظهر من الحسد في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزي
الدنيا والآخرة وتكذيب الأمم قبلهم وإهلاك الله لهم ووعيد هؤلاء

بمثل

بمثل مصابهم وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم على أذاهم وتسليته بما تقدم
ذكره ثم أخذ في ذكر داود وقصص الأنبياء كل هذا في أوجز كلام وأحسن
نظام ومنها الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير
مما ذكرنا أنه ذكر في إعجاز القرآن من الوجوه يمكن ذكرها الأئمة لم يذكرها لأنها
داخل في باب بلاغته فلا يجب أن تعد فناً منفرداً في إعجازه إلا في باب تفصيل
فنون البلاغة وكذلك كثير مما قد ذكرنا عنهم يعد في خواصه وفضائله لا في
إعجازه وحقيقة الإعجاز الوجوه الأربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها وما
بعدها من خواص القرآن وعجائبه التي لا تنقضي والله الموفق للصواب وهو
المستعان فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس قال الله تعالى اقتربت
الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر أخبر تبارك
وتعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي وإعراض الكفرة عن آياته وأجمع
المفسرون وأهل السنة على وقوعه أخبرنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه
حدثنا القاضي سراج بن عبد الله حدثنا الأصيلي حدثنا المروزي حدثنا
الفربري حدثنا البخاري حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن شعبة وسفيان عن
الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية مجاهد ونحن مع النبي صلى الله
عليه وسلم وفي بعض طرق الأعمش بمنى ورواه أيضاً عن ابن مسعود الأسود
وقال حتى رأيت الجبل بين فرجتي القمر ورواه عنه مسروق أنه كان بمكة
وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن أبي كبشة فقال رجل منهم إن محمداً إن كان
سحر القمر فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها فسلوا من يأتي من بلد آخر

فقالوا

هل رأوا هذا فأتوا فسألوهم فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك **وحكى** السمرقندي
عن الضحاك نحوه وقال فقال أبو جهل هذا سحر فابعثوا إلى أهل الآفاق حتى
تنظروا أرأوا ذلك أم لا فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه منشقا فقالوا يعني
الكفار هذا سحر مستمر **ورواه** أيضا عن ابن مسعود علقمة فهؤلاء أربعة
عن عبد الله **وقد** رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم أنس وابن
عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم **فقال** علي من رواية
أبي حذيفة الأرحبي انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم **وعن** أنس
سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر فرقتين
حتى رأوا حراء بينهما رواه عن أنس قتادة **وفي** رواية معمر وغيره عن قتادة
عنه أراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر **ورواه**
عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد **ورواه عن** ابن عباس عبيد الله
ابن عبد الله بن عتبة **ورواه** عن ابن عمر مجاهد **ورواه** عن حذيفة أبو عبد الرحمن
السلمي ومسلم بن أبي عمران الأزدي وأكثر طرق هذه الأحاديث
صحيحة والآية مصرحة ولا يلتفت إلى اعتراض مخذول بأنه لو كان هذا
لم يخف على أهل الأرض إذ هو شيء ظاهر لجميعهم إذ لم ينقل لنا عن أهل
الأرض أنهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل إلينا عمن لا يجوز
تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا به حجة إذ ليس القمر في حد واحد
لجميع أهل الأرض فقد يطلع على قوم قبل أن يطلع على آخرين وقد يكون من قوم
بضد ما هو من مقابليهم من أقطار الأرض أو يحول بينه وبين قوم سحاب أو جبال
ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها
كلية وفي بعضها لا يعرفها إلا المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم

وآية

وآية القمر كانت ليلا والعادة من الناس بالليل الهدوء والسكون وإيجاف الأبواب
وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من أمور السماء شيئا إلا من رصد ذلك واهتبل
به ولذلك ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد وأكثرهم لا يعلم به حتى يخبر
وكثيرا ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من أنوار ونجوم طوالع عظام
تظهر في الأحيان بالليل في السماء ولا علم عند أحد منها **وخرج** الطحاوي في
مشكل الحديث عن أسماء بنت عميس من طريقين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان
يوحى إليه ورأسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أصليت يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم
إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت أسماء فرأيتها غربت
ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ووقفت على الجبال والأرض وذلك بالصهباء في خيبر
قال وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات **وحكى** الطحاوي أن أحمد
ابن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء لأنه
من علامات النبوة **وروى** يونس بن بكير في زيادة المغازي روايته عن ابن
إسحق لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر قومه بالرفقة والعلامة
التي في العير قالوا متى تجيء قال يوم الأربعاء فلما كان ذلك اليوم أشرفت
قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجئ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس **فصل** في نبع الماء من بين أصابعه
وتكثيره ببركته صلى الله عليه وسلم تسليما **قال** المؤلف رحمه الله أما الأحاديث
في هذا فكثيرة جدا **روى** حديث نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم
جماعة من الصحابة منهم أنس وابن مسعود وجابر حدثنا أبو إسحق إبراهيم
ابن جعفر الفقيه بقراءتي عليه حدثنا القاضي علي بن سهل حدثنا أبو القاسم

حاتم بن محمد حدثنا أبو عمر بن الفخار حدثنا أبو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى
حدثنا مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك رأيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتي رسول الله
صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الإناء يده
وأمر الناس أن يتوضؤوا منه قال فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى
توضؤوا من عند آخرهم ورواه أيضا عن أنس قتادة وقال بإناء فيه ماء يغمر
أصابعه أو لا يكاد يغمر قال كم كنتم قال زهاء ثلاثمائة وفي رواية عنه وهم
بالزوراء عند السوق ورواه أيضا حميد وثابت والحسن عن أنس وفي رواية
حميد قلت كم كانوا قال ثمانون ونحوه عن ثابت عنه وعنه أيضا وهم نحو من
سبعين رجلا وأما ابن مسعود ففي الصحيح عنه من رواية علقمة بينما نحن مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا
من معه فضل ماء فأتي بماء فصبه في إناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من
أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم بن أبي الجعد عن جابر عطش
الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ
منها وأقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء إلا ما في ركوتك فوضع النبي
صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون
وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروي
مثله عن أنس عن جابر وفيه أنه كان بالحديبية وفي رواية الوليد بن عبادة
ابن الصامت عنه في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط قال قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث بطوله وأنه لم يجد إلا قطرة
في عزلاء شجب فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه وتكلم بشيء لا أدري ما هو

وقال ناد بجفنة الركب فأتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم بسط
يده في الجفنة وفرق أصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله قال فرأيت
الماء يفور من بين أصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلأت وأمر الناس
بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي أحد له حاجة فرفع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى وعن الشعبي أن النبي صلى الله
عليه وسلم أتي في بعض أسفاره بإداوة ماء وقيل ما معنا يا رسول الله ماء غيرها فسكبه
في ركوة ووضع إصبعه وسطها وغمسها في الماء وجعل الناس يجيئون ويتوضؤون ثم
يقومون قال الترمذي وفي الباب عن عمران بن حصين ومثل هذا في
هذه المواطن الحفيلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة إلى المحدث به لأنهم
كانوا أسرع شيء إلى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك ولأنهم كانوا ممن
لا يسكت على باطل فهؤلاء قد رووا هذا وأشاعوه ونسبوا حضور الجم الغفير
له ولم ينكر أحد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم أنهم فعلوه وشاهدوه فصار
كتصديق جميعهم له فصل ومما يشبه هذا من معجزاته تفجير الماء ببركته
وانبعاثه بمسه ودعوته فيما روى مالك في الموطأ عن معاذ بن جبل في قصة
غزوة تبوك وأنهم وردوا العين وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا
من العين بأيديهم حتى اجتمع في شيء ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيه وجهه ويديه وأعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس قال في حديث
ابن إسحاق فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ
إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملئ جنانا وفي حديث البراء
وسلمة بن الأكوع وحديثه أتم في قصة الحديبية وهم أربع عشرة مائة
وبئرها لا تروي خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله

صلى الله عليه وسلم على شفاها قال البراء أو أتي بدلو منها فبصق ودعا وقال سلمة
فإما دعا وإما بصق فيها فجاشت فأرووا أنفسهم وركابهم وفي غير هذه
الروايتين هذه القصة من رواية ابن شهاب في طريق الحديبية فأخرج سهمًا من
كنانته فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء فروي الناس حتى ضربوا بعطن وعن
أبي قتادة وذكر أن الناس شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش في
بعض أسفاره فدعا بالميضأة فجعلها في ضبنه ثم التقم فمها فالله أعلم نفث فيها أم لا
فشرب الناس حتى رووا وملأوا كل إناء معهم فخيل إلي أنها كما أخذها مني
وكانوا اثنين وسبعين رجلًا وروى مثله عمران بن حصين وذكر الطبري
حديث أبي قتادة على غير ما ذكره أهل الصحيح وأن النبي صلى الله عليه وسلم
خرج لهم ممدًّا لأهل مؤتة عند ما بلغه قتل الأمراء وذكر حديثًا
طويلًا فيه معجزات وآيات للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه إعلامهم أنهم يفقدون
الماء في غد وذكر حديث الميضأة قال والقوم زهاء ثلاث مائة وفي
كتاب مسلم أنه قال لأبي قتادة احفظ على ميضأتك فإنه سيكون لها نبأ وذكر
نحوه ومن ذلك حديث عمران بن حصين حين أصاب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه
عطش في بعض أسفاره فوجه رجلين من أصحابه وأعلمهما أنهما يجدان امرأة
بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان الحديث فوجداها وأتيا بها إلى النبي
صلى الله عليه وسلم فجعل في إناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله أن يقول
ثم أعاد الماء في المزادتين ثم فتحت عزاليهما وأمر الناس فملأوا أسقيتهم حتى
لم يدعوا شيئًا إلا ملأوه قال عمران فخيل إلي أنهما لم تزدادا إلا امتلاء ثم أمر
فجمع للمرأة من الأزواد حتى ملأ ثوبها وقال اذهبي فإنا لم نأخذ من مائك
شيئًا ولكن الله سقانا الحديث بطوله وعن سلمة بن الأكوع قال قال نبي الله صلى

الله

الله عليه وسلم هل من وضوء فجاء رجل بإداوة فيها نطفة فأفرغها في قدح فتوضأنا
كلنا ندغفقه دغفقة أربع عشرة مائة وفي حديث عمر رضي الله عنه
في جيش العسرة وذكر ما أصابهم من العطش حتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه
فيشربه فرغب أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما
حتى قالت السماء فانسكبت فملأوا ما معهم من آنية ولم تجاوز العسكر وعن عمرو بن
شعيب أن أبا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز عطشت
وليس عندي ماء فنزل النبي صلى الله عليه وسلم وضرب بقدمه الأرض فخرج
الماء فقال اشرب والحديث في هذا الباب كثير ومنه الإجابة بدعاء الاستسقاء
وما جانسه فصل ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تكثير الطعام ببركته
ودعائه حدثنا القاضي الشهيد أبو علي حدثنا العذري حدثنا الرازي
حدثنا الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا سلمة بن شبيب
حدثنا الحسن بن أعين حدثنا معقل عن أبي الزبير عن جابر أن رجلًا أتى النبي
صلى الله عليه وسلم يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير فما زال يأكل منه وامرأته
وضيفه حتى كاله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال لو لم تكله لأكلتم منه
ولقام بكم ومن ذلك حديث أبي طلحة المشهور وإطعامه صلى الله عليه وسلم
ثمانين أو سبعين رجلًا من أقراص من شعير جاء بها أنس تحت يده أي إبطه
فأمر بها ففتت وقال فيها ما شاء الله أن يقول وحديث جابر في إطعامه
صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير وعناق قال جابر
فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هي وإن عجيننا
ليخبز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة وبارك رواه
عن جابر سعيد بن ميناء وأيمن وعن ثابت مثله عن رجل من الأنصار وامرأته

أسفارهم

فاستطعمه

من أقراص شعير

ولم ليتيه قال وجي بمثل الكف فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يبسطها في
الإناء ويقول ما شاء الله فاكل منه من في البيت والحجرة والدار وكان ذلك قد
امتلأ بمن قدم معه عليه الصلوة والسلام لذلك وبقي بعد ما شبعوا مثل
ما كان في الإناء وحديث أبي أيوب أنه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ولأبي بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ادع
ثلثين من أشراف الأنصار فدعاهم فاكلوا حتى تركوا ثم قال ادع ستين وكان
مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فاكلوا حتى تركوا وما خرج منهم أحد حتى أسلم
وبايع قال أبو أيوب فاكل من طعامي مائة وثمانون رجلا وعن سمرة بن جندب
أتي النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل
يقوم قوم ويقعد آخرون ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله
عنهما كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلثين ومائة وذكر في الحديث أنه عجن صاع
من طعام وصنعت شاة فشوي سواد بطنها ثم قال وأيم الله ما من الثلثين والمائة
إلا وقد حز له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فاكلنا أجمعون
وفضل في القصعتين فحملته على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي عمرة
الأنصاري عن أبيه ومثله لسلمة بن الأكوع وأبي هريرة وعمر بن الخطاب فذكروا
مخمصة أصابت الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية
الأزواد فجاء الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك وأعلاهم الذي أتى بالصاع
من التمر فجمعه على نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم دعا الناس بأوعيتهم
فما بقي في الجيش وعاء إلا ملأوه وبقي منه وعن أبي هريرة أمرني النبي صلى
الله عليه وسلم أن أدعو له أهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين أيدينا
صحفة فاكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت إلا أن فيها أثر الأصابع

وعن

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب
وكانوا أربعين منهم قوم يأكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من
طعام فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا منه حتى رووا وبقي كأنه
لم يشرب وقال أنس إن النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب أمرني أن أدعو له
قوما سماهم وكل من لقيت حتى امتلأ البيت والحجرة وقدم إليهم تورا فيه
قدر مد من تمر جعل حيسا فوضعه قدامه وغمس ثلث أصابعه وجعل
القوم يتغدون ويخرجون وبقي التور نحوا مما كان وكان القوم أحدا أو اثنين
وسبعين وفي رواية في هذه القصة أو مثلها أن القوم كانوا زهاء ثلثمائة وأنهم أكلوا
حتى شبعوا وقال لي ارفع فلا أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت وفي
حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن علي أن فاطمة طبخت قدرا لغدائهما
ووجهت عليا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليتغدى معهما فأمرها فغرفت
منها لجميع نسائه صحفة صحفة ثم له عليه الصلوة والسلام ولعلي ثم لها ثم
رفعت القدر وإنها لتفيض قالت فاكلنا منها ما شاء الله وأمر صلى الله عليه وسلم
عمر بن الخطاب أن يزود أربع مائة راكب من أحمس فقال يا رسول الله ما
هي إلا أصوع قال اذهب فذهب فزودهم منه وكان قدر
الفصيل الرابض من التمر وبقي بحاله من رواية دكين الأحمسي ومن رواية
جرير ومثله من رواية النعمن بن مقرن الخبر بعينه إلا أنه قال
أربع مائة راكب من مزينة ومن ذلك حديث جابر في دين أبيه بعد
موته وقد كان بذل لغرماء أبيه أصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها
سنين كفاف دينهم فجاء النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أمر بجدادها
وجعلها بيادر في أصولها فمشى فيها ودعا فأوفى منه جابر غرماء أبيه وفضل

مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي رواية مثل ما أعطاهم قال وكان الغرماء
يهود فعجبوا من ذلك وقال أبو هريرة أصاب الناس مخمصة فقال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء قلت نعم شيء من تمر في المزود قال فأتني به
فأدخل يده فأخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فأكلوا
حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا وقال خذ ما جئت به
وأدخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على أكثر مما جئت به فأكلت منه وأطعمت
حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر إلى أن قتل عثمان فانتهب مني
فذهب وفي رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في
سبيل الله وذكر مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وأن التمر كان بضع
عشرة تمرة ومثله أيضا حديث أبي هريرة حين أصابه الجوع فاستتبعه
النبي صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا في قدح قد أهدي إليه وأمره أن
يدعو أهل الصفة قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت أحق أن أصيب منه
شربة أتقوى بها فدعوتهم وذكر أمر النبي صلى الله عليه وسلم له أن يسقيهم
فجعلت أعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم يأخذه الآخر حتى روي جميعهم
قال فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت أنا وأنت اقعد
فاشرب فشربت ثم قال اشرب وما زال يقولها وأشرب حتى قلت لا والذي
بعثك بالحق ما أجد له مسلكا فأخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة
وفي حديث خالد بن عبد العزى أنه أجزر النبي صلى الله عليه وسلم
شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا يبد عياله عظما عظما وأن
النبي صلى الله عليه وسلم أكل من هذه الشاة وجعل فضلتها في دلو خالد ودعا
له بالبركة فنثر ذلك لعياله فأكلوا وأفضلوا ذكر خبره الدولابي ومن

حديث

حديث الآجري في إنكاح النبي صلى الله عليه وسلم لعلي فاطمة رضي الله
عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بلالا بقصعة من أربعة أمداد أو خمسة
ويذبح جزورا لوليمتها قال فأتيته بذلك فطعن في رأسها ثم أدخل الناس رفقة
رفقة يأكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها وأمر
بحملها إلى أزواجه وقال كلن وأطعمن من غشيكن وفي حديث أنس تزوج رسول
الله صلى الله عليه وسلم فصنعت أمي أم سليم حيسا فجعلته في تور فذهبت به
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضعه وادع لي فلانا وفلانا ومن لقيت
فدعوتهم ولم أدع أحدا لقيته إلا دعوته وذكر أنهم كانوا زهاء ثلاثمائة حتى
ملأوا الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تحلقوا عشرة عشرة ووضع
النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام فدعا فيه وقال ما شاء الله أن يقول فأكلوا
حتى شبعوا كلهم فقال لي ارفع فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين
رفعت وأكثر أحاديث هذه الفصول الثلاثة في الصحيح وقد اجتمع على
معنى حديث هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم أضعافهم
من التابعين ثم من لا يعد بعدهم وأكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهودة
لا يمكن التحدث عنها إلا بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما أنكر

فصل

في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة وإجابتها دعوته صلى الله عليه وسلم حدثنا
أحمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما أجازنيه عن أبي عمر الطلمنكي
عن أبي بكر بن المهندس عن أبي القسم البغوي حدثنا أحمد بن عمران الأخنسي
حدثنا أبو حيان التيمي وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر قال كنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه أعرابي فقال يا أعرابي أين تريد
قال إلى أهلي قال هل لك إلى خير قال وما هو قال تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا

شريك له وأن محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة
السمرة وهي بشاطئ الوادي فادعها فإنها تجيبك قال فدعوتها فأقبلت تخد
الأرض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت أنه كما قال ثم رجعت إلى
مكانها **وعن** بريدة سأل أعرابي النبي صلى الله عليه وسلم آية فقال له قل لتلك
الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها
وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الأرض تجر عروقها مغبرة
حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك
يا رسول الله قال الأعرابي مرها فلترجع إلى منبتها فرجعت فدلت عروقها
في ذلك فاستوت فقال الأعرابي ائذن لي أسجد لك قال لو أمرت أحدا
أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها قال فأذن لي أن أقبل يديك
ورجليك فأذن له **وفي** الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به فإذا شجرتين
بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إحداهما فأخذ
بغصن من أغصانها فقال انقادي علي بإذن الله فانقادت معه كالبعير
المخشوش الذي يصانع قائده وذكر أنه فعل بالأخرى كذلك حتى إذا كان
بالمنصف بينهما قال التئما علي بإذن الله فالتأمتا **وفي** رواية أخرى
فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحقي بصاحبتك حتى أجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها
فجلس خلفهما فخرجت أحضر وجلست أحدث نفسي فالتفت فإذا
رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامت كل
واحدة منهما على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال

برأسه هكذا يمينا وشمالا **وروى** أسامة بن زيد نحوه قال قال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل تعني مكانا لحاجة رسول الله فقلت
إن الوادي ما فيه موضع بالناس فقال هل ترى من نخل أو حجارة قلت أرى نخلات
متقاربات قال انطلق وقل لهن إن رسول الله يأمركن أن تأتين لمخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذي بعثه
بالحق لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن
ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن فوالذي نفسي بيده لرأيتهن
والحجارة يفترقن حتى عدن إلى مواضعهن **وقال** يعلى بن سيابة كنت مع
النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر
فأمر وديتين فانضمتا وفي رواية أشاءتين **وعن** غيلان بن سلمة الثقفي
مثله في شجرتين **وعن** ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في
غزاة حنين **وعن** يعلى بن مرة وهو ابن سيابة أيضا وذكر أشياء رآها
من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر أن طلحة أو سمرة جاءت فأطافت به
ثم رجعت إلى منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنها استأذنت أن
تسلم علي **وفي** حديث عبد الله بن مسعود آذنت النبي صلى الله عليه وسلم
بالجن ليلة استمعوا له شجرة **وعن** مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث
أن الجن قالوا من يشهد لك قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها
لها قعاقع وذكر مثل الحديث الأول أو نحوه **قال** المؤلف رحمه الله
فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة وأسامة بن زيد
وأنس بن مالك وعلي بن أبي طالب وابن عباس وغيرهم قد اتفقوا على هذه القصة
نفسها أو معناها ورواها عنهم من التابعين أضعافهم فصارت في انتشارها من

القوم حيث هي وذكر ابن فورك أنه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطائف
ليلا وهو وسن فاعترضته سدرة فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على
ساقين إلى وقتنا هذا وهي هناك معروفة معظمة ومن ذلك حديث
أنس أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم ورآه حزينا أتحب أن أريك
آية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شجرة من وراء الوادي
فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه قال مرها فلترجع
فعادت إلى مكانها وعن علي نحو هذا ولم يذكر فيها جبريل قال اللهم
أرني آية لا أبالي من كذبني بعدها فدعا شجرة وذكر مثله وحزنه صلى
الله عليه وسلم لتكذيب قومه وطلبه الآية لهم لا له وذكر ابن إسحاق
أن النبي صلى الله عليه وسلم أرى ركانة مثل هذه الآية في شجرة دعاها فأتت
حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت وعن الحسن أنه عليه الصلاة
والسلام شكا إلى ربه من قومه وأنهم يخوفونه وسأله آية يعلم بها أن لا مخافة
عليه فأوحى الله إليه أن ائت وادي كذا فيه شجرة فادع غصنا منها يأتك
ففعل فجاء يخط الأرض حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله ثم قال له
ارجع كما جئت فرجع فقال يا رب علمت أن لا مخافة علي ونحو منه عن عمر
وقال فيه أرني آية لا أبالي من كذبني بعدها وذكر نحوه وعن ابن عباس
أنه صلى الله عليه وسلم قال لأعرابي أرأيت إن دعوت هذا العذق
من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى أتاه
فقال ارجع فعاد إلى مكانه وخرجه الترمذي وقال هذا حديث صحيح

فصل في حنين الجذع ويعضد هذه الأخبار حديث أنين الجذع وهو حنين
في نفسه مشهور منتشر والخبر به متواتر خرجه أهل الصحيح ورواه من

الصحابة

الصحابة بضعة عشر منهم أبي بن كعب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وعبد الله
ابن عمر وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وأبو سعيد الخدري وبريدة
وأم سلمة والمطلب بن أبي وداعة كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث قال
الترمذي وحديث أنس صحيح قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا
على جذوع نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها
فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وفي رواية أنس
حتى ارتج المسجد بخواره وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما رأوا به
وفي رواية المطلب وأبي حتى تصدع وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم
فوضع يده عليه فسكت زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن هذا
بكى لما فقد من الذكر وزاد غيره والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل هكذا
إلى يوم القيامة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر به نبي الله صلى الله
عليه وسلم فدفن تحت المنبر كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد وإسحاق
عن أنس وفي بعض الروايات عن سهل فدفن تحت منبره أو جعل في السقف
وفي حديث أبي وكان إذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى إليه فلما هدم
المسجد أخذه أبي فكان عنده إلى أن أكلته الأرضة وعاد رفاتا وذكر الإسفرايني
أن النبي صلى الله عليه وسلم دعاه إلى نفسه فجاءه يخرق الأرض فالتزمه ثم
أمره فعاد إلى مكانه وفي حديث بريدة فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم
إن شئت أن أردك إلى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك
ويجدد لك خوص وثمرة وإن شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك
ثم أصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فيأكل
مني أولياء الله وأكون في مكان لا أبلى فيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت

فسمعه من يليه

ثم قال أحادوا دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن إذا حدث بهذا بكى وقال
يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقاً إليه لمكانه فأنتم أحق
أن تشتاقوا إلى لقائه ورواه عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص
وأيمن وأبو نضرة وابن المسيب وسعيد بن أبي كرب وكريب وأبو صالح ورواه
عن أنس بن مالك الحسن وثابت وإسحق بن أبي طلحة ورواه عن ابن عمر نافع وأبو
حية ورواه أبو نضرة وأبو الوداك عن أبي سعيد وعمار بن أبي عمار عن ابن
عباس وأبو حازم وعباس بن سهل بن سعد عن سهل بن سعد وكثير بن زيد
عن المطلب وعبد الله بن بريدة عن أبيه والطفيل بن أبي عن أبيه قال المؤلف
رحمه الله فهذا حديث كما تراه خرجه أهل الصحيح ورواه من الصحابة من
ذكرنا وغيرهم من التابعين ضعفهم إلى من لم يذكر وبمن دون هذا العدد
يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبت على الصواب فصل ومثل
هذا في سائر الجمادات حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن علي التميمي حدثنا
القاضي أبو عبد الله محمد بن المرابط حدثنا المهلب قال حدثنا أبو القاسم أخبرنا
أبو الحسن القابسي حدثنا المروزي حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا
محمد بن المثنى قال حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا إسرائيل عن منصور عن إبراهيم
عن علقمة عن عبد الله قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وفي غير
هذه الرواية عن ابن مسعود كنا نأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام
ونحن نسمع تسبيحه وقال أنس أخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفاً من حصى فسبحن
في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد أبي بكر فسبحن
ثم في أيدينا فما سبحن وروى مثله أبو ذر وذكر أنهن سبحن في كف عمر وعثمان
وقال علي كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إلى بعض نواحيها

فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال له السلام عليك يا رسول الله وعن جابر
بن سمرة عنه صلى الله عليه وسلم إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قيل إنه
الحجر الأسود وعن عائشة لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر
ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله لم يكن صلى الله
عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له وفي حديث العباس إذ اشتمل عليه
النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار كستره
إياهم بملاءته فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين وعن جعفر
ابن محمد عن أبيه مرض النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل بطبق فيه رمان
وعنب فأكل منه النبي صلى الله عليه وسلم فسبح وعن أنس صعد النبي
صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان أحداً فرجف بهم فقال اثبت أحد
فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان ومثله عن أبي هريرة في حراء وزاد معه
وعلي وطلحة والزبير وقال فإنما عليك نبي أو صديق أو شهيد والخبر
في حراء أيضاً عن عثمان قال ومعه عشرة من أصحابه أنا فيهم وزاد عبد الرحمن
وسعداً قال ونسيت الاثنين وفي حديث سعيد بن زيد أيضاً مثله
وذكر عشرة وزاد نفسه وقد روي أنه حين طلبته قريش قال له
ثبير اهبط يا رسول الله فإني أخاف أن يقتلوك على ظهري فيعذبني الله فقال له
حراء إلي يا رسول الله وروى ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على
المنبر وما قدروا الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه أنا الجبار أنا الجبار
أنا الكبير أنا الكبير المتعالي فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه وعن ابن
عباس كان حول البيت ستون وثلث مائة صنم مثبتة الأرجل بالرصاص
في الحجارة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل

الأسكفة والأسكوفة العتبة والأسكفة من العين جفنها الأسفل

يشير بقضيب في يده إليها ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل
كان زهوقا فما أشار إلى وجه صنم إلا وقع لقفاه ولا لقفاه إلا وقع
لوجهه حتى ما بقي منها صنم ومثله في حديث ابن مسعود وقال فجعل يطعنها
ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ومن ذلك حديثه مع
الراهب في ابتداء أمره إذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب لا يخرج إلى
أحد فخرج وجعل يتخللهم حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ من قريش
ما علمك قال إنه لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجدا له ولا يسجد إلا لنبي
وذكر القصة ثم قال وأقبل صلى الله عليه وسلم وعليه غمامة تظله
فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة فلما جلس مال الفيء إليه

فصل في الآيات في ضروب الحيوانات حدثنا سراج بن عبد الله
أبو الحسين الحافظ حدثنا أبي حدثنا القاضي يونس حدثنا أبو الفضل الصقلي
حدثنا ثابت بن قاسم عن أبيه وجده قالا حدثنا أبو العلاء أحمد بن عمرو حدثنا
محمد بن فضيل حدثنا يونس بن عمرو حدثنا مجاهد عن عائشة قالت كان عندنا
داجن فإذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه فلم يجئ
ولم يذهب وإذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب وروي
عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل من أصحابه إذ جاء
أعرابي قد صاد ضبا فقال من هذا قالوا نبي الله فقال واللات والعزى
لا آمنت بك أو يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فأجابه بلسان مبين يسمعه القوم
جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة قال من تعبد قال الذي في

السماء عرشه وفي الأرض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي
النار عقابه قال فمن أنا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد أفلح
من صدقك وخاب من كذبك فأسلم الأعرابي ومن ذلك قصة كلام
الذئب المشهورة عن أبي سعيد الخدري بينا راع يرعى غنما له عرض الذئب
لشاة فأخذها الراعي منه فأقعى الذئب وقال للراعي ألا تتقي الله حلت بيني وبين
رزقي قال الراعي العجب من ذئب يتكلم بكلام الإنس فقال الذئب ألا أخبرك
بأعجب من ذلك رسول الله بين الحرتين يحدث الناس بأنباء ما قد سبق فأتى
الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
قم فحدثهم ثم قال صدق والحديث فيه قصة وفي بعضه طول وروى
حديث الذئب عن أبي هريرة وفي بعض الطرق عن أبي هريرة فقال
الذئب أنت أعجب واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله قط نبيا أعظم
منه عنده قدرا قد فتحت له أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون
قتالهم وما بينك وبينه إلا هذا الشعب فتصير في جنود الله قال الراعي
من لي بغنمي قال أنا أرعاها حتى ترجع فأسلم الرجل إليه غنمه ومضى
وذكر قصته وإسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد إلى غنمك تجدها بوفرها فوجدها
كذلك وذبح للذئب شاة منها وعن أهبان بن أوس وأنه كان صاحب
القصة والمحدث بها ومكلم الذئب وعن سلمة بن عمرو بن الأكوع وأنه كان
صاحب هذه القصة أيضا وسبب إسلامه بمثل حديث أبي سعيد وقد
روى ابن وهب مثل هذا أنه جرى لأبي سفيان بن حرب وصفوان بن
أمية مع ذئب وجداه أخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب فعجبا

الحرم

من ذلك فقال الذئب أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم
إلى الجنة وتدعونه إلى النار فقال أبو سفيان واللات والعزى لئن
ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا وقد روي مثل هذا الخبر وأنه
جرى لأبي جهل وأصحابه وعن عباس بن مرداس لما تعجب من كلام ضماد صنمه
وإنشاده الشعر الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم فإذا طائر سقط فقال
يا عباس أتعجب من كلام ضماد ولا تعجب من نفسك أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم يدعو إلى الإسلام وأنت جالس وكان سبب إسلامه وعن جابر بن عبد الله
عن رجل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وهو على بعض حصون خيبر
وكان في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف بالغنم قال احصب وجوهها
فإن الله سيؤدي عنك أمانتك ويردها إلى أهلها ففعل فسارت كل شاة حتى
دخلت إلى أهلها وعن أنس دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائط أنصاري
وأبو بكر وعمر ورجل من الأنصار وفي الحائط غنم فسجدت له فقال أبو
بكر نحن أحق بالسجود لك منها الحديث وعن أبي هريرة دخل النبي صلى الله
عليه وسلم حائطا فجاء بعير فسجد له وذكر مثله ومثله في الجمل عن ثعلبة
بن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر قال وكان
لا يدخل أحد الحائط إلا شد عليه الجمل فلما دخل عليه النبي صلى الله
عليه وسلم دعاه فوضع مشفره في الأرض وبرك بين يديه فخطمه وقال
ما بين السماء والأرض شيء إلا يعلم أني رسول الله إلا عاصي الجن والإنس
ومثله عن عبد الله بن أبي أوفى وفي خبر آخر في حديث الجمل أن النبي
صلى الله عليه وسلم سألهم عن شأنه فأخبروه أنهم أرادوا ذبحه وفي رواية
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم إنه شكا كثرة العمل وقلة العلف وفي رواية

إنه شكا إلي أنكم أردتم ذبحه بعد أن استعملتموه في شاق العمل من صغره فقالوا نعم وقد
روي في قصة العضباء وكلامها النبي صلى الله عليه وسلم وتعريفها له بنفسها ومبادرتها
العشب إليها في الرعي وتجنب الوحوش عنها وندائهم لها إنك لمحمد وأنها لم تأكل
ولم تشرب بعد موته حتى ماتت ذكره الإسفرايني وروى ابن وهب أن حمام
مكة أظلت النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروي عن
أنس وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغار أمر الله
شجرة فنبتت تجاه النبي صلى الله عليه وسلم فسترته وأمر حمامتين فوقفتا في
فم الغار وفي حديث آخر وأن العنكبوت نسجت على بابه فلما أتى الطالبون
له ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه أحد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي صلى
الله عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله بن قرط قرب للنبي صلى
الله عليه وسلم بدنات خمس أو ست أو سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن
إليه بأيتهن يبدأ وعن أم سلمة كان النبي صلى الله عليه وسلم في صحراء فنادته
ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك قالت صادني هذا الأعرابي ولي خشفان في
ذلك الجبل فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجع قال وتفعلين قالت نعم
فأطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها فانتبه الأعرابي وقال يا رسول الله ألك
حاجة قال تطلق هذه الظبية فأطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول أشهد
أن لا إله إلا الله وأنا رسول الله ومن هذا الباب ما روي من تسخير الأسد
لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ وجهه إلى معاذ باليمن فلقي الأسد
فعرفه أنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن
الطريق وذكر في منصرفه مثل ذلك وفي رواية أخرى عنه أن
سفينة تكسرت به فخرج إلى جزيرة فإذا الأسد فقلت أنا مولى رسول الله

صلى الله عليه وسلم فجعل يعثرني بمنكبه حتى أقامني على الطريق وأخذ عليه الصلوة
والسلام بأذن شاة لقوم من عبد القيس بين إصبعيه ثم خلاها فصار لها ميسمًا
وبقي ذلك الأثر فيها وفي نسلها بعد وما روي من كلام الحمار الذي أصابه
بخيبر وقال له اسمي يزيد بن شهاب فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفورًا
وأنه كان يوجهه إلى دور أصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم
وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات تردى في بئر جزعًا وحزنًا فمات
وحديث الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها أنه ما
سرقها وأنها ملكه وفي العنز التي أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
في عسكر وقد أصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم ثلثمائة فحلبها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأروى الجند ثم قال لرافع املكها وما أراك
فربطها فوجدها قد انطلقت رواه ابن قانع وغيره وفيه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إن الذي جاء بها هو الذي ذهب بها وقال صلى الله عليه
وسلم لفرسه وقد قام إلى الصلوة في بعض أسفاره لا تبرح بارك الله فيك
حتى نفرغ من صلاتنا وجعله قبلته فما حرك عضوًا حتى صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويلتحق بهذا ما رواه الواقدي أن النبي صلى الله عليه وسلم
لما وجه رسله للملوك فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد فأصبح كل رجل
منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه إليهم والحديث في هذا الباب كثير
وقد جئنا بالمشهور منه وما وقع منه في كتب الأئمة **فصل** في
إحياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة صلى
الله عليه وسلم حدثنا أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه
والقاضي أبو الوليد محمد بن رشد والقاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي

وعن

وغير واحد سماعًا وإذنًا قالوا حدثنا أبو علي الحافظ قال حدثنا أبو عمر
الحافظ حدثنا أبو زيد عبد الرحمن بن يحيى حدثنا أحمد بن سعيد حدثنا ابن
الأعرابي حدثنا أبو داود حدثنا وهب بن بقية عن خالد هو الطحان عن
محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن يهودية أهدت للنبي صلى الله عليه
وسلم بخيبر شاة مصلية سمتها فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكل
القوم فقال ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال
لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت إن كنت نبيًا لم يضرك الذي صنعت وإن
كنت ملكًا أرحت الناس منك قال فأمر بها فقتلت وقد روى هذا الحديث
أنس وفيه قالت أردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك فقالوا نقتلها
قال لا وكذلك عن أبي هريرة من رواية غير وهب قال فما عرض لها ورواه
أيضًا جابر بن عبد الله وفيه أخبرتني به هذه الذراع قال ولم يعاقبها
وفي رواية الحسن أن فخذها تكلمني أنها مسمومة وفي رواية أبي سلمة بن عبد
الرحمن فقالت إني مسمومة وكذلك ذكر الخبر ابن إسحق وقال فيه فتجاوز
عنها وفي الحديث الآخر عن أنس أنه قال فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال في وجعه الذي مات فيه ما زالت أكلة خيبر تعاودني فالآن أوان
قطعت أبهري وحكى ابن إسحق إن كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم مات شهيدًا مع ما أكرمه الله به من النبوة وقال ابن سحنون
أجمع أهل الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته
وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك عن أبي هريرة وأنس وجابر وابن
عباس وفي رواية ابن عباس أنه دفعها لأولياء بشر بن البراء فقتلوها وكذلك اختلفوا

قيل الذي

في قتله للذي سمه قال الواقدي وعفوه عنه اثبت عندنا وروى عنه انه قتله
وروى الحديث البزار عن أبي سعيد فذكر مثله إلا أنه قال في آخره فبسط
يده وقال كلوا بسم الله فأكلنا وذكرنا اسم الله فلم نضر منا أحدا **قال** القاضي — روي خ
أبو الفضل وقد خرج حديث الشاة المسمومة أهل الصحيح وخرجه الأئمة
وهو حديث مشهور **واختلف** أئمة أهل النظر في هذا الباب فمن قائل
يقول هو كلام يخلقه الله في الشاة الميتة أو الحجر أو الشجر وحروف وأصوات
يحدثها الله فيها ويسمعها منها دون تغيير أشكالها ونقلها عن هيئتها وهو
مذهب الشيخ أبي الحسن والقاضي أبي بكر رحمهما الله وآخرون ذهبوا إلى
إيجاد الحياة بها أولا ثم الكلام بعد وحكي أيضا هذا عن شيخنا أبي الحسن
وكل محتمل والله أعلم إذ لم نجعل الحياة شرطا لوجود الحروف والأصوات
إذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحياة بمجردها **فأما** إذا كانت عبارة
عن الكلام النفسي فلا بد من شرط الحياة لها إذ لا يوجد كلام النفس إلا من
حي خلافا للجبائي من بين سائر متكلمي الفرق في إحالته وجود الكلام اللفظي
والحروف والأصوات إلا من حي مركب على تركيب من يصح منه النطق
بالحروف والأصوات والتزم ذلك في الحصى والجذع والذراع وقال
إن الله تعالى خلق فيها حياة وخلق لها فما ولسانا وآلة أمكنها بها من الكلام — وحروف خ
وهذا لو كان لكان نقله والتهمم به آكد من التهمم بنقل تسبيحه أو حنينه ولم — لكان مع
ينقل أحد من أهل السير والرواية شيئا من ذلك فدل على سقوط دعواه
مع أنه لا ضرورة إليه في النظر والله الموفق **وروى** وكيع رفعه عن فهد بن
عطية أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال من أنا
فقال رسول الله **وروى** عن معرض بن معيقيب رأيت من النبي صلى الله

عليه

عليه وسلم عجبا جيء بصبي يوم ولد فذكر مثله **وهو** حديث مبارك
اليمامة ويعرف بحديث شاصونة اسم راويه وفيه فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم صدقت بارك الله فيك ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب وكان
يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع **وعن** الحسن
أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له أنه طرح بنية له في وادي كذا
فانطلق معه إلى الوادي وناداها باسمها يا فلانة أجيبي بإذن الله فخرجت وهي
تقول لبيك وسعديك فقال لها إن أبويك قد أسلما فإن أحببت أن أردك عليهما
قالت لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيرا لي منهما **وعن** أنس أن شابا من
الأنصار توفي وله أم عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابني
قلنا نعم قالت اللهم إن كنت تعلم أني هاجرت إليك وإلى نبيك رجاء أن
تعينني على كل شدة فلا تحملن علي هذه المصيبة فما برحنا أن كشف الثوب عن
وجهه فطعم وطعمنا **وروى** عن عبد الله بن عبيد الله الأنصاري كنت فيمن
دفن ثابت بن قيس بن شماس وكان قتل باليمامة فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول
محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم فنظرنا
فإذا هو ميت **وذكر** عن النعمان بن بشير أن زيد بن خارجة خر ميتا في
بعض أزقة المدينة فرفع وسجي إذ سمعوه بين العشائين والنساء يصرخن
حوله يقول أنصتوا أنصتوا فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي
الأمي وخاتم النبيين كان ذلك في الكتاب الأول ثم قال صدق صدق
وذكر أبا بكر وعمر وعثمان ثم السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله
وبركاته ثم عاد ميتا كما كان فسبحان القدير لا إله إلا هو **فصل**
في إبراء المرضى وذوي العاهات أخبرنا أبو الحسين علي بن مشرف فيما أجازنيه

وقرأته على غيره قال أخبرنا أبو إسحاق الحبال قال أخبرنا أبو محمد بن النحاس
أخبرنا ابن الورد عن البرقي عن ابن هشام عن زياد البكائي عن محمد بن إسحاق
حدثنا ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقصة أحد بطولها
قال قالوا وقال سعد بن أبي وقاص إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليناولني السهم
لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قوسه
حتى اندقت وأصيبت يومئذ عين قتادة يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنته
فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن عينيه وروى قصة قتادة
عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن عياض بن عمر بن قتادة ورواها أبو سعيد
الخدري وبصق على أثر سهم في وجه أبي قتادة في يوم ذي قرد قال فما
ضرب علي ولا قاح وروى النسائي عن عثمان بن حنيف أن أعمى قال يا رسول الله ادع الله
أن يكشف لي عن بصري قال فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه
إليك بنبيي محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك أن يكشف عن بصري اللهم فشفعه
في قال فرجع وقد كشف الله عن بصره وروي أن ابن ملاعب الأسنة أصابه
استسقاء فبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ بيده حثوة من الأرض فتفل عليها ثم أعطاها
رسوله فأخذها متعجبا يرى أن قد هزئ به فأتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله
وذكر العقيلي عن حبيب بن فديك ويقال فويك أن أباه ابيضت عيناه فكان لا
يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فأبصر فرأيته يدخل
الخيط في الإبرة وهو ابن ثمانين ورمي كلثوم بن الحصين يوم أحد في نحره فبصق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرأ وتفل على شجة علي يوم خيبر وكان رمدا
فأصبح بارئا ونفث على ضربة بساق سلمة بن الأكوع يوم خيبر فبرأت وفي رجل
زيد بن معاذ حين أصابها السيف إلى الكعب حين قتل ابن الأشرف فبرأت وعلى ساق

علي بن الحكم يوم الخندق إذ انكسرت فبرأ مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى علي
ابن أبي طالب فجعل يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه أو عافه ثم
ضربه برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد وقطع أبو جهل يوم بدر يد معوذ بن
عفراء فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وألصقها فلصقت رواه
ابن وهب ومن روايته أيضا أن خبيب بن يساف أصيب يوم بدر مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونفث عليه حتى صح وأتته امرأة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم فأتي بماء
فمضمض فاه وغسل يديه ثم أعطاها إياه وأمرها بسقيه ومسه به فبرأ الغلام
وعقل عقلا يفضل عقول الناس وعن ابن عباس جاءت امرأة بابن لها به جنون
فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود فشفي وانكفأت القدر
على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرأ لحينه وكانت
في كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها
للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق لها أثر وسألته
جارية طعاما وهو يأكل فناولها من بين يديه وكانت قليلة الحياء فقالت إنما
أريد من الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن صلى الله عليه وسلم يسأل شيئا
فيمنعه فلما استقر في جوفها ألقي عليها من الحياء ما لم تكن امرأة بالمدينة أشد
حياء منها **فصل** في إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم وهذا باب واسع
جدا وإجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر
على الجملة معلوم ضرورة وقد جاء في حديث حذيفة كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم إذا دعا لرجل أدركت الدعوة ولده وولد ولده حدثنا
أبو محمد العتابي بقراءتي عليه حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد حدثنا أبو الحسن

القابسي حدثنا أبو زيد المروزي أخبرنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسمعيل حدثنا
عبد الله بن أبي الأسود حدثنا حرمي حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس قال قالت أمي
يا رسول الله خادمك أنس ادع الله له قال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته
ومن رواية عكرمة قال أنس فوالله إن مالي لكثير وإن ولدي وولد ولدي
ليتعادون اليوم على نحو المائة وفي رواية وما أعلم أحدا أصاب من رخاء العيش
ما أصبت ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي لا أقول سقطا ولا ولد ولد
ومنه دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا
لرجوت أن أصيب تحته ذهبا وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس
حتى مجلت فيه الأيدي وأخذت كل زوجة ثمانين ألفا وكن أربعا وقيل مائة ألف
وقيل بل صولحت إحداهن لأنه طلقها في مرضه على نيف وثمانين ألفا وأوصى
بخمسين ألفا بعد صدقاته الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة أعتق يوما
ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعيرها فيها سبع مائة بعير وردت عليه تحمل من كل شيء
فتصدق بها وبما عليها وبأقتابها وأحلاسها ودعا عليه الصلوة والسلام لمعوية
بالتمكين في البلاد فنال الخلافة ولسعد بن أبي وقاص أن يجيب الله دعوته
فما دعا على أحد إلا استجيب له ودعا بعز الإسلام بعمر أو بأبي جهل فاستجيب له
في عمر قال ابن مسعود ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب وأصاب
الناس في بعض مغازيه عطش فسأله عمر الدعاء فدعا فجاءت سحابة فسقتهم
حاجتهم ثم أقلعت ودعا في الاستسقاء فسقوا ثم شكوا إليه المطر فدعا
فصحوا وقال لأبي قتادة أفلح وجهك اللهم بارك له في شعره وبشره فمات وهو
ابن سبعين سنة وكأنه ابن خمس عشرة وقال للنابغة لا يفضض الله فاك فما سقطت
له سن وفي رواية فكان أحسن الناس ثغرا إذا سقطت له سن نبتت له أخرى

وعاش عشرين ومائة وقيل أكثر من هذا ودعا لابن عباس اللهم فقهه في الدين
وعلمه التأويل فسمي بعد الحبر وترجمان القرآن ودعا لعبد الله بن جعفر
بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيئا إلا ربح فيه ودعا للمقداد بالبركة
فكان عنده غرائر من المال ودعا بمثله لعروة بن أبي الجعد فقال فلقد
كنت أقوم بالكناسة فما أرجع حتى أربح أربعين ألفا وقال البخاري في حديثه
فكان لو اشترى التراب ربح فيه وروي مثل هذا لغرقدة أيضا وندت
له ناقة فدعا فجاء بها إعصار ريح حتى ردها عليه ودعا لأم أبي هريرة
فأسلمت ودعا لعلي رضي الله عنه أن يكفى الحر والقر فكان يلبس في الشتاء ثياب
الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد ودعا لفاطمة
ابنته ألا يجيعها فما جاعت بعد وسأله الطفيل بن عمرو آية لقومه
فقال اللهم نور له فسطع له نور بين عينيه فقال يا رب أخاف أن يقولوا
مثلة فتحول إلى طرف سوطه وكان يضيء في الليلة المظلمة فسمي ذا النور
ودعا على مضر فأقحطوا حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا ودعا على كسرى
حين مزق كتابه أن يمزق الله ملكه فلم تبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة
في أقطار الدنيا ودعا على صبي قطع عليه الصلوة أن يقطع الله أثره فأقعد
وقال لرجل رآه يأكل بشماله كل بيمينك فقال لا أستطيع فقال لا
استطعت فلم يرفعها إلى فيه وقال لعتبة بن أبي لهب اللهم سلط عليه كلبا
من كلابك فأكله الأسد وقال لامرأة أكلك الأسد فأكلها وحديثه
المشهور من رواية عبد الله بن مسعود في دعائه على قريش حين وضعوا السلا
على رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم فقال فلقد رأيتهم قتلوا يوم
بدر ودعا على الحكم بن أبي العاصي وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله عليه

عليه وسلم أي لأقرانه فقال كذلك كن فلم يزل يختلج إلى أن مات ودعا على محلم
بن جثامة فمات لسبع فلفظته الأرض ثم ووري فلفظته مرات فألقوه بين صدين
ورضموا عليه الحجارة الصد جانب الوادي وجحد رجل بيع فرس وهي
التي شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله عليه وسلم فرد الفرس بعد النبي
صلى الله عليه وسلم على الرجل وقال اللهم إن كان كاذبا فلا تبارك له فيها
فأصبحت شاصية برجلها أي رافعة وهذا الباب أكثر من أن يحاط به

فصل في كراماته وبركاته وانقلاب الأعيان له فيما لمسه أو باشره
صلى الله عليه وسلم أخبرنا أحمد بن محمد حدثنا أبو ذر الهروي إجازة ح
وحدثنا القاضي أبو علي سماعا والقاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما
قالوا حدثنا أبو الوليد القاضي حدثنا أبو ذر حدثنا أبو محمد وأبو إسحاق وأبو الهيثم
أخبرنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا عبد الأعلى بن حماد أخبرنا يزيد
ابن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك أن أهل المدينة فزعوا مرة
فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لأبي طلحة كان يقطف أو به قطاف
وقال غيره بطيئا فلما رجع قال وجدنا فرسك بحرا فكان بعد لا يجارى
ونخس جمل جابر وكان قد أعيى فنشط حتى كان ما يملك زمامه وصنع مثل ذلك
بفرس لجعيل الأشجعي خفقها بمخفقة معه وبرك عليها فلم يملك رأسها نشاطا
وباع من بطنها باثني عشر ألفا وركب حمارا قطوفا لسعد بن عبادة فرده هملاجا
لا يساير وكانت شعرات من شعره في قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد
بها قتالا إلا رزق النصر وفي الصحيح عن أسماء بنت أبي بكر أنها أخرجت جبة
طيالسة وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى
نستشفي بها وحدثنا القاضي أبو علي عن شيخه أبي القاسم بن المأمون قال كانت
عندنا قصعة من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم فكنا نجعل فيها الماء للمرضى
فيستشفون بها وأخذ جهجاه الغفاري القضيب من يد عثمان ليكسره على
ركبته فصاح الناس به فأخذته الأكلة فيها فقطعها ومات قبل الحول وتفل
من فضل وضوئه في بئر قباء فما نزفت بعد وبزق في بئر كانت في دار أنس
فلم يكن بالمدينة أعذب منها ومر على ماء فسأل عنه فقيل له اسمه بيسان وماؤه
ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب وأتي بدلو من ماء زمزم فمج فيه
أطيب من المسك وأعطى الحسن والحسين لسانه فمصاه وكانا يبكيان عطشا فسكتا
وكان لأم مالك عكة تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا فأمرها
النبي صلى الله عليه وسلم أن لا تعصرها ثم دفعها إليها فإذا هي مملوءة سمنا فيأتيها
بنوها يسألونها الأدم وليس عندها شيء فتعمد إليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيم
أدمها حتى عصرتها وكان يتفل في أفواه الصبيان المراضيع فيجزئهم ريقه
إلى الليل ومن ذلك بركة يده صلى الله عليه وسلم فيما لمسه وغرسه لسلمان
حين كاتبه مواليه على ثلاثمائة ودية يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى أربعين
أوقية من ذهب فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها له بيده إلا واحدة
غرسها عمر فأخذت كلها إلا تلك الواحدة فقلعها النبي صلى الله عليه وسلم
وردها فأخذت وفي كتاب البزار فأطعم النخل من عامه إلا الواحدة فقلعها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فأطعمت من عامها وأعطاه مثل بيضة
الدجاجة من ذهب بعد أن أدارها على لسانه فوزن منها لمواليه أربعين أوقية
وبقي عنده مثل ما أعطاهم وفي حديث حنش بن عقيل سقاني رسول الله صلى الله
عليه وسلم شربة من سويق شربت أولها وشربت آخرها فما برحت أجد شبعها
إذا جعت وريها إذا عطشت وبردها إذا ظمئت وأعطى قتادة بن النعمان

خ أوله أن
خ بالحجارة
فصار
خ عنده
خ كاتبه
خ عمر
خ كمل

وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فإنه سيضيء لك من
بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فإذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه
حتى يخرج فإنه الشيطان فانطلق فأضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد
فضربه حتى خرج ومنها دفعه لعكاشة جذل حطب وقال اضرب به حين انكسر
سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفا صارما طويل القامة أبيض شديد المتن فقاتل
به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف إلى أن استشهد في قتال أهل الردة وكان
هذا السيف يسمى العون ودفعه لعبد الله بن جحش يوم أحد وقد ذهب
سيفه عسيب نخل فرجع في يده سيفا ومنه بركته في درور الشياه الحوائل
باللبن الكثير كقصة شاة أم معبد وأعنز معوية بن ثور وشاة أنس وغنم حليمة
مرضعته وشارفها وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها فحل وشاة
المقداد وتزويده أصحابه سقاء ماء بعد أن أوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم
الصلاة نزلوا فحلوه فإذا به لبن طيب وزبدة في فمه من رواية حماد بن
سلمة ومسح على رأس عمير بن سعد وبرك فمات وهو ابن ثمانين فما شاب وروي
مثل هذه القصص عن غير واحد منهم السائب بن يزيد ومدلوك وكان يوجد
لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب نسائه لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم
مسح بيديه على بطنه وظهره وسلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو وكان
جرح يوم حنين ودعا له فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح على رأس قيس
بن زيد الجذامي ودعا له فهلك ابن مائة سنة ورأسه أبيض وموضع كف
النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره أسود فكان يدعى الأغر
ويروى مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح وجه آخر فما
زال على وجهه نور ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان

ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة ووضع يده المباركة على رأس حنظلة بن حذيم
وبرك عليه فكان حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها
فيوضع على موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم ونضح في وجه
زينب بنت أم سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان في وجه امرأة من الجمال
ما بها ومسح على رأس صبي به عاهة فبرأ واستوى شعره وعلى غير واحد
من الصبيان والمرضى والمجانين فبرءوا وأتاه رجل به أدرة فأمره أن ينضحها
بماء من عين مج فيه ففعل فبرأ وعن طاوس لم يؤت النبي صلى الله عليه وسلم
بأحد به مس فصك في صدره إلا ذهب لمس والمس الجنون ومج في دلو من بئر
ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك وأخذ قبضة من تراب يوم حنين ورمى
بها وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فانصرفوا يمسحون القذى عن أعينهم
وشكا إليه أبو هريرة النسيان فأمره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه ثم
أمره بضمه ففعل فما نسي شيئا بعد وما يروى عنه صلى الله عليه وسلم
في هذا الباب كثير وضرب صدر جرير بن عبد الله ودعا له وكان ذكر أنه
لا يثبت على الخيل فصار من أفرس العرب وأثبتهم ومسح رأس عبد الرحمن بن زيد
ابن الخطاب وهو صغير وكان دميما ودعا له بالبركة ففرع الرجال طولا
وتماما فصل ومن ذلك ما أطلع عليه صلى الله عليه وسلم من الغيوب
وما يكون والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره
وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها
على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب حدثنا
الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الفهري إجازة وقرأته على غيره قال أبو بكر حدثنا أبو
علي التستري حدثنا أبو عمر الهاشمي حدثنا اللؤلؤي أخبرنا أبو داود حدثنا

عثمن بن ابي شيبة حدثنا جرير عن الاعمش عن ابي وائل عن حذيفة قال قام فينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك الى قيام
الساعة الا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه اصحابي هؤلاء وانه
ليكون منه الشيء فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب
عنه ثم اذا رآه عرفه ثم قال حذيفة ما ادري أنسي اصحابي ام تناسوا والله
ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من
معه ثلث مائة فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته وقال ابو ذر
لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء الا
ذكر لنا منه علما وقد خرج اهل الصحيح والائمة ما اعلم به اصحابه صلى الله
عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور على اعدائه وفتح مكة وبيت المقدس
واليمن والشام والعراق وظهور الامن حتى تظعن المراة من الحيرة الى مكة
لا تخاف الا الله وان المدينة ستغزى وتفتح خيبر على يدي علي في غد يومه
وما يفتح الله على امته من الدنيا ويؤتون من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر
وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف والاهواء وسلوك سبيل من قبلهم
وافتراقهم على ثلث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة وانه ستكون لهم
انماط ويغدو احدهم في حلة ويروح في اخرى وتوضع بين يديه
صحفة وترفع اخرى ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال آخر
الحديث وانتم اليوم خير منكم يومئذ وانهم اذا مشوا المطيطا وخدمتهم بنات
فارس والروم رد الله باسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم الترك
والخزر والروم وذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده
وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده وذكر ان الروم ذات قرون الى آخر الدهر

وبذهاب

وبذهاب الامثل فالامثل من الناس وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور
الفتن والهرج وقال ويل للعرب من شر قد اقترب وانه زويت له الارض
فاري مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امته ما زوي له منها فكذلك
كان امتدت في المشارق والمغارب ما بين ارض الهند اقصى المشرق الى بحر
طنجة حيث لا عمارة وراءه وذلك ما لم تملكه امة من الامم ولم تمتد في الجنوب
ولا في الشمال مثل ذلك وقوله لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق
حتى تقوم الساعة ذهب ابن المديني الى انهم العرب لانهم المختصون بالسقي
بالغرب وهو الدلو وغيره يذهب الى انهم اهل المغرب كذا في الحديث
بمعناه وفي حديث آخر عن ابي امامة لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على
الحق قاهرين لعدوهم حتى ياتيهم امر الله وهم كذلك قيل يا رسول الله واين
هم قال ببيت المقدس واخبر بملك بني امية وولاية معاوية ووصاه وانخاذ
بني امية مال الله دولا وخروج ولد العباس بالرايات السود وملكهم
اضعاف ما ملكوا وخروج المهدي وما ينال اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم
وقتل علي وان اشقاها الذي يخضب هذه من هذه اي لحيته من راسه
وانه قسيم النار يدخل اولياؤه الجنة واعداؤه النار فكان ممن عاداه
الخوارج والناصبة وطائفة ممن ينسب اليه من الروافض كفروه وقال
يقتل عثمن وهو يقرا في المصحف وان الله عسى ان يلبسه قميصا وانهم يريدون
خلعه وانه سيقطر دمه على قوله فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وان
الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا وبمحاربة الزبير لعلي وبنباح كلاب
الحوأب على بعض ازواجه وانه يقتل حولها قتلى كثيرة وتنجو بعد ما كادت
فنبحت على عايشة عند خروجها الى البصرة وان عمارا تقتله الفئة الباغية

تقتله أصحاب معوية وقال لعبد الله ابن الزبير ويل للناس منك وويل لك
من الناس وقال في قزمان وقد أبلى مع المسلمين إنه من أهل النار فقتل نفسه وقال
في جماعة فيهم أبو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة آخركم موتاً في النار فكان
بعضهم يسأل عن بعض وكان سمرة آخرهم موتاً هرم وخرف
فاصطلى بالنار فاحترق فيها وقال في حنظلة الغسيل سلوا زوجته فإني
رأيت الملائكة تغسله فسألوها فقالت إنه خرج جنباً وأعجله الحال عن
الغسل قال أبو سعيد ووجدنا رأسه يقطر ماء وقال الخلافة في
قريش ولن يزال هذا الأمر في قريش ما أقاموا الدين وقال يكون في ثقيف
كذاب ومبير فرأوهما الحجاج والمختار وبأن مسيلمة يعقره الله وأن فاطمة
أول أهله لحوقاً به وأنذر بالردة وبأن الخلافة بعده ثلثون ثم تكون
ملكاً فكانت كذلك بمدة الحسن بن علي رضي الله عنهما وقال إن هذا
الأمر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكاً عضوضاً ثم يكون
عتواً وجبرية وفساداً في الأمة وأخبر بشأن أويس القرني وبأمراء
يؤخرون الصلوة عن وقتها وسيكون في أمته ثلثون كذاباً فيهم أربع نسوة
وفي حديث آخر ثلثون دجالاً كذاباً أحدهم الدجال الكذاب كلهم
يكذب على الله ورسوله وقال يوشك أن يكثر فيكم العجم يأكلون فيئكم ويضربون
رقابكم ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه رجل من قحطان وقال
خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي بعد ذلك قوم يشهدون
ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون وقال
لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه وقال صلى الله عليه وسلم هلاك
أمتي على يدي أغيلمة من قريش قال أبو هريرة راويه لو شئت سميتهم
لكم

لكم بنو فلان وبنو فلان وأخبر بظهور القدرية والرافضة وسب آخر هذه
الأمة أولها وقلة الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم يزل أمرهم
يتبدد حتى لم يبق لهم جماعة وأنهم سيلقون بعده أثرة وأخبر بشأن
الخوارج وصفتهم والمخدج الذي فيهم وأن سيماهم التحليق ويرى رعاء الغنم
رؤوس الناس والعراة الحفاة يتبارون في البنيان وأن تلد الأمة ربتها وأن
قريشاً والأحزاب لا يغزونه أبداً وأنه هو يغزوهم وأخبر بالموتان
الذي يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد من سكنى البصرة وأنهم يغزون
في البحر كالملوك على الأسرة وأن الدين لو كان منوطاً بالثريا لناله رجال
من فارس وهاجت ريح في غزاته فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا
إلى المدينة وجدوا ذلك وقال لقوم من جلسائه ضرس أحدكم في النار
أعظم من أحد قال أبو هريرة فذهب القوم يعني ماتوا وبقيت أنا ورجل
فقتل مرتداً يوم اليمامة وأعلم بالذي غل خرزاً من خرز يهود فوجدت
في رحله وبالذي غل الشملة وحيث هي وبناقته حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة
بخطامها وبشأن كتاب حاطب إلى أهل مكة وبقصة عمير مع صفوان حين
ساره وشارطه على قتل النبي صلى الله عليه وسلم فلما جاء عمير النبي صلى الله عليه
وسلم قاصداً لقتله وأطلعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأمر أسلم وأخبر
بالمال الذي تركه عمه العباس عند أم الفضل بعد أن كتمه فقال ما علمه غيري
وغيرها فأسلم وأعلم بأنه سيقتل أبي بن خلف وفي عتبة بن أبي لهب أنه يأكله
كلب الله وعن مصارع أهل بدر فكان كما قال وقال في الحسن إن ابني هذا
سيد وسيصلح الله به بين فئتين ولسعد لعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام
ويستضر بك آخرون وأخبر بقتل أهل مؤتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر

أبناء

والذي

وارتد وبموت النجاشي يوم مات وهو بأرضه وأخبر فيروز إذ ورد عليه
رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم فلما حقق فيروز القصة أسلم
وأخبر أبا ذر بتطريده كما كان ووجده في المسجد نائما فقال له كيف بك إذا أخرجت
منه قال أسكن المسجد الحرام قال فإذا أخرجت منه الحديث وبعيشه وحده
وموته وحده وأخبر أن أسرع أزواجه به لحوقا أطولهن يدا فكانت زينب
لطول يدها بالصدقة وأخبر بقتل الحسين بالطف وأخرج بيده تربة وقال
فيها مضجعه وقال في زيد بن صوحان يسبقه عضو منه إلى الجنة فقطعت يده
في الجهاد وقال في الذين كانوا معه على حراء اثبت فإنما عليك نبي وصديق
وشهيد فقتل عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وطعن سعد وقال لسراقة
كيف بك إذا ألبست سواري كسرى فلما أتي بهما عمر ألبسهما إياه وقال الحمد لله
الذي سلبهما كسرى وألبسهما سراقة وقال تبنى مدينة بين دجلة ودجيل
وقطربل والصراة تجبى إليها خزائن الأرض يخسف بها يعني بغداد وقال
سيكون في هذه الأمة رجل يقال له الوليد هو شر لهذه الأمة من فرعون
لقومه وقال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة وقال لعمر
في سهيل بن عمرو عسى أن يقوم مقاما يسرك يا عمر وكان كذلك قام بمكة
مقام أبي بكر يوم بلغه موت النبي صلى الله عليه وسلم وخطب نحو خطبته
وثبتهم وقوى بصائرهم وقال لخالد حين وجهه لأكيدر إنك تجده
يصيد البقر فوجدت هذه الأمور كلها في حياته وبعد موته كما قال
صلى الله عليه وسلم إلى ما أخبر به جلساءه من أسرارهم وبواطنهم واطلع
عليه من أسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفي المؤمنين حتى إن كان
بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لأخبرته حجارة

البطحا

البطحا وإعلامه بصفة السحر الذي سحره به لبيد بن الأعصم وكونه في مشط
ومشاطة في جف طلع نخلة ذكر وأنه ألقي في بئر ذروان فكان كما قال صلى الله
عليه وسلم ووجد على تلك الصفة وإعلامه قريشا بأكل الأرضة ما في صحيفتهم
التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وأنها أبقت فيها كل اسم لله فوجدوها
كما قال صلى الله عليه وسلم ووصفه لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه في خبر
الإسراء ونعته إياه نعت من عرفه وإعلامهم بعيرهم التي مر عليها في طريقه
وإنذارهم بوقت وصولها فكان ذلك كله كما قال صلى الله عليه وسلم إلى ما أخبر
به من الحوادث التي تكون ولم تأت بعد منها ما ظهرت مقدماتها كقوله
عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة
فتح قسطنطينية ومن أشراط الساعة وآيات حلولها وذكر النشر والحشر
وأخبار الأبرار والفجار والجنة والنار وعرصات القيامة وبحسب هذا
الفصل أن يكون ديوانا مفردا يشتمل على أجزاء وحده وفيما أشرنا إليه من
نكت الأحاديث التي ذكرناها كفاية وأكثرها في الصحيح وعند الأئمة

فصل في عصمة الله عز وجل له من الناس وكفايته من آذاه صلى الله عليه
وسلم قال الله عز وجل والله يعصمك من الناس وقال تعالى واصبر لحكم
ربك فإنك بأعيننا وقال أليس الله بكاف عبده قيل بكاف محمدا أعداءه
المشركين وقيل غير هذا وقال إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله
إلها آخر وقال وإذ يمكر بك الذين كفروا الآية أخبرنا القاضي الشهيد أبو علي
الصدفي قراءة عليه والفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري قالا
حدثنا أبو الحسين الصيرفي قال حدثنا أبو يعلى البغدادي أخبرنا أبو علي
السنجي حدثنا أبو العباس المروزي حدثنا أبو علي الحافظ حدثنا عبد بن

حميد اخبرنا مسلم بن ابرهيم حدثنا الحرث بن عبيد عن سعيد الجريري
عن عبد الله بن شقيق عن عايشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت
هذه الاية والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من القبة
فقال لهم يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل وروي ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها
فاتاه اعرابي فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني فقال الله فارعدت يد
الاعرابي وسقط سيفه وضرب براسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت هذه
الاية وقد رويت هذه القصة في الصحيح وان غورث بن الحرث صاحب هذه
القصة وان النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم
من عند خير الناس وقد حكيت مثل هذه الحكاية انها جرت له يوم بدر وقد
انفرد من اصحابه لقضاء حاجة فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله
وقد روي انه وقع له مثلها في غزوة غطفان بذي أمر مع رجل اسمه دعثور
بن الحرث وان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغروه وكان سيدهم
واشجعهم قالوا له اين ما كنت تقول وقد امكنك فقال اني نظرت الى رجل
ابيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري وسقط السيف من يدي
فعرفت انه ملك واسلمت قيل وفيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله
عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية وفي رواية الخطابي ان
غورث بن الحرث المحاربي اراد ان يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم
يشعر به الا وهو قائم على راسه منتضيا سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت
فانكب من وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه من يده الزلخة
وجع الظهر وقيل في قصته غير هذا وذكر ان فيه نزلت يا ايها الذين

امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الاية وقيل كان النبي صلى الله
عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الاية استلقى ثم قال من شاء فليخذلني
وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاه وهي جمر
على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانما يطؤها كثيبا اهيل وذكر
ابن اسحق عنها انها لما بلغها نزول تبت يدا ابي لهب وذكرها بما ذكرها الله
مع زوجها من الذم اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد
ومعه ابو بكر وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر الا ابا بكر واخذ
الله ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقالت يا ابا بكر اين صاحبك فقد بلغني
انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه وعن الحكم بن ابي
العاصي تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا رايناه سمعنا صوتا
خلفنا ما ظننا انه بقي بتهامة احد فوقعنا مغشيا علينا فما افقنا حتى قضى صلاته
ورجع الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فجئنا حتى اذا رايناه جاءت الصفا
والمروة فحالت بيننا وبينه وعن عمر تواعدت انا وابو جهم بن حذيفة
ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا منزله فسمعنا له فافتتح فقرا
الحاقة ما الحاقة الى فهل ترى لهم من باقية فضرب ابو جهم على عضد
عمر وقال انج وفرا هاربين وكانت من مقدمات اسلام عمر ومنه
العبرة المشهورة والكفاية التامة عند ما اخافته قريش واجمعت على قتله
وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على رؤوسهم وقد ضرب الله على ابصارهم
وذرى التراب على رؤوسهم وخلص منهم وحمايته عند رؤيتهم في الغار
بما هيأ الله له من الايات ومن العنكبوت الذي نسج عليه حتى قال امية بن خلف
حين قالوا ندخل الغار ما اربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ما ارى انه قبل

أن يولد محمد ووقف حمامتان على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه أحد لما كانت
هناك الحمام وقصته مع سراقة بن مالك بن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش
فيه وفي أبي بكر الجعائل فأنذر به فركب فرسه واتبعه حتى إذا قرب منه دعا
عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه فخر عنها واستقسم بالأزلام
فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى إذا سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم
وهو لا يلتفت وأبو بكر يلتفت وقال للنبي صلى الله عليه وسلم أُتينا فقال
لا تحزن إن الله معنا فساخت ثانية إلى ركبتيها وخر عنها فزجرها فنهضت
ولقوائمها مثل الدخان فناداهم بالأمان فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم
أمانا كتبه ابن فهيرة وقيل أبو بكر وأخبرهم بالأخبار وأمره النبي صلى الله
عليه وسلم أن لا يترك أحدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس كفيتم ما هاهنا
وقيل بل قال لهما أراكما دعوتما علي فادعوا لي فنجا ووقع في نفسه ظهور
النبي صلى الله عليه وسلم وفي خبر آخر أن راعيا عرف خبرهما فخرج
يشتد يعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه فما يدري ما يصنع وأنسي
ما خرج له حتى رجع إلى موضعه وجاءه فيما ذكر ابن إسحق وغيره أبو جهل
بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون إليه ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست
يداه إلى عنقه وأقبل يرجع القهقرى إلى خلفه ثم سأله أن يدعو له ففعل
فانطلقت يداه وكان قد تواعد مع قريش بذلك وحلف لئن رآه ليدمغنه
فسألوه عن شأنه فذكر أنه عرض لي دونه فحل ما رأيت مثله قط هم بي أن
يأكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك جبريل لو دنا لأخذه وذكر
السمرقندي أن رجلا من بني المغيرة أتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس
الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع قوله فرجع إلى أصحابه ولم

يرهم

يرهم حتى نادوه وذكر أن في هاتين القصتين نزلت إنا جعلنا في أعناقهم
أغلالا الآيتين ومن ذلك ما ذكره ابن إسحق وغيره في قصته إذ خرج إلى
بني قريظة في أصحابه فجلس إلى جدار بعض آطامهم فانبعث عمرو بن جحاش
أحدهم ليطرح عليه رحى فقام النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف إلى
المدينة وأعلمهم بقصتهم وقد قيل إن قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا
نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا الآية في هذه القصة نزلت وحكى
السمرقندي أنه خرج إلى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين اللذين قتل
عمرو بن أمية فقال له حيي بن أخطب اجلس يا أبا القاسم حتى نطعمك ونعطيك
ما سألتنا فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر وعمر وتوامر حيي
معهم على قتله فأعلم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كأنه
يريد حاجته حتى دخل المدينة وذكر أهل التفسير ومعنى الحديث
عن أبي هريرة أن أبا جهل وعد قريشا لئن رأى محمدا يصلي ليطأن رقبته فلما
صلى النبي صلى الله عليه وسلم أعلموه فأقبل فلما قرب منه ولى هاربا
ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسئل فقال لما دنوت منه أشرفت على
خندق مملوء نارا كدت أهوي فيه وأبصرت هولا عظيما وخفق أجنحة
قد ملأت الأرض فقال صلى الله عليه وسلم تلك الملائكة لو دنا
لاختطفته عضوا عضوا ثم أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم كلا إن الإنسان
ليطغى أن رآه استغنى إلى آخر السورة ويروى أن رجلا يعرف بشيبة
أدركه يوم حنين وكان حمزة رضي الله عنه قد قتل أباه وعمه فقال اليوم
أدرك ثاري من محمد فلما اختلط الناس أتاه من خلفه ورفع سيفه ليصبه
عليه قال فلما دنوت منه ارتفع إلي شواظ من نار أسرع من البرق فوليت

هاربًا وأخبرني النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فوضع يده على صدري وهو
أبغض الخلق إليّ فما رفعها إلا وهو أحب الخلق إليّ وقال لي ادن فقاتل فتقدمت
أمامه أضرب بسيفي وأقيه بنفسي ولو لقيت أبي تلك الساعة لأوقعت به دونه
صلى الله عليه وسلم وعن فضالة بن عمير أردت قتل النبي صلى الله عليه
وسلم عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال أفضالة قلت نعم
قال ما كنت تحدث به نفسك قلت لا شيء فضحك واستغفر لي ووضع
يده على صدري فسكن قلبي فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئًا أحب إليّ منه
ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل وأربد بن قيس حين وفدا على النبي
صلى الله عليه وسلم وكان عامر قال له أنا أشغل عنك وجه محمد فاضربه أنت
فلم ير فعل شيئًا فلما كلمه في ذلك قال له والله ما هممت أن أضربه إلا وجدتك
بيني وبينه أفأضربك ومن عصمته تعالى له أن كثيرًا من اليهود والكهنة أنذروا
به وعيّنوه لقريش وأخبروهم بسطوته وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى
حتى بلغ فيه أمره ومن ذلك نصره بالرعب أمامه مسيرة شهر كما قال
صلى الله عليه وسلم فصل ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله تعالى له من
المعارف والعلوم وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته
بأمور شرائعه وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح أمته وما كان في الأمم
قبله وقصص الأنبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية من لدن آدم عليه
السلام إلى زمنه وحفظ شرائعهم وكتبهم ووعي سيرهم وسرد أنبائهم وأيام
الله فيهم وصفات أعيانهم واختلاف آرائهم والمعرفة بمددهم وأعمارهم وحكم
حكمائهم ومحاجة كل أمة من الكفرة ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم
وإعلامهم بأسرارها ومخبآت علومها وإخبارهم بما كتموه من ذلك وغيّروه

اسرارهم

إلى الاحتواء على لغات العرب وغريب ألفاظ فرقها والإحاطة بضروب فصاحتها
والحفظ لأيامها وأمثالها وحكمها ومعاني أشعارها والتخصيص بجوامع كلمها
إلى المعرفة بضرب الأمثال الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض
والتبيين للمشكل إلى تمهيد قواعد الشرع التي لا تناقض فيها ولا تخاذل مع
اشتمال شريعته على محاسن الأخلاق ومحامد الآداب وكل شيء مستحسن مفضل
لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئًا إلا من جهة الخذلان بل كل جاحد له وكافر
من الجاهلية به إذا سمع ما يدعو إليه صوّبه واستحسنه دون طلب إقامة برهان
عليه ثم ما أحل لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبائث وصان به أنفسهم
وأعراضهم وأموالهم من المعاقبات والحدود عاجلًا والتخويف بالنار آجلًا
مما لا يعلم ولا يقوم به ولا يبعضه إلا من مارس الدرس والعكوف على
الكتب ومثافنة بعض هذا إلى الاحتواء على ضروب العلوم وفنون المعارف
كالطب والعبارة والفرائض والحساب والنسب وغير ذلك من العلوم
مما اتخذ أهل هذه المعارف كلامه عليه الصلاة والسلام فيها قدوة
وأصولًا في علمهم كقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا لأول عابر وهي على رجل
طائر وقوله الرؤيا ثلاث رؤيا حق ورؤيا يحدث الرجل بها نفسه ورؤيا
تحزين من الشيطان وقوله إذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب
وقوله أصل كل داء البردة وما روي عنه في حديث أبي هريرة من قوله
المعدة حوض البدن والعروق إليها واردة وإن كان هذا حديثًا لا نصححه
لضعفه وكونه موضوعًا تكلم عليه الدارقطني وقوله خير ما تداويتم به السعوط
واللدود والحجامة والمشي وخير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة
وإحدى وعشرين وفي العود الهندي سبعة أشفية وقوله ما ملأ ابن آدم

وعاء شرا من بطن الى قوله فإن كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث
للنفس وقوله وقد سئل عن سبإ أرجل هو أو امرأة أو أرض فقال رجل
ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم أربعة الحديث بطوله وكذلك جوابه
في نسب قضاعة وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها بالنسب إلى سؤاله
عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله حمير رأس العرب ونابها ومذحج هامتها
وغلصمتها والأزد كاهلها وجمجمتها وهمدان غاربها وذروتها وقوله إن
الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض وقوله في الحوض
زواياه سواء وقوله في حديث الذكر وإن الحسنة بعشر فتلك مائة
وخمسون على اللسان وألف وخمسمائة في الميزان وقوله وهو بموضع نعم
موضع الحمام هذا وقوله ما بين المشرق والمغرب قبلة وقوله لعيينة
أو الأقرع أنا أفرس بالخيل منك وقوله لكاتبه ضع القلم على أذنك لأنه
أذكر للممل هذا مع أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب ولكنه أوتي علم كل
شيء حتى قد وردت آثار بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها كقوله
لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس وقوله في
في الحديث الآخر الذي روي عن معاوية أنه كان يكتب بين يديه صلى الله عليه
فقال له ألق الدواة وحرف القلم وأقم الباء وفرق السين ولا تعور
الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا وإن لم تصح الرواية
أنه صلى الله عليه وسلم كتب فلا يبعد أن يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة
وأما علمه صلى الله عليه وسلم بلغات العرب وحفظه معاني أشعارها فأمر
مشهور قد نبهنا على بعضه أول الكتاب وكذلك حفظه لكثير من لغات الأمم
كقوله في الحديث سنه سنه وهي حسنة بالحبشية وقوله ويكثر الهرج وهو
القتل

القتل بها وقوله في حديث أبي هريرة اشكنب درد أي وجع البطن بالفارسية
إلى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم ببعضه إلا من مارس الدرس والعكوف
على الكتب ومثافنة أهلها عمره وهو رجل كما قال الله تعالى أمي لم يكتب ولم
يقرأ ولا عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشأ بين قوم لهم علم ولا قراءة لشيء
من هذه الأمور ولا عرف هو قبل بشيء منها قال الله تعالى وما كنت تتلو من
قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الآية إنما كانت غاية معارف العرب النسب
وأخبار أوائلها والشعر والبيان وإنما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم
ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة أهله عنه وهذا الفن نقطة من بحر
علمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل إلى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه ولا وجد
الكفرة حيلة في دفع ما نصصناه إلا قولهم أساطير الأولين وإنما يعلمه بشر
فرد الله قولهم بقوله لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين
ثم ما قالوه مكابرة العيان فإن الذي نسبوا تعليمه إليه إما سلمان أو العبد الرومي
وسلمان إنما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير من القرآن وظهور ما لا ينعد من
الآيات وأما الرومي فكان أسلم وكان يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم واختلف
في اسمه وقيل بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده عند المروة وكلاهما
أعجمي اللسان وهم الفصحاء اللد والخطباء اللسن وقد عجزوا عن معارضة
ما أتى به والإتيان بمثله بل عن فهم وصفه وصورة تأليفه ونظمه فكيف بأعجمي
ألكن نعم وقد كان سلمان أو بلعام الرومي أو يعيش أو جبر أو يسار على
اختلافهم في اسمه بين أظهرهم يكلمونهم مدى أعمارهم فهل حكي عن واحد منهم
شيء من مثل ما كان يجيء به محمد صلى الله عليه وسلم وهل عرف واحد منهم
بمعرفة شيء من ذلك وما منع العدو حينئذ على كثرة عدده ودؤوب طلبه

ولو حسن أن يجلس إلى هذا فيأخذ عنه أيضا ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به
على شيعته كفعل النضر بن الحارث بما كان يمخرق به من أخبار كتبه ولا غاب النبي
صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا كثرت اختلافاته إلى بلاد أهل الكتب فيقال
إنه استمد منهم بل لم يزل بين أظهرهم يرعى في صغره وشبابه على عادة أبنائهم
ثم لم يخرج عن بلادهم إلا في سفرة أو سفرتين لم يطل فيهما مكثه مدة يحتمل
فيها تعليم القليل فكيف الكثير بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقه عشيرته
لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة من تعليم واختلاف إلى حبر
أو قس أو منجم أو كاهن بل لو كان هذا بعد كله لكان مجيء ما أتى به في معجز القرآن
قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل شبهة ومجليا لكل أمر **فصل** ومن
خصائصه صلى الله عليه وسلم وكراماته وباهر آياته أنباؤه مع الملائكة
والجن وإمداد الله له بالملائكة وطاعة الجن له ورؤية كثير من أصحابه لهم **قال**
الله تعالى وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه الآية **وقال** إذ يوحي ربك إلى
الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا **وقال** إذ تستغيثون ربكم فاستجاب
لكم أني ممدكم الآية **وقال** وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن
الآية حدثنا سفيان بن العاصي الفقيه سماعا عليه أخبرنا أبو الليث السمرقندي
قال أخبرنا عبد الغافر الفارسي أخبرنا أبو أحمد الجلودي أخبرنا ابن سفيان
أخبرنا مسلم أخبرنا عبيد الله بن معاذ أخبرنا أبي أخبرنا شعبة عن سليمان
الشيباني سمع زر بن حبيش عن عبد الله قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى
قال رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح والخبر في محادثته مع جبريل
وإسرافيل وغيرهما من الملائكة وما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم
ليلة الإسراء مشهور وقد رآهم بحضرته جماعة من أصحابه في مواطن مختلفة

ورأى

رأى ابن عباس وأسامة وغيرهما عنده جبريل في صورة دحية **ورأى** سعد
على يمينه ويساره جبريل وميكائيل في صورة رجلين عليهما ثياب بيض ورأى أصحابه
جبريل عليه السلام في صورة رجل سأله عن الإيمان والإسلام **ومثله** عن
غير واحد وسمع بعضهم زجر الملائكة خيلها يوم بدر وبعضهم رأى تطاير
الرؤوس من الكفار ولا يرون الضارب **ورأى** أبو سفيان بن الحارث يومئذ
رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والأرض ما يقوم لها شيء وقد كانت الملائكة
تصافح عمران بن الحصين وقد كان عمران بن الحصين تصافحه الملائكة **وأرى**
النبي صلى الله عليه وسلم حمزة جبريل في الكعبة فخر مغشيا عليه **ورأى**
عبد الله بن مسعود الجن ليلة الجن وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط
وذكر ابن مسعود أن مصعب بن عمير لما قتل يوم أحد أخذ الراية ملك على
صورته فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب فقال له
الملك لست بمصعب فعلم النبي صلى الله عليه وسلم أنه ملك **وقد** ذكر غير واحد
من المصنفين عن عمر بن الخطاب أنه قال بينا أنا جالس مع النبي صلى الله عليه وسلم
إذ أقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه وقال نغمة
الجن من أنت قال أنا هامة بن الهيم بن لاقيس بن إبليس فذكر أنه لقي نوحا ومن
بعده في حديث طويل وأن النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورا من القرآن
وذكر الواقدي قتل خالد عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت له
ناشرة شعرها عريانة فجزلها بسيفه وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال
تلك العزى **وقال** صلى الله عليه وسلم إن شيطانا تفلت البارحة ليقطع علي صلاتي
فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى
تنظروا إليه كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا

لا ينبغي لاحد من بعدي الا به فرده الله خاسئا وهذا باب واسع **فصل**
ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم وعلامات رسالته ما ترادفت به الاخبار
عن الرهبان والاحبار وعلماء اهل الكتاب من صفته وصفة امته واسمه وعلاماته
وذكر الخاتم الذي بين كتفيه وما وجد من ذلك في اشعار الموحدين المتقدمين
من شعر تبع والاوس بن حارثة وشبهه وكعب بن لؤي وسفين بن مجاشع
وقس بن ساعدة وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم وما عرف به من امره
زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميري وعلماء يهود وشامول
عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره وما الفي من ذلك في التوراة والانجيل مما
قد جمعه العلماء وبينوه ونقله عنهم ثقات من اسلم منهم مثل ابن سلام وبني
سعية وابن يامين ومخيريق وكعب واشباههم ممن اسلم من علماء اليهود وبحيرا
ونسطور الحبشة وصاحب بصرى وضغاطر واسقف الشام والجارود
وسلمان والنجاشي ونصارى الحبشة واساقف نجران وغيرهم ممن
اسلم من علماء النصارى **وقد** اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة
عالما النصرانية ورئيساها ومقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا
وابن اخطب واخوه وكعب بن اسد والزبير بن باطيا وغيرهم من علماء اليهود
ممن حمله الحسد والنفاسة على البقاء على الشقاء والاخبار في هذا كثيرة لا
تنحصر **وقد قرع** اسماع يهود والنصارى بما ذكر انه في كتبهم من صفته
وصفة اصحابه واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف
ذلك وكتمانه وليهم السنتهم ببيان امره ودعوتهم الى المباهلة على الكاذب
فما منهم الا من نفر عن معارضته وابداء ما الزمهم من كتبهم اظهاره ولو وجدوا
خلاف قوله لكان اظهاره اهون عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب

الديار

الديار ونبذ القتال وقد قال لهم قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين **الى ما** انذر
به الكهان مثل شافع بن كليب وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وافعى
نجران وجذل بن جذل الكندي وابن خلصة الدوسي وسعد بنت
كريز وفاطمة بنت النعمان ومن لا يعد كثرة الى ما ظهر على السنة الاصنام من نبوته
وحلول وقت رسالته وسمع من هواتف الجان ومن ذبائح النصب واجواف
الصور وما وجد من اسم النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا
في الحجارة والقبور بالخط القديم ما اكثره مشهور واسلام من اسلم بسبب ذلك
معلوم مذكور **فصل** ومن ذلك ما ظهر من الايات عند مولده وما
حكته امه ومن حضره من العجايب وكونه رافعا راسه عندما وضعته شاخصا
ببصره الى السماء وما راته من النور الذي خرج معه عند ولادته وما راته اذ
ذاك ام عثمن بن ابي العاصي من تدلي النجوم وظهور النور عند ولادته حتى
ما تنظر الا النور وقول الشفا ام عبد الرحمن بن عوف لما سقط صلى الله عليه
وسلم على يدي واستهل سمعت قائلا يقول رحمك الله واضاء لي ما بين المشرق
والمغرب حتى نظرت الى قصور الروم وما تعرفت حليمة وزوجها ظئراه
من بركته ودرور لبنها له ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن
نشاته وما جرى من العجايب ليلة مولده من ارتجاج ايوان كسرى وسقوط
شرفاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها الف عام لم تخمد
وانه كان اذا اكل مع عمه ابي طالب واله وهو صغير شبعوا ورووا فاذا
غاب فاكلوا في غيبته لم يشبعوا وكان سائر ولد ابي طالب يصبحون شعثا ويصبح
هو صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا قالت ام ايمن حاضنته ما رايته عليه
الصلاة والسلام شكا جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا **ومن ذلك** حراسة السماء

بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم استراق السمع وما نشأ عليه من بغض الأصنام
والعفة عن أمور الجاهلية وما خصه الله به من ذلك وحماه حتى إن في
الخبر المشهور عند بناء الكعبة إذ أخذ إزاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه
الحجارة وتعرى فسقط إلى الأرض حتى رد إزاره عليه فقال له عمه ما بالك
قال إني نهيت عن التعري **ومن ذلك** إظلال الله له بالغمام في سفره وفي رواية
أن خديجة ونساءها رأينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك لميسرة
فأخبرها أنه رأى ذلك منذ خرج معه في سفره **وقد** روي أن حليمة رأت
غمامة تظله وهو عندها **وروي** ذلك عن أخيه من الرضاعة **ومن** ذلك أنه
صلى الله عليه وسلم نزل في بعض أسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فا
عشوشب ما حولها وأينعت هي فأشرفت وتدلت عليه أغصانها بمحضر من رآه
ومال فيء الشجرة إليه حتى أظلته **وما** ذكر من أنه كان لا ظل لشخصه في
شمس ولا قمر لأنه كان نورا **وأن** الذباب كان لا يقع على جسده ولا ثيابه
ومن ذلك تحبيب الخلوة إليه حتى أوحي إليه **ثم** إعلامه بموته ودنو أجله
وأن قبره في المدينة وفي بيته وأن بين بيته وبين منبره روضة من رياض
الجنة وتخيير الله تعالى له عند موته وما اشتمل عليه حديث الوفاة من
كراماته وتشريفه وصلاة الملائكة على جسده على ما رويناه في بعضها
واستئذان ملك الموت عليه ولم يستأذن على غيره قبله ونداؤهم الذي سمعوه
أن لا تنزعوا عنه القميص عند غسله وما روي من تعزية الخضر والملائكة
أهل بيته عند موته إلى ما ظهر على أصحابه من كراماته وبركته في حياته وموته
كاستسقاء عمر بعمه وتبرك غير واحد بذريته **فصل** قال المؤلف
رحمه الله قد أتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته

مقنعة في واحد منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير مما ذكرنا واقتصرنا من الأحاديث
الطوال على عين الغرض وفص المقصد ومن كثير الأحاديث وغريبها على ما
صح واشتهر إلا يسيرا من غريبه مما ذكره مشاهير الأئمة وحذفنا الإسناد في
جمهورها طلبا للاختصار وبحسب هذا الباب لو تقصي أن يكون ديوانا جامعا
يشتمل على مجلدات عدة **ومعجزات** نبينا صلى الله عليه وسلم أظهر من معجزات
سائر الرسل بوجهين **أحدهما** كثرتها وأنه لم يؤت نبي معجزة إلا وعند نبينا مثلها
أو ما هو أبلغ منها وقد نبه الناس على ذلك فإن أردته فتأمل فصول هذا
الباب ومعجزات من تقدم من الأنبياء تقف على ذلك إن شاء الله تعالى **وأما** كونها كثيرة
فهذا القرآن وكله معجز وأقل ما يقع الإعجاز فيه عند بعض أئمة المحققين سورة
إنا أعطيناك الكوثر أو آية في قدرها وذهب بعضهم إلى أن كل آية منه كيف
كانت معجزة وذهب آخرون إلى أن كل جملة منتظمة منه معجزة وإن كانت من كلمة
أو كلمتين والحق ما ذكرناه أولا **لقوله** تعالى فأتوا بسورة من مثله فهو أقل ما تحداهم
به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه **وإذا** كان هذا ففي القرآن من
الكلمات نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد كلمات
إنا أعطيناك الكوثر عشر كلمات فيتجزأ القرآن على نسبة عدد إنا أعطيناك
الكوثر أزيد من سبعة آلاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه ثم إعجازه
كما تقدم بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء من هذا العدد
معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه إعجاز أخر من الإخبار
بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة الخبر عن أشياء من الغيب
كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف العدد كرة أخرى ثم وجوه الإعجاز الأخر التي
ذكرناها توجب التضعيف هذا في حق القرآن فلا يكاد يأخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر

براهينه نحو الأحاديث الواردة والأخبار الصادرة عنه عليه الصلاة والسلام في هذه
الأبواب وعما دل على أمره مما أشرنا إلى جمله بلغ نحوًا من هذا **الوجه الثاني** وضوح
معجزاته صلى الله عليه وسلم فإن معجزات الرسل كانت بقدر همم أهل زمانهم
وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى عليه السلام غاية علم أهله السحر
بعث إليهم موسى عليه السلام بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم منها ما
خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وأبطل سحرهم وكذلك زمن عيسى عليه السلام
أغنى ما كان الطب وأوفر ما كان أهله فجاءهم أمر لا يقدرون عليه وأتاهم ما لم يحتسبوه
من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص دون معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات
الأنبياء ثم إن الله تعالى بعث محمدًا صلى الله عليه وسلم وجملة معارف العرب وعلومها
أربعة البلاغة والشعر والخبر والكهانة فأنزل الله تعالى عليه القرآن
الخارق لهذه الأربعة فصول من الفصاحة والإيجاز والبلاغة الخارجة عن نمط
كلامهم ومن النظم الغريب والأسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم
إلى طريقه ولا علموا في أساليب الأوزان منهجه ومن الإخبار عن الكوائن والحوادث
والأسرار والمخبآت والضمائر فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك
وصدقه وإن كان أعدى العدو فأبطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرًا ثم
اجتثها من أصلها برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من الأخبار عن القرون
السالفة وأنباء الأنبياء والأمم البائدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا
العلم عن بعضه على الوجوه التي بسطناها وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة
الجامعة لهذه الوجوه إلى الفصول الأخر التي ذكرناها في معجزات القرآن ثابتة
إلى يوم القيامة بينة الحجة لكل أمة تأتي لا يخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتأمل وجوه
إعجازه إلى ما أخبر به من الغيوب على هذه السبيل فلا يمر عصر ولا زمن إلا ويظهر

خ اغنى — خ المبه — خ من — سابة — خ الباقيه

فيه

فيه صدقه بظهور مخبره على ما أخبر فيتجدد الإيمان ويتظاهر البرهان وليس
الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة في اليقين والنفس أشد طمأنينة إلى عين اليقين
منها إلى علم اليقين وإن كان كل عندها حقًا وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم
وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع وآياته
تتجدد ولا تضمحل ولهذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله فيما حدثنا القاضي
الشهيد أبو علي حدثنا القاضي أبو الوليد حدثنا أبو ذر حدثنا أبو محمد وأبو إسحاق
وأبو الهيثم قالوا حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا عبد العزيز بن
عبد الله حدثنا الليث عن سعيد عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما
كان الذي أوتيت وحيًا أوحاه الله إلي فأرجو أني أكثرهم تابعًا يوم القيامة هذا
معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح إن شاء الله وذهب غير واحد
من العلماء في تأويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم إلى معنى
آخر من ظهورها بكونها وحيًا وكلامًا لا يمكن التخييل فيه ولا التحيل عليه
والتشبيه فإن غيرها من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها بأشياء طمعوا
في التخييل بها على الضعفاء كإلقاء السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما
يخيله الساحر أو يتحيل فيه والقرآن كلام ليس للحيلة ولا للسحر ولا التخييل
فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم أظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر
ولا لخطيب أن يكون شاعرًا أو خطيبًا بضرب من الحيل والتمويه والتأويل
الأول أخلص وأرضى وفي هذا التأويل الثاني ما يغمض الجفن عليه ويغضي
ووجه ثالث على مذهب من قال بالصرفة وأن المعارضة كانت في مقدور
البشر فصرفوا عنها أو على أحد مذهبي أهل السنة من أن الإتيان بمثله من جنس

خ والمشاهدة — خ ثالث — خ خطيب — خ عنه

مقدور لهم ولكن لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعد لأن الله لم يقدرهم ولا يقدرهم
عليه وبين هذين المذهبين فرق بين وعليهما جميعا فترك العرب الإتيان بما في
مقدورهم أو ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم بالبلاء والجلاء والسباء
والإذلال وتغيير الحال وسلب النفوس والأموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز
والتهديد والوعيد أبين آية للعجز عن الإتيان بمثله والنكول عن معارضته
وأنهم منعوا عن شيء هو من جنس مقدورهم وإلى هذا ذهب الإمام أبو المعالي
الجويني وغيره **قال** وهذا عندنا أبلغ في خرق العادة بالأفعال البديعة في
أنفسها كقلب العصا حية ونحوها فإنه قد يسبق إلى بال الناظر بدارا أن ذلك من
اختصاص صاحب ذلك بمزية معرفته في ذلك الفن وفضل علم إلى أن يرد ذلك صحيح
النظر **وأما** التحدي للخلائق المئين من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله
فلم يأتوا فلم يبق بعد توفر الدواعي على المعارضة ثم عدمها إلا منع الله الخلق عنها
بمثابة ما لو قال نبي آيتي أن يمنع الله القيام عن الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع
الزمانة عنهم فكان ذلك من آياته وأظهر دلالته وبالله التوفيق **وقد غاب**
عن بعض العلماء وجه ظهور آيته على سائر آيات الأنبياء حتى احتاج للخروج عن ذلك
بدقة أفهام العرب وذكاء ألبابهم ووفور عقولها وأنهم أدركوا المعجزة فيه
بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب إدراكهم وغيرهم من القبط وبني إسرائيل
وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم
فرعون أنه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد إيمانهم وعبدوا
المسيح مع إجماعهم على صلبه وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فجاءهم من الآيات
الظاهرة البينة للأبصار بقدر غلظ أفهامهم ما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن
لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو أدنى

بالذي

بالذي هو خير والعرب على جاهليتها أكثرها يعترف بالصانع وإنما كانت تتقرب
بالأصنام إلى الله زلفى ومنهم من آمن بالله وحده من قبل الرسول بدليل عقله
وصفاء لبه **ولما جاءهم** الرسول بكتاب الله تعالى فهموا حكمته وتبينوا بفضل
إدراكهم لأول وهلة معجزته فآمنوا به وازدادوا كل يوم إيمانا ورفضوا
الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم وأموالهم وقتلوا آباءهم وأبناءهم
في نصرته وأتى في معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج إليه
وحقق وقد قدمنا من بيان معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يغني
عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها إن شاء الله تعالى وبالله أستعين

القسم الثاني فيما يجب على الأنام من حقوقه عليه الصلاة والسلام **قال**
المؤلف رحمه الله وهذا قسم لخصنا فيه الكلام في أربعة أبواب على ما ذكرناه أول
الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه واتباعه وطاعته ومحبته ومناصحته
وتوقيره وبره وحكم الصلاة عليه والتسليم وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم

الباب الأول

في فرض الإيمان به ووجوب طاعته واتباع سنته صلى الله عليه وسلم **قال**
المؤلف رحمه الله إذا تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب
الإيمان به وتصديقه فيما أتى به **قال** الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور
الذي أنزلنا **وقال** إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله
ورسوله النبي الأمي الآية **فالإيمان** بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم واجب
متعين لا يتم إيمان إلا به ولا يصح إسلام إلا معه **قال** الله تعالى ومن لم
يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا حدثنا أبو محمد الخشني
الفقيه بقراءتي عليه حدثنا الإمام أبو علي الطبري حدثنا عبد الغافر

القارسي حدثنا ابن عمرويه حدثنا ابن سفين حدثنا أبو الحسين حدثنا أمية بن بسطام حدثنا يزيد بن زريع أخبرنا روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله **قال** المؤلف رحمه الله والإيمان به عليه الصلوة والسلام هو تصديق نبوته ورسالة الله له وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بأنه رسول الله فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان تم الإيمان به والتصديق له كما ورد في هذا الحديث نفسه من رواية عبد الله بن عمر أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله **وقد** زاده وضوحا في حديث جبريل عليه السلام إذ قال أخبرني عن الإسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وذكر أركان الإسلام ثم سأله عن الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الحديث فقد قرر أن الإيمان به محتاج إلى العقد بالجنان والإسلام به مضطر إلى النطق باللسان وهذه الحالة المحمودة التامة **وأما** الحال المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق القلب وهذا هو النفاق قال الله تعالى إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون أي كاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم تصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم أن يقولوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا عن اسم الإيمان ولم يكن لهم في الآخرة حكمه إذ لم يكن معهم ولحقوا بالكافرين في الدرك الأسفل من النار وبقي عليهم حكم الإسلام

بإظهار

بإظهار شهادة اللسان في أحكام الدنيا المتعلقة بالأئمة وحكام المسلمين الذين أحكامهم على الظواهر بما أظهروه من علامة الإسلام إذ لم يجعل للبشر سبيل إلى السرائر ولا أمروا بالبحث عنها بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك وقال هلا شققت عن قلبه **والفرق** بين القول والعقد ما جعل في حديث جبريل الشهادة من الإسلام والتصديق من الإيمان وبقيت حالتان أخريان بين هذين **إحداهما** أن يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع وقت الشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط بعضهم من تمام الإيمان القول والشهادة به ورآه بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان فلم يذكر سوى ما في القلب وهذا مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح في هذا الوجه **الثانية** أن يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في عمره ولا مرة فهذا اختلف فيه أيضا فقيل هو مؤمن لأنه مصدق والشهادة من جملة الأعمال فهو عاص بتركها غير مخلد في النار وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده شهادة إذ الشهادة إنشاء عقد والتزام إيمان وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة إلا بها وهذا هو الصحيح **وهذا** نبذ يفضي إلى متسع من الكلام في الإسلام والإيمان وأبوابهما وفي الزيادة فيهما والنقصان وهل التجزي ممتنع على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة وإنما يرجع إلى ما زاد عليه أو قد يعرض فيه لاختلاف صفاته وتباين حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة ودوام حالة وحضور قلب وفي بسط هذا خروج عن غرض التأليف وفيما ذكرنا غنية بما قصدنا إن شاء الله تعالى **فصل** وأما وجوب طاعته فإذا وجب الإيمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته لأن ذلك مما أتى به **قال**

الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله وقال قل أطيعوا الله وأطيعوا
الرسول وقال وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال وإن تطيعوه
تهتدوا وقال من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال وما آتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه وقال ومن يطع الله والرسول فأولئك الآية وقال وما فانتهوا
أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله فجعل تعالى طاعة رسوله طاعته
وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب وأوعد على مخالفته
بسوء العقاب وأوجب امتثال أمره واجتناب نهيه قال المفسرون والأئمة
طاعة الرسول في التزام سنته والتسليم لما جاء به وقالوا وما أرسل الله من
رسول إلا فرض طاعته على من أرسله إليه وقالوا من يطع الرسول في سنته يطع
الله في فرائضه وسئل سهل بن عبد الله عن شرائع الإسلام فقال وما آتاكم
الرسول فخذوه وقال السمرقندي يقال أطيعوا الله في فرائضه والرسول
في سنته وقيل أطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم ويقال أطيعوا سنته
الله بالشهادة له بالربوبية والنبي بالشهادة له بالنبوة حدثنا أبو محمد بن عتاب
بقراءتي عليه أخبرنا حاتم بن محمد حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن خلف حدثنا
محمد بن أحمد حدثنا محمد بن يوسف حدثنا البخاري حدثنا عبدان أخبرنا
عبد الله أخبرنا يونس عن الزهري أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع أبا
هريرة يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أطاعني فقد أطاع الله
ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري
فقد عصاني فطاعة الرسول من طاعة الله إذ الله أمر بطاعته فطاعته امتثال
لما أمر الله به وطاعة له وقد حكى الله تعالى عن الكفار في دركات جهنم يوم
تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا فتمنوا طاعته

حيث

حيث لا ينفعهم التمني وقال صلى الله عليه وسلم إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه
وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه
عنه صلى الله عليه وسلم كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا ومن يأبى قال
من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى وفي الحديث الآخر الصحيح عنه
صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال يا قوم
إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء فأطاعه طائفة من قومه
فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم
الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به ومثل من
عصاني وكذب ما جئت به من الحق وفي الحديث الآخر في مثله كمثل من
بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل
من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فالدار
الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله ومن
عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد صلى الله عليه وسلم فرق بين الناس

فصل

وأما وجوب اتباعه وامتثال سنته والاقتداء بهديه فقد قال تعالى قل إن
كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال سبحانه فآمنوا بالله
ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وقال
تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم إلى قوله تسليما أي ينقادوا ل
لحكمك يقال سلم واستسلم وأسلم إذا انقاد وقال عز وجل لقد كان لكم
في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر الآية وقال
محمد بن علي الترمذي الأسوة في الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته وترك
مخالفته في قول أو فعل وقال غير واحد من المفسرين بمعناه وقيل

هو عتاب للمخالفين عنه وقال سهل في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم قال
بمتابعة السنة فامرهم الله تعالى بذلك ووعدهم الهداية باتباعه لان
الله ارسله بالهدى ودين الحق يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم
الى صراط مستقيم ووعدهم محبته تعالى في الاية الاخرى ومغفرته
اذا اتبعوه وآثروه على اهوائهم وما تجنح اليه نفوسهم وان صحة ايمانهم
بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه وروي عن الحسن
ان قوما قالوا يا رسول الله انا نحب الله فانزل الله فاتبعوني يحببكم الله الاية
وروي ان الاية نزلت في كعب بن الاشرف وغيره وانهم قالوا نحن ابناء
الله واحباؤه الاية ونحن اشد حبا لله فانزل الله الاية وقال الزجاج
معناه ان كنتم تحبون الله ان تقصدوا طاعته فافعلوا ما امركم به اذ محبة
العبد لله والرسول طاعته لهما ورضاه بما امرا ومحبة الله لهم عفوه
عنهم وانعامه عليهم برحمته ويقال ان الحب من الله عصمة وتوفيق
ومن العباد طاعة كما قال القائل .. تعصي الاله وانت تظهر حبه هذا لعمري
في القياس بديع .. لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع
ويقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله تعالى له
رحمته له وارادته الجميل له وتكون بمعنى مدحه وثنائه عليه قال
القشيري فاذا كان بمعنى الرحمة والارادة والمدح كان من صفات
الذات وسياتي بعد في ذكر محبة العبد غير هذا بحول الله تعالى
حدثنا ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر الفقيه حدثنا ابو الاصبغ عيسى
ابن سهل وحدثنا ابو الحسن يونس بن مغيث الفقيه بقراءتي عليه قال
حدثنا حاتم بن محمد قال اخبرنا ابو حفص الجهني حدثنا ابو بكر الآجري

حدثنا

حدثنا ابرهيم بن موسى الجوزي حدثنا داود بن رشيد حدثنا الوليد بن مسلم
عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر
الكلاعي عن العرباض بن سارية في حديثه في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم
ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة زاد في حديث جابر
بمعناه وكل ضلالة في النار وفي حديث ابي رافع عنه صلى الله عليه وسلم
لا الفين احدكم متكئا على اريكته ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت
عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وفي حديث عائشة صنع
رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ترخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي
صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم قال ما بال قوم يتنزهون عن الشيء اصنعه
فوالله اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية وروي عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال القران صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك بحديثي
وفهمه وحفظه جاء مع القران ومن تهاون بالقران وحديثي خسر الدنيا والاخرة
امرت امتي ان ياخذوا بقولي ويطيعوا امري ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي
فقد رضي بالقران قال الله تعالى وما اتاكم الرسول الاية وقال
صلى الله عليه وسلم من اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني
وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان احسن
الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها وعن
عبد الله بن عمرو بن العاصي قال النبي صلى الله عليه وسلم العلم ثلثة فما سوى
ذلك فهو فضل اية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة وعن الحسن بن
ابي الحسن قال عنه صلى الله عليه وسلم عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في

يتمسك

وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة تمسك بها وعن
ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المتمسك بسنتي عند
فساد امتي له اجر مائة شهيد وقال صلى الله عليه وسلم ان بني اسرايل
افترقوا على اثنين وسبعين فرقة وان امتي تفترق على ثلث وسبعين كلها
في النار الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذي انا عليه اليوم واصحابي
وعن انس قال صلى الله عليه وسلم من احيا سنتي فقد احياني ومن
احياني كان معي وعن عمرو بن عوف المزني ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لبلال بن الحرث من احيى سنة من سنتي قد اميتت بعدي فان له من
الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيا ومن ابتدع بدعة
ضلالة لا يرضى الله ورسوله كان عليه مثل اثام من عمل بها لا ينقص ذلك من
اوزار الناس شيا **فصل** واما ما ورد عن السلف والايمة من اتباع سنته
والاقتداء بهديه وسيرته فحدثنا الشيخ ابو عمران موسى بن عبد الرحمن
ابن ابي تليد الفقيه سماعا عليه قال حدثنا ابو عمر الحافظ قال حدثنا
سعيد بن نصر حدثنا قاسم ابن اصبغ ووهب بن مسرة قالا حدثنا محمد
ابن وضاح حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا مالك عن ابن شهاب عن رجل
من ال خالد بن اسيد انه سال عبد الله بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن انا
نجد صلاة السفر فقال ابن عمر يا ابن اخي ان الله بعث الينا محمدا صلى الله
عليه وسلم ولا نعلم شيا فانما نفعل كما رايناه يفعل وقال عمر بن عبد
العزيز سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الامر من بعده سننا
الاخذ بها تصديق لكتاب الله واستعمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس
لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في راي من خالفها من اقتدى بها

فهو

فهو مهتد ومن انتصر بها منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل المومنين ولاه
الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا وقال الحسن بن ابي الحسن عمل قليل
في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال من اهل
العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة وكتب عمر بن الخطاب تعلموا السنة
والفرايض واللحن اي اللغة وقال ان ناسا سيجادلونكم يعني بالقران فخذوهم
بالسنة فان اصحاب السنن اعلم بكتاب الله وفي خبره حين صلى بذي الحليفة
ركعتين فقال اصنع كما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع وعن علي
حين قرن فقال له عثمان ترى اني انهى الناس عنه وتفعله قال لم اكن لادع
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول احد من الناس وعنه الا اني لست
بنبي ولا يوحى الي ولكني اعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما استطعت
وكان ابن مسعود يقول القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة وقال
ابن عمر صلاة السفر ركعتان من خالف السنة كفر وقال ابي بن كعب عليكم
بالسبيل والسنة فانه ما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه
ففاضت عيناه من خشية ربه فيعذبه الله ابدا وما على الارض من عبد على السبيل
والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة
قد يبس ورقها فهي كذلك اذ اصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها الا
حط الله عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها فان اقتصادا في سبيل
وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة وانظروا ان يكون عملكم ان كان
اجتهادا واقتصادا ان يكون على منهاج الانبياء وسنتهم وكتب بعض عمال
عمر بن عبد العزيز الى عمر بحال بلده وكثرة لصوصه هل ياخذهم بالظنة
او يحملهم على البينة وما جرت عليه السنة فكتب اليه عمر خذهم بالبينة وما

جرت

جرت عليه السنة فإن لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله وعن عطاء في قوله تعالى فإن
تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه
وسلم وقال الشافعي ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا اتباعها وقال
عمر ونظر إلى الحجر الأسود والله إنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله ورؤي عبد الله بن عمر يدير ناقته
في مكان فسئل فقال لا أدري إلا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله
ففعلته وقال أبو عثمان الحيري من أمّر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق
بالحكمة ومن أمّر الهوى على نفسه نطق بالبدعة وقال سهل التستري أصول
مذهبنا ثلاثة الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الأخلاق والأفعال والأكل
من الحلال وإخلاص النية في جميع الأعمال وجاء في تفسير قوله تعالى
والعمل الصالح يرفعه أنه الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي أن أحمد
ابن حنبل قال كنت يوما مع جماعة تجردوا ودخلوا الماء فاستعملت الحديث
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر ولم أتجرد
فرأيت تلك الليلة قائلا لي يا أحمد أبشر فإن الله قد غفر لك باستعمالك السنة
وجعلك إماما يقتدى بك قلت من أنت قال جبريل فصل ومخالفة
أمره وتبديل سنته ضلال وبدعة متوعد من الله تعالى عليه بالخذلان
والعذاب قال الله فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة
أو يصيبهم عذاب أليم وقال جل وعز ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين
له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى الآية حدثنا أبو محمد
عبد الله بن أبي جعفر وعبد الرحمن بن عتاب بقراءتي عليهما قالا حدثنا أبو القسم
حاتم بن محمد حدثنا أبو الحسن القابسي حدثنا أبو الحسن بن مسرور الدباغ

حدثنا أحمد بن أبي سليمان حدثنا سحنون بن سعيد حدثنا ابن القاسم حدثنا مالك
عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج إلى المقبرة وذكر الحديث في صفة أمته وفيه فليذادن رجال
عن حوضي كما يذاد البعير الضال فأناديهم ألا هلم ألا هلم فيقال إنهم قد
بدلوا فأقول فسحقا فسحقا فسحقا وروى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
من رغب عن سنتي فليس مني وقال من أدخل في أمرنا ما ليس منه فهو رد
وروى ابن أبي رافع عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ألفين أحدكم
متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري
ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه زاد في حديث المقدام ألا وإن ما حرم رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله وقال صلى الله عليه وسلم وجيء بكتاب
في كتف كفى بقوم حمقا أو قال ضلالا أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إلى غير نبيهم
أو كتاب غير كتابهم فنزلت أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الآية
وقال صلى الله عليه وسلم هلك المتنطعون وقال أبو بكر الصديق لست
تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به إني أخشى إن
تركت شيئا من أمره أن أزيغ الباب الثاني في لزوم محبته صلى
الله عليه وسلم قال الله تعالى قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم
وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها الآية فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة
وحجة على إلزام محبته ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها صلى
الله عليه وسلم إذ قرّع تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله
ورسوله وأوعدهم بقوله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ثم فسقهم بتمام الآية
وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله حدثنا أبو علي الغساني الحافظ فيما

أجازنيه وهو مما قرأته على غير واحد قالوا حدثنا سراج بن عبد الله القاضي حدثنا
أبو محمد الأصيلي حدثنا المروزي حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا محمد بن
إسمعيل حدثنا يعقوب بن إبرهيم حدثنا ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده
ووالده والناس أجمعين وعن أبي هريرة نحوه **وعن** أنس عنه صلى الله عليه وسلم
ثلث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما
وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار
وعن عمر بن الخطاب أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لأنت أحب إلي من كل شيء
إلا نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن أحدكم حتى أكون
أحب إليه من نفسه فقال عمر والذي أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إلي من
نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر **قال** سهل من
لم ير ولاية الرسول صلى الله عليه وسلم عليه في جميع الأحوال ويرى نفسه
في ملكه عليه الصلوة والسلام لا يذوق حلاوة سنته لأن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه الحديث

فصل في ثواب محبته صلى الله عليه وسلم حدثنا أبو محمد بن
عتاب بقراءتي عليه حدثنا أبو القسم حاتم بن محمد حدثنا أبو الحسن علي بن
خلف حدثنا أبو زيد المروزي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسمعيل
حدثنا عبدان حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد عن
أنس أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة يا رسول الله قال
ما أعددت لها قال ما أعددت لها من كبير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني
أحب الله ورسوله قال أنت مع من أحببت **وعن** صفوان بن قدامة قال

هاجرت

١٠٧

هاجرت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأتيته فقلت يا رسول الله ناولني يدك أبايعك
فناولني يده فقلت يا رسول الله إني أحبك قال المرء مع من أحب **وروى** هذا اللفظ
عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود وأبو موسى وأنس وعن أبي ذر
معناه **وعن** علي أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيد حسن وحسين فقال من
أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيمة **وروى** أن
رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لأنت أحب إلي من أهلي ومالي
وإني لأذكرك فما أصبر حتى أجيء فأنظر إليك وإني ذكرت موتي وموتك فعرفت
أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإن دخلتها لا أراك فأنزل الله تعالى
ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا فدعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقرأها عليه **وفي** حديث آخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه ينظر إليه
لا يطرف فقال ما بالك قال بأبي أنت وأمي أتمتع بالنظر إليك فإذا كان يوم القيمة
رفعك الله بتفضيله فأنزل الله الآية وفي حديث أنس من أحبني كان معي في الجنة

فصل فيما روي عن السلف والأئمة من محبتهم النبي صلى الله عليه وسلم
وشوقهم له حدثنا القاضي الشهيد حدثنا العذري حدثنا الرازي حدثنا
الجلودي حدثنا ابن سفين حدثنا مسلم حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن
عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أشد
الناس لي حبا ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله **ومثله**
عن أبي ذر وتقدم حديث عمر وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم لأنت أحب إلي
من نفسي وما تقدم عن الصحابة في مثله **وعن** عمرو بن العاصي ما كان أحد أحب
إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم **وعن** عبدة بنت خالد بن معدان قالت ما كان

خالد يأوي إلى فراشه إلا وهو يذكر من شوقه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار يسميهم ويقول هم أصلي وفصلي وإليهم يحن قلبي طال شوقي إليهم فعجل رب قبضي إليك حتى يغلبه النوم. **وروي** عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لإسلام أبي طالب كان أقر لعيني من إسلامه يعني أباه أبا قحافة وذلك أن إسلام أبي طالب كان أقر لعينك. **ونحوه** عن عمر بن الخطاب قال للعباس أن تسلم أحب إلي من أن يسلم الخطاب لأن ذلك أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. **وعن** ابن إسحاق أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين قالت أرونيه حتى أنظر إليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل. **وسئل** علي بن أبي طالب كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ. **وعن** زيد بن أسلم خرج عمر ليلة يحرس فرأى مصباحا في بيت وإذا عجوز تنفش صوفا وتقول:

على محمد صلاة الأبرار ... صلى عليه الطيبون الأخيار
قد كنت قواما بكى بالأسحار ... يا ليت شعري والمنايا أطوار
هل تجمعني وحبيبي الدار

تعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكي وفي الحكاية طول. **وروي** أن عبد الله بن عمر خدرت رجله فقيل له اذكر أحب الناس إليك يزل عنك فصاح يا محمداه فانتشرت. **ولما** احتضر بلال نادت امرأته واحرباه فقال واطرباه غدا ألقى الأحبة محمدا وحزبه. **وروي** أن امرأة قالت لعائشة رضي الله عنها اكشفي لي قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشفته لها فبكت حتى ماتت. **ولما** أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة من

الحرم ليقتلوه قال له أبو سفيان بن حرب أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمدا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك فقال زيد والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وأني جالس في أهلي فقال أبو سفيان ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا. **وعن** ابن عباس كانت المرأة إذا أتت النبي صلى الله عليه وسلم حلفها بالله ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة بأرض عن أرض وما خرجت إلا حبا لله ورسوله. **ووقف** ابن عمر على ابن الزبير بعد قتله فاستغفر له وقال كنت والله ما علمت صواما قواما تحب الله ورسوله.

فصل في علامة محبته صلى الله عليه وسلم. **قال** المؤلف رحمه الله اعلم أن من أحب شيئا آثره وآثر موافقته وإلا لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا **فالصادق** في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه. **وأولها** الاقتداء به واستعمال سنته واتباع أقواله وأفعاله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه. **وشاهد** هذا قوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله. وإيثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته قال الله تعالى والذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة. وإسخاط العباد في رضى الله تعالى. حدثنا القاضي أبو علي الحافظ حدثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون قالا حدثنا أبو يعلى البغدادي حدثنا أبو علي السنجي حدثنا محمد بن أحمد بن محبوب حدثنا أبو عيسى حدثنا محمد بن مسلم حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال أنس بن مالك قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل

ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي ومن أحب سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة
فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفها في بعض هذه الأمور
فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها ودليله قوله صلى الله عليه وسلم للذي حد في الخمر
فلعنه بعضهم وقال ما أكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فإنه يحب الله
ومن علامة محبة النبي صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره له فمن أحب شيئا أكثر ذكره
ومنها كثرة شوقه إلى لقائه فكل حبيب يحب لقاء حبيبه وفي حديث الأشعريين عند
قدومهم المدينة أنهم كانوا يرتجزون غدا نلقى الأحبة محمدا وصحبه
وتقدم قول بلال ومثله قال عمار قبل قتله وما ذكرناه من قصة خالد
ابن معدان ومن علاماته مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره عند ذكره وإظهار
الخشوع والانكسار مع سماع اسمه الكريم قال إسحق التجيبي كان أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه إلا خشعوا واقشعرت جلودهم
وبكوا وكذلك كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقا إليه ومنهم
من يفعله تهيبا وتوقيرا ومنها محبته لمن أحب النبي صلى الله عليه وسلم
ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته من الأنصار والمهاجرين وعداوة من
عاداهم وبغض من أبغضهم وسبهم فمن أحب شيئا أحب من يحبه وقد
قال صلى الله عليه وسلم في الحسن والحسين اللهم إني أحبهما فأحبهما وفي رواية
في الحسن فأحب من يحبه وقال من أحبهما فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله
ومن أبغضهما فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله وقال الله الله في
أصحابي لا تتخذوهم غرضا فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم
ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن
يأخذه وقال في فاطمة رضي الله عنها إنها بضعة مني يغضبني ما يغضبها وقال

لعائشة في أسامة بن زيد أحبه فإني أحبه وقال آية الإيمان حب الأنصار وآية
النفاق بغضهم وفي حديث ابن عمر من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغضهم
فببغضي أبغضهم قال المؤلف رحمه الله فالحقيقة من أحب شيئا أحب كل
شيء يحبه وهذه سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات النفس وقد قال أنس
حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي القصعة فما زلت أحب
الدباء من يومئذ وهذا الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وابن جعفر أتوا سلمى
وسألوها أن تصنع لهم طعاما مما كان يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفرة إذ رأى النبي صلى
الله عليه وسلم يفعل نحو ذلك ومنها بغض من أبغض الله ورسوله ومعاداة
من عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه واستثقال كل أمر يخالف
شريعته قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون
من حاد الله ورسوله وهؤلاء أصحابه عليه السلام قد قتلوا أحباءهم وقاتلوا
آباءهم وأبناءهم في مرضاته وقال له عبد الله بن عبد الله بن أبي لو شئت
لأتيتك برأسه يعني أباه ومنها أن يحب القرآن الذي أتى به صلى الله عليه وسلم
وهدى به واهتدى وتخلق به حتى قالت عائشة كان خلقه القرآن وحبه للقرآن
تلاوته وتفهمه والعمل به ويحب سنته ويقف عند حدودها قال سهل بن
عبد الله علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي صلى
الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب
السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا أن لا يدخر
منها إلا زادا وبلغة إلى الآخرة وقال ابن مسعود لا يسأل أحد عن نفسه إلا
القرآن فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله ومن علامة حبه للنبي

خـ دفع

صلى الله عليه وسلم شفقته على أمته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ودفع المضار عنهم كما كان صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤوفا رحيما **ومن علامته** تمام محبته زهد مدعيها في الدنيا وإيثار الفقر واتصافه به **وقد** قال صلى الله عليه وسلم لأبي سعيد الخدري إن الفقر إلى من يحبني منكم أسرع من السيل من أعلى الوادي أو الجبل إلى أسفله **وفي** حديث عبد الله بن مغفل قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله إني أحبك فقال انظر ما تقول فقال والله إني أحبك ثلاث مرار قال إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث أبي سعيد بمعناه **فصل** في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقتها **اختلف** الناس في تفسير محبة الله تعالى ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم وكثرت عباراتهم في ذلك وليست ترجع بالحقيقة إلى اختلاف مقال ولكنها اختلاف أحوال **فقال** سفيان المحبة اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام كأنه التفت إلى قوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني الآية **وقال** بعضهم محبة الرسول عليه الصلاة والسلام اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته **وقال** بعضهم المحبة دوام ذكر المحبوب وقال آخر إيثار المحبوب **وقال** بعضهم المحبة الشوق إلى المحبوب **وقال** بعضهم المحبة مواطاة القلب لمراد الرب يحب ما أحب ويكره ما يكره **وقال** آخر المحبة ميل القلب إلى موافق له **وأكثر** العبارات المتقدمة إشارات إلى ثمرات المحبة دون حقيقتها **وحقيقة** المحبة الميل إلى ما يوافق الإنسان **وتكون** موافقته له **إما** لاستلذاذه بإدراكه كحب الصور الجميلة والأصوات الحسنة والأطعمة والأشربة اللذيذة وأشباهها مما كل طبع سليم مائل إليها لموافقتها له **أو** لاستلذاذه بإدراكه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة كمحبة الصالحين والعلماء وأهل المعروف والمأثور عنهم السير

الجميلة

الصورة

الجميلة والأفعال الحسنة فإن طبع الإنسان مائل إلى الشغف بأمثال هؤلاء حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع من أمة في آخرين ما يؤدي إلى الجلاء عن الأوطان وهتك الحرم واخترام النفوس **أو يكون** حبه إياه لموافقته له من جهة إحسانه له وإنعامه عليه فقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها **فإذا** تقرر لك هذا نظرت إلى هذه الأسباب كلها في حقه عليه الصلاة والسلام فعلمت أنه صلى الله عليه وسلم جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة **أما جمال** الصورة والظاهر وكمال الأخلاق والباطن فقد قررنا منها قبل فيما مضى من الكتاب ما لا يحتاج إلى زيادة **وأما إحسانه** وإنعامه على أمته فكذلك قد مر منه في أوصاف الله تعالى له من رأفته بهم ورحمته لهم وهدايته إياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم به من النار وأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ويتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم فأي إحسان أجل قدرا وأعظم خطرا من إحسانه إلى جميع المؤمنين وأي إفضال أعم منفعة وأكثر فائدة من إنعامه على كافة المسلمين إذ كان ذريعتهم إلى الهداية ومنقذهم من العماية وداعيهم إلى الفلاح والكرامة ووسيلتهم إلى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم السرمد **فقد** استبان لك أنه صلى الله عليه وسلم مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا لما قدمناه من صحيح الآثار وعادة وجبلة لما ذكرناه آنفا لإفاضته الإحسان وعمومه الإجمال فإذا كان الإنسان يحب من منحه في دنياه مرة أو مرتين معروفا أو استنقذه من هلكة أو مضرة مدة التأذي بها قليل منقطع فمن منحه ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم أولى بالحب **وإذا**

النعيم

خـ آخرين

خـ إليه

خـ مر

خـ وسيلتهم

خـ لما

خـ مدة

كان يجب بالطبع ميلك الحسن سيرته أو حاكوا لما يؤثر من فوائد طريقته
أو فاض بعد الدار لما اقتبس من علمه أو كرم شيمته فمن جمع هذه الخصال على
غاية مراتب الكمال أحق بالحب وأولى بالميل وقد قال علي رضي الله عنه في صفته
صلى الله عليه وسلم من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه وذكر عن
بعض الصحابة أنه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه صلى الله عليه وسلم فصل
في وجوب مناصحته صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون
ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم
قال أهل التفسير إذا نصحوا لله ورسوله إذا كانوا مخلصين مسلمين في السر
والعلانية حدثنا الفقيه أبو الوليد بقراءتي عليه حدثنا حسين بن محمد
حدثنا يوسف بن عبد الله حدثنا بن عبد المؤمن حدثنا أبو بكر التمار حدثنا أبو
داود حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا سهيل بن أبي صالح عن عطاء بن
يزيد عن تميم الداري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الدين
النصيحة إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه
ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم قال أئمتنا رحمهم الله النصيحة لله ورسوله
وأئمة المسلمين وعامتهم واجبة قال الإمام أبو سليمان البستي النصيحة
كلمة يعبر بها عن جملة إرادة الخير للمنصوح له وليس يمكن أن يعبر عنها بكلمة
واحدة تحصرها ومعناها في اللغة الإخلاص من قولهم نصحت العسل إذا خلصته
من شمعه وقال أبو بكر بن أبي إسحاق الخفاف النصح فعل الشيء الذي به الصلاح والملاءمة مأ
خوذ من النصاح وهو الخيط الذي يخاط به الثوب وقال أبو إسحاق الزجاج نحوه
فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد له بالوحدانية ووصفه بما هو أهله وتنزيهه
عما لا يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد من مساخطه والإخلاص في عبادته

والنصيحة

والنصيحة لكتابه الإيمان به والعمل بما فيه وتحسين تلاوته والتخشع عنده والتعظيم
له وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه من تأويل الغالين وطعن الملحدين والنصيحة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما أمر به ونهى
عنه قاله أبو سليمان هو الخطابي وأبو بكر هو الآجري رحمهما الله وموازرته ونصرته
وحمايته حيا وميتا وإحياء سنته بالطلب والذب عنها ونشرها والتخلق بأخلاقه
الكريمة وآدابه الجميلة وقال أبو إبراهيم إسحاق التجيبي نصيحة رسول الله
صلى الله عليه وسلم التصديق بما جاء به والاعتصام بسنته ونشرها والحض
عليها والدعوة إلى الله وإلى كتابه وإلى رسوله وإليها وإلى العمل بها وقال أحمد
ابن محمد من مفترضات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قال أبو بكر الآجري وغيره والنصح له يقتضي نصحين نصحا في حياته ونصحا
بعد مماته ففي حياته نصح أصحابه له بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة من
عاداه والسمع والطاعة له وبذل النفوس والأموال دونه صلى الله عليه وسلم
كما قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية وقال
وينصرون الله ورسوله الآية وأما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير
والإجلال وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في شريعته ومحبة
آل بيته وأصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه والتحذير
منه والشفقة على أمته والبحث عن تعرف أخلاقه وسيره وآدابه والصبر
على ذلك فعلى ما ذكرناه تكون النصيحة إحدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها
كما قدمناه وحكى الإمام أبو القاسم القشيري أن عمرو بن الليث أحد ملوك
خراسان ومشاهير الثوار المعروف بالصفار رئي في النوم فقيل له ما فعل
الله بك فقال غفر لي فقيل بماذا فقال صعدت ذروة الجبل يوما فأشرفت

على جنودي فأعجبتني كثرتهم فتمنيت أني حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعنته ونصرته فشكر الله ذلك لي وغفر لي **وأما النصح** لأئمة المسلمين وطاعتهم في الحق ومعونتهم فيه وأمرهم به وتذكيرهم إياه على أحسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من أمور المسلمين وترك الخروج عليهم وتضريب الناس وإفساد قلوبهم عليهم **والنصح** لعامة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم ومعونتهم في أمر دينهم ودنياهم بالفعل والقول وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع إليهم

الباب الثالث في تعظيم أمره ووجوب توقيره وبره صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه **وقال** يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله **و**يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الثلاث الآيات **وقال** لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا **فأوجب** تعالى تعزيره وتوقيره وألزم إكرامه وتعظيمه **قال** ابن عباس تعزروه تجلوه **وقال** الأخفش تنصرونه **وقال** الطبري تعينونه وقرئ تعززوه من العز **ونهى** عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الأدب وسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو اختيار ثعلب **قال** سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل أن يقول وإذا قال فاستمعوا له وانصتوا ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء أمر قبل قضائه فيه وأن يفتاتوا بشيء في ذلك من قتال أو غيره من أمر دينهم إلا بأمره ولا يسبقوه به إلى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدي والثوري **ثم** وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال واتقوا الله إن الله سميع عليم **قال** الماوردي اتقوه يعني في التقدم **وقال** السلمي اتقوا الله في إهمال حقه وتضييع

حرمته

حرمته إن الله سميع لقولكم عليم بفعلكم **ثم** نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته وقيل كما ينادي بعضهم بعضا باسمه **قال** أبو محمد مكي أي لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض ولكن عظموه ووقروه ونادوه بأشرف ما يحب أن ينادى به يا رسول الله يا نبي الله **وهذا** كقوله في الآية الأخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على أحد التأويلين **وقال** غيره لا تخاطبوه إلا مستفهمين **ثم** خوفهم الله تعالى بحبط أعمالهم إن هم فعلوا ذلك وحذرهم منه **قيل** نزلت الآية في وفد بني تميم **وقيل** في غيرهم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه يا محمد يا محمد اخرج إلينا فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم بأن أكثرهم لا يعقلون **وقيل** نزلت الآية الأولى في محاورة كانت بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم لاختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت أصواتهما **وقيل** نزلت في ثابت بن قيس بن شماس خطيب النبي صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم وكان في أذنيه صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه الآية أقام في منزله وخشي أن يكون حبط عمله ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله لقد خشيت أن أكون هلكت نهانا الله أن نجهر بالقول وأنا امرؤ جهير الصوت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة **وروي** أن أبا بكر لما نزلت هذه الآية قال والله يا رسول الله لا أكلمك بعدها إلا كأخي السرار وأن عمر كان إذا حدثه حدثه كأخي السرار ما كان يسمع النبي صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه **فأنزل** الله تعالى فيهم إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر

خ بسبقه لي

خ مشفقين

خ واختلاف

خ ويموت

خ صح رسول الله

عظيم وقيل نزلت ان الذين ينادونك من وراء الحجرات في وفد بني تميم نادوا باسمه
وروي صفوان بن عسال بينما النبي صلى الله عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي
بصوت له جهوري ايا محمد ايا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فانك قد
نهيت عن رفع الصوت وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا
قال بعض المفسرين هي لغة كانت في الانصار نهوا عن قولها تعظيما للنبي
صلى الله عليه وسلم وتبجيلا له لان معناها ارعنا نرعك فنهوا عن قولها اذ مقتضاها
كانهم لا يرعونه الا برعايته لهم بل حقه ان يرعى على كل حال صلوات الله عليه
وسلامه وقيل كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم بالرعونة
فنهي المسلمون عن قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظة
وقيل غير هذا فصل في عادة الصحابة في تعظيمه صلى الله عليه وسلم
وتوقيره واجلاله حدثنا القاضي ابو علي الصدفي وابو بحر الاسدي
بسماعي عليهما في اخرين قالوا حدثنا احمد بن عمر حدثنا احمد بن الحسن حدثنا
محمد بن علي حدثنا ابرهيم بن سفين حدثنا مسلم حدثنا ابن مثنى وابو معن الرقاشي
واسحق بن منصور حدثنا الضحاك بن مخلد حدثنا حيوة بن شريح حدثني يزيد
ابن ابي حبيب عن ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاصي فذكر حديثا
طويلا فيه عن عمرو قال وما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا اجل في عيني منه وما كنت اطيق ان املا عيني منه اجلالا له ولو
سئلت ان اصفه ما اطقت لاني لم اكن املا عيني منه وروى الترمذي
عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على اصحابه من المهاجرين
والانصار وهم جلوس فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع احد منهم اليه بصره الا
ابو بكر وعمر فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما

وروى

وروى اسامة بن شريك اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله كانما
على رؤوسهم الطير وفي حديث صفته اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤوسهم
الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام القضية الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وراى من تعظيم اصحابه له ما راى وانه لا يتوضا الا ابتدروا
وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم
فدلكوا بها وجوههم واجسادهم ولا تسقط منه شعرة الا ابتدروها واذا امرهم
بامر ابتدروا امره واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر
تعظيما له قال فلما رجع الى قريش قال يا معشر قريش اني جئت كسرى في ملكه وقيصر
في ملكه واني والله ما رايت ملكا في قوم قط مثل محمد في اصحابه وفي رواية ان
رايت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم محمدا اصحابه وقد رايت قوما لا يسلمونه
ابدا وعن انس لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه واطاف
به اصحابه فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل ومن هذا لما اذنت
قريش لعثمان في الطواف بالبيت حين وجهه النبي صلى الله عليه وسلم اليهم
في القضية ابى وقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفي حديث طلحة ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا
لاعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه ويوقرونه فساله فاعرض
عنه اذ طلع طلحة فقال رسول الله هذا ممن قضى نحبه وفي حديث قيلة
فلما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصاء ارعدت من الفرق
وذلك هيبة له وتعظيما صلى الله عليه وسلم وفي حديث المغيرة كان اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم يقرعون بابه بالاظافير وقال البراء بن عازب لقد
كنت اريد ان اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الامر فاؤخر سنين من

فاذا

هيبته **فصل** واعلم ان حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وتعظيمه وتوقيره لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته وتعظيم أهل بيته وصحابته **قال** أبو ابرهيم التجيبي واجب على كل مؤمن متى ذكره أو ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته وإجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما أدبنا الله به **قال** المؤلف رحمه الله وهذه كانت سيرة سلفنا الصالحين وأئمتنا الماضين رضي الله عنهم حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأشعري وأبو القسم أحمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما أجازونيه قالوا حدثنا أبو العباس أحمد ابن عمر بن دلهاث قال حدثنا أبو الحسن علي بن فهر حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج حدثنا أبو الحسن عبد الله بن المنتاب حدثنا يعقوب بن إسحق بن أبي إسرائيل حدثنا ابن حميد قال ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله عز وجل **أدب** قوما فقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية **ومدح** قوما فقال إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله **وذم** قوما فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية **وإن** حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها أبو جعفر وقال يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام الى الله تعالى يوم القيمة بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله قال الله تعالى ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول الآية **وقال** مالك وقد سئل عن أيوب السختياني ما

السلف الصالح

حدثتكم عن أحد إلا وأيوب أفضل منه قال وحج حجتين فكنت أرمقه فلا أسمع منه غير أنه كان إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى أرحمه فلما رأيت منه ما رأيت وإجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه **وقال** مصعب بن عبد الله كان مالك إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم علي ما ترون لقد كنت أرى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث أبدا إلا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت أرى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا على طهارة ولقد اختلفت إليه زمانا فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال إما مصليا وإما صامتا وإما يقرأ القرآن ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلماء العباد الذين يخشون الله عز وجل ولقد كان عبد الرحمن بن القسم يذكر النبي صلى الله عليه فينظر إلى لونه كأنه نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع ولقد رأيت الزهري وكان من أهنإ الناس وأقربهم فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته ولقد كنت آتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فإذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه **وروي** عن قتادة أنه كان إذا سمع الحديث أخذه العويل والزويل **ولما** كثر على مالك الناس قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي وحرمته حيا وميتا سواء وكان ابن سيرين ربما يضحك فإذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم خشع

وكان عبد الرحمن بن مهدي إذا قرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم
بالسكوت وقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ويتأول أنه يجب له من الإنصات
عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله صلى الله عليه وسلم تسليما **فصل**
في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته
حدثنا الحسين بن محمد الحافظ حدثنا أبو الفضل بن خيرون حدثنا أبو
بكر البرقاني وغيره حدثنا أبو الحسن الدارقطني حدثنا علي بن مبشر حدثنا
أحمد بن سنان القطان حدثنا يزيد بن هارون حدثنا المسعودي عن مسلم البطين
عن عمرو بن ميمون قال اختلفت إلى ابن مسعود سنة فما سمعته يقول
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنه حدث يوما فجرى على لسانه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب حتى رأيت العرق يتحدر عن جبهته
ثم قال هكذا إن شاء الله أو فوق ذا أو ما دون ذا أو ما قرب من ذا وفي رواية
فتربد وجهه وفي رواية وقد تغرغرت عيناه وانتفخت أوداجه وقال
إبراهيم بن عبد الله بن قريم الأنصاري قاضي المدينة مر مالك بن أنس على أبي
حازم وهو يحدث فجازه وقال إني لم أجد موضعا أجلس فيه فكرهت أن آخذ
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا قائم وقال مالك جاء رجل إلى
ابن المسيب فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال له الرجل
وددت أنك لم تتعن فقال إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه
وأنا مضطجع وروي عن محمد بن سيرين أنه قد يكون يضحك فإذا ذكر عنده حديث
النبي صلى الله عليه وسلم خشع وقال أبو مصعب كان مالك بن أنس لا يحدث
بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو على وضوء إجلالا له وحكى ذلك
مالك عن جعفر بن محمد وقال مصعب بن عبد الله كان مالك بن أنس إذا حدث

عن

من حدثنا

خ تتحدر

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث قال مصعب
فسئل عن ذلك فقال إنه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطرف
كان إذا أتى الناس مالكا خرجت إليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون
الحديث أو المسائل فإن قالوا المسائل خرج إليهم وإن قالوا الحديث دخل
مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم ووضع على رأسه
رداءه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر
بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غيره ولم يكن
يجلس على تلك المنصة إلا إذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن أبي
أويس فقيل لمالك في ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا أحدث به إلا على طهارة متمكنا قال وكان يكره أن يحدث
في الطريق أو وهو قائم أو مستعجل وقال أحب أن أفهم حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ضرار بن مرة كانوا يكرهون أن يحدثوا على
غير وضوء ونحوه عن قتادة وكان الأعمش إذا أراد أن يحدث وهو على
غير وضوء تيمم وكان قتادة لا يحدث إلا على طهارة قال عبد الله
ابن المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة
وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس عنه قلت له يا أبا عبد الله لقد رأيت منك
اليوم عجبا قال نعم إنما صبرت إجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك إلى العقيق فسألته عن حديث فانتهرني
وقال لي كنت في عيني أجل من أن تسأل عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحن نمشي وسأله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قائم فأمر

خ كرسي

خ الكرسي

خ فزجرني

جلسه قيل له إنه قاض فقال القاضي أحق من أُدِّب وذُكر أن هشام بن عمار سأل
مالكًا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين سوطًا ثم أشفق فحدثه عشرين حديثًا
فقال هشام وددت لو زادني سياطًا ويزيدني حديثًا قال عبد الله بن
صالح كان مالك والليث لا يكتبان الحديث إلا وهما طاهران وكان قتادة يستحب
أن لا يقرأ أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم إلا على وضوء ولا يحدث إلا على
طهارة وكان الأعمش إذا أراد أن يحدث وهو على غير وضوء تيمم فصل
ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره بر آله وذريته وأمهات المؤمنين أزواجه
كما حض صلى الله عليه وسلم وسلكه السلف الصالح رضي الله عنهم قال الله
تبارك وتعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية وقال تعالى
وأزواجه أمهاتهم أخبرنا الشيخ أبو محمد بن أحمد العدل من كتابه ومن
أصله حدثنا أبو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتني أم القسم ابنة الشيخ أبي بكر الخفاف
حدثنا أبي أخبرنا حاتم بن عقيل حدثنا يحيى هو ابن إسمعيل حدثنا يحيى هو ابن
الحماني أخبرنا وكيع عن أبيه عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدكم الله أهل بيتي ثلاثًا قلنا لزيد
من أهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس وقال صلى الله
عليه وسلم إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا
كيف تخلفوني فيهما وقال صلى الله عليه وسلم معرفة آل محمد براءة من
النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد أمان من العذاب
قال بعض العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله عليه وسلم
وإذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه وعن عمر بن أبي سلمة
لما نزلت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية وذلك في بيت أم سلمة

دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة وحسنًا وحسينًا فجللهم بكساء وعلي خلف
ظهره ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا وعن
سعد بن أبي وقاص لما نزلت آية المباهلة دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليًا وحسنًا
وحسينًا وفاطمة رضي الله عنهم وقال اللهم هؤلاء أهلي وقال النبي صلى الله عليه
وسلم في علي من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقال
فيه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق وقال للعباس والذي نفسي بيده لا يدخل
قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله ومن آذى عمي فقد آذاني وإنما عم الرجل
صنو أبيه وقال للعباس اغد علي يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءته
وقال هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم
فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين وكان يأخذ أسامة بن زيد
والحسن ويقول اللهم إني أحبهما فأحبهما وقال أبو بكر رضي الله عنه ارقبوا
محمدًا في أهل بيته وقال أيضًا والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله
عليه وسلم أحب إلي أن أصل من قرابتي وقال صلى الله عليه وسلم أحب الله
من أحب حسنًا وحسينًا وقال من أحبني وأحب هذين وأشار إلى حسن وحسين
وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من أهان
قريشًا أهانه الله وقال قدموا قريشًا ولا تقدموها وقال صلى الله عليه وسلم
لأم سلمة لا تؤذيني في عائشة وعن عقبة بن الحارث رأيت أبا بكر وجعل الحسن
على عنقه وهو يقول بأبي شبيه بالنبي ليس شبيهًا بعلي وعلي يضحك وروي عن عبد الله
بن حسن بن حسن قال أتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال لي إذا كانت لك
حاجة فأرسل إلي أو اكتب إلي فإني أستحيي من الله أن أراك على بابي وعن الشعبي
صلى زيد بن ثابت على جنازة أمه ثم قربت له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس

فأخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله فقال هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء
فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا **ورأى** ابن
عمر محمد بن أسامة بن زيد فقال ليت هذا عبدي فقيل له هو محمد بن أسامة فطأطأ
ابن عمر رأسه ونقر بيده الأرض وقال لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبه
وقال الأوزاعي دخلت بنت أسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى إليها حتى
جعل يديها بين يديه ويداه في ثيابه ومشى بها حتى أجلسها على مجلسه وجلس بين يديها
وما ترك لها حاجة إلا قضاها **ولما** فرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنه عبد الله
في ثلاثة آلاف ولأسامة بن زيد في ثلاثة آلاف وخمسمائة قال عبد الله لأبيه لم
فضلته فوالله ما سبقني إلى مشهد فقال له لأن زيدا كان أحب إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم من أبيك وأسامة أحب إليه منك فآثرت حب رسول الله صلى الله
عليه وسلم على حبي **وبلغ** معاوية أن كابس بن ربيعة يشبه برسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما دخل عليه من باب الدار قام من سريره وتلقاه وقبل بين عينيه
وأقطعه المرغاب لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم **وروي** أن مالكا
رحمه الله لما ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه دخل عليه
الناس فأفاق فقال أشهدكم أني جعلت ضاربي في حل فسئل بعد ذلك فقال خفت
أن أموت فألقى النبي صلى الله عليه وسلم فأستحيي منه أن يدخل بعض آله
النار بسببي **وقيل** إن المنصور أقاده من جعفر فقال له أعوذ بالله والله ما
ارتفع منها سوط عن جسمي إلا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله صلى الله عليه
وسلم **وقال** أبو بكر بن عياش لو أتاني أبو بكر وعمر وعلي لبدأت بحاجة علي قبلهما
لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأن أخر من السماء إلى الأرض أحب إلي من أن

اقدمه

أقدمه عليهما **وقيل** لابن عباس ماتت فلانة لبعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل له
أتسجد هذه الساعة فقال أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم آية فاسجدوا
وأي آية أعظم من ذهاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم **وكان** أبو بكر وعمر رضي الله
عنهما يزوران أم أيمن مولاة النبي صلى الله عليه وسلم ويقولان كان النبي صلى الله
عليه وسلم يزورها **ولما** وردت حليمة السعدية على النبي صلى الله عليه وسلم بسط
لها رداءه وقضى حاجتها فلما توفي صلى الله عليه وسلم وفدت على أبي بكر وعمر فصنعا
بها مثل ذلك **فصل** ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره توقير أصحابه وبرهم
ومعرفة حقهم والاقتداء بهم وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم والإمساك
عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم والإضراب عن أخبار المؤرخين وجهلة
الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في أحد منهم وأن يلتمس لهم
فيما نقل من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن أحسن التأويلات ويخرج لهم أصوب
المخارج إذ هم أهل ذلك ولا يذكر أحد منهم بسوء ولا يغمص عليه أمر
بل يذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرهم ويسكت عما وراء ذلك **كما قال**
صلى الله عليه وسلم إذا ذكر أصحابي فأمسكوا قال الله تعالى محمد رسول الله
والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم إلى آخر السورة **وقال** والسابقون
الأولون من المهاجرين والأنصار الآية **وقال** لقد رضي الله عن المؤمنين
إذ يبايعونك تحت الشجرة **وقال** رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
الآية حدثنا القاضي أبو علي حدثنا أبو الحسين وأبو الفضل حدثنا أبو يعلى
حدثنا أبو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا الترمذي حدثنا الحسن بن الصباح
حدثنا سفيان بن عيينة عن زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر وقال

أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم مثل أصحابي كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام إلا به وقال صلى الله عليه وسلم
الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم
فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله
يوشك أن يأخذه وقال لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد
أحدهم ولا نصيفه وقال لا تسبوا أصحابي من سب أصحابي فعليه لعنة الله
والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً وقال إذا ذكر أصحابي
فأمسكوا وقال في حديث جابر إن الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى
النبيين واختار لي منهم أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً فجعلهم خير
أصحابي وفي أصحابي كلهم خير وقال من أحب عمر فقد أحبني ومن أبغض عمر
فقد أبغضني وقال مالك بن أنس وغيره من أبغض الصحابة وسبهم فليس له في
المسلمين حق ونزع بآية الحشر والذين جاءوا من بعدهم الآية وقال من غاظ أصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار وقال عبد الله
ابن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب أصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم وقال أيوب السختياني من أحب أبا بكر فقد أقام الدين ومن أحب عمر
فقد أوضح السبيل ومن أحب عثمان فقد استضاء بنور الله تعالى ومن أحب علياً فقد
أخذ بالعروة الوثقى ومن أحسن الثناء على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد
بريء من النفاق ومن انتقص أحداً منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح
وأخاف أن لا يصعد له عمل إلى السماء حتى يحبهم جميعاً ويكون قلبه سليماً وفي حديث
خالد بن سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس إني راض عن أبي بكر فاعرفوا
له ذلك أيها الناس إني راض عن عمر وعن علي وعن عثمان وطلحة والزبير وسعد

وسعيد

وسعيد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم ذلك أيها الناس إن الله غفر لأهل
بدر والحديبية أيها الناس احفظوني في أصحابي وأصهاري وأختاني لا يطالبنكم
أحد منهم بمظلمة فإنها مظلمة لا توهب في القيامة غداً وقال رجل للمعافى بن عمران
أين عمر بن عبد العزيز من معاوية فغضب وقال لا يقاس بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد
معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحي الله وأتي النبي صلى الله عليه وسلم
بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال كان يبغض عثمان فأبغضه الله وقال صلى الله
عليه وسلم في الأنصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم وقال احفظوني
في أصحابي وأصهاري فإنه من حفظني في أصحابي حفظه الله في الدنيا والآخرة
ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه ومن تخلى الله منه يوشك أن يأخذه وعنه صلى
الله عليه وسلم من حفظني في أصحابي كنت له حافظاً يوم القيامة وقال من حفظني
في أصحابي ورد علي الحوض ومن لم يحفظني في أصحابي لم يرد علي الحوض ولم
يرني إلا من بعيد قال مالك رحمه الله هذا النبي صلى الله عليه وسلم مؤدب الخلق
الذي هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل إلى البقيع فيدعو
لهم ويستغفر كالمودع لهم وبذلك أمره الله تعالى وأمر النبي صلى الله عليه وسلم
بحبهم وموالاتهم ومعاداة من عاداهم وروي عن كعب ليس أحد من أصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم إلا له شفاعة يوم القيامة وطلب من المغيرة بن نوفل أن
يشفع له يوم القيامة قال سهل التستري لم يؤمن بالرسول عليه الصلاة والسلام
من لم يوقر أصحابه ولم يعز أوامره فصل ومن إعظامه صلى الله عليه وسلم
وإكباره إعظام جميع أسبابه وإكرام مشاهده وأمكنته من مكة والمدينة ومعاهده
وما لمسه عليه الصلاة والسلام أو عرف به وروي عن صفية بنت نجدة
قالت كان لأبي محذورة قصة في مقدم رأسه إذا قعد وأرسلها أصابت الأرض

قيل له ألا تخلعها فقال لم أكن بالذي أخلعها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيده وكانت في قلنسوة خالد شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم فسقطت
قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة أنكر عليه أصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم كثرة من قتل فيها فقال لم أفعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعره
صلى الله عليه وسلم لئلا أسلب بركتها وتقع في أيدي المشركين ورُؤي ابن عمر
واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه
ولهذا كان مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول أستحيي أن
أطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة ورُوي أنه وهب
للشافعي كراعا كثيرا كان عنده فقال له الشافعي أمسك منها دابة فأجابه
بمثل هذا الجواب وقد حكى أبو عبد الرحمن السلمي عن أحمد بن فضلويه الزاهد
وكان من الغزاة الرماة أنه قال ما مسست القوس بيدي وقد أفتى مالك فيمن قال
إن تربة المدينة ردية يضرب ثلاثين درة وأمر بحبسه وكان له قدر وقال ما
أحوجه إلى ضرب عنقه تربة دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم أنها
غير طيبة وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم من أحدث فيها حدثا أو آوى
محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل
وحكي أن جهجاها الغفاري أخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من يد
عثمان رضي الله عنه وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فأخذته الأكلة
في ركبته فقطعها ومات قبل الحول وقال صلى الله عليه وسلم
من حلف على منبري كاذبا فليتبوأ مقعده من النار وحدثت
أن أبا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائرا وقرب
من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا ولما رأينا رسم من لم

بن الوليد صح

من الله صح

إلا على طهارة منذ بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ القوس صح

قال في المدينة صح

الله صرفا ولا عدلا

يدع لنا فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا ۞ نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة لمن
بان عنه أن نلم به ركبا ۞ وحكي عن بعض المريدين أنه لما أشرف على مدينة
الرسول صلى الله عليه وسلم أنشأ يقول متمثلا رفع الحجاب
لنا فلاح لناظر قمر تقطع دونه الأوهام ۞ وإذا المطي بنا بلغن محمدا
فظهورهن على الرجال حرام ۞ قربننا من خير من وطئ الثرى فلها
علينا حرمة وذمام ۞ ورُوي عن بعض المشايخ أنه حج ماشيا فقيل له في ذلك
فقال العبد الآبق يأتي إلى بيت مولاه راكبا لو قدرت أن أمشي على رأسي ما
مشيت على قدمي قال المؤلف رحمه الله وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل
وتردد بها جبريل وميكائيل وعرجت منها الملائكة والروح وضجت عرصاتها
بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها من
دين الله وسنة رسوله ما انتشر مدارس آيات ومساجد وصلوات ومشاهد
الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك الدين ومشاعر
المسلمين ومواقف سيد المرسلين ومتبوأ خاتم النبيين حيث انفجرت
النبوة وأين فاض عبابها ومواطن الرسالة وأول أرض مس جلد المصطفى
ترابها أن تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها وجدرانها

يا دار خير المرسلين ومن به هدي الأنام وخص بالآيات ۞
عندي لأجلك لوعة وصبابة وتشوق متوقد الجمرات ۞
وعلي عهد إن ملأت محاجري من تلكم الجدران والعرصات ۞
لأعفرن مصون شيبي بينها من كثرة التقبيل والرشفات ۞
لولا العوادي والأعادي زرتها أبدا ولو سحبا على الوجنات ۞
لكن سأهدي من حفيل تحيتي لقطين تلك الدار والحجرات ۞

أذكى من المسك المفتوق نفحة تغشاه بالأصال والبكرات
وتخصه بزواكي الصلوات وبوامي التسليم والبركات

الباب الرابع في حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته

قال الله تعالى إن الله وملئكته يصلون على النبي الآية قال ابن عباس معناه إن الله وملئكته يباركون على النبي وقيل إن الله يترحم على النبي وملئكته يدعون له قال المبرد واصل الصلوة الترحم فهي من الله رحمة ومن الملئكة رقة واستدعا للرحمة من الله تعالى وقد روي في الحديث صفة صلاة الملئكة على من جلس ينتظر الصلوة اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعا وقال بكر القشيري الصلوة من الله تعالى لمن دون النبي رحمة وللنبي صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة وقال أبو العالية صلاة الله ثناؤه عليه عند الملئكة وصلاة الملئكة الدعا قال المؤلف رحمه الله وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث تعليم الصلوة عليه بين لفظ الصلوة ولفظ البركة فدل انهما بمعنيين واما التسليم الذي امر الله تعالى به عباده فقال القاضي أبو بكر بن بكير نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم فأمر الله أصحابه ان يسلموا عليه وكذلك من بعدهم امروا ان يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره وفي معنى السلام عليه ثلثة وجوه احدها السلامة لك ومعك ويكون السلامة مصدرا كاللذاذ واللذاذة الثاني أي السلام على حفظك ورعايتك متول له وكفيل به ويكون السلام هنا اسم الله تعالى الثالث ان السلام بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما

فصل اعلم ان الصلوة

على

على النبي صلى الله عليه وسلم فرض على الجملة غير محدد بوقت لأمر الله تعالى بالصلوة عليه وحمل الأئمة والعلماء له على الوجوب وأجمعوا عليه وحكى أبو جعفر الطبري ان محمل الآية عنده على الندب وادعى فيه الاجماع ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه الذي يسقط به الحرج ومأثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الإسلام وشعار أهله قال القاضي أبو الحسن بن القصار المشهور عن أصحابنا ان ذلك واجب في الجملة على الإنسان وفرض عليه ان يأتي بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك وقال القاضي أبو بكر بن بكير افترض الله تعالى على خلقه ان يصلوا عليه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها ولا يغفل عنها قال القاضي أبو محمد بن نصر الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة قال القاضي أبو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك وأصحابه وغيرهم من أهل العلم ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الإيمان لا يتعين في الصلوة وان من صلى عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه وقال أصحاب الشافعي الفرض منها الذي امر الله تعالى به ورسوله عليه الصلوة والسلام هو في الصلوة وقالوا واما في غيرها فلا خلاف انها غير واجبة واما في الصلوة فحكى الإمامان أبو جعفر الطبري والطحاوي وغيرهما إجماع جميع المتقدمين والمتأخرين من علماء الأمة على ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجبة وشذ الشافعي في ذلك فقال من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد الاخر وقبل السلام فصلاته فاسدة وان صلى عليه قبل ذلك لم تجزه ولا سلف له في

هذا القول ولا سنة يتبعها وقد بالغ في إنكار هذه المسألة عليه لمخالفته من تقدمه
جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم الطبري والقشيري وغير واحد ⊙
وقال أبو بكر بن المنذر يستحب أن لا يصلي أحد صلاة إلا صلى فيها على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فإن ترك ذلك تارك فصلاته مجزئة في مذهب مالك
وأهل المدينة وسفيان الثوري وأهل الكوفة من أصحاب الرأي وغيرهم وهو
قول جل أهل العلم **وحكي** عن مالك وسفيان أنها في التشهد الأخير مستحبة وأن
تاركها في التشهد مسيء وشذ الشافعي فأوجب على تاركها في الصلاة الإعادة وأوجب
إسحاق الإعادة مع تعمد تركها دون النسيان **وحكى** أبو محمد بن أبي زيد عن
محمد بن المواز أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فريضة قال أبو محمد يريد
ليست من فرائض الصلاة وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره **وحكى** ابن القصار
وعبد الوهاب أن محمد بن المواز يراها فريضة في الصلاة كقول الشافعي وقد
خالف الخطابي وغيره من أصحاب الشافعي الشافعي في هذه المسألة قال الخطابي
وليست بواجبة في الصلاة وهو قول جماعة الفقهاء إلا الشافعي ولا أعلم
له فيها قدوة والدليل على أنها ليست من فروض الصلاة عمل السلف الصالح
قبل الشافعي وإجماعهم عليه وقد شنع الناس عليه هذه المسألة جدا وهذا
تشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه له النبي صلى الله عليه
وسلم ليس فيه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من روى التشهد عن
النبي صلى الله عليه وسلم كأبي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وأبي سعيد
الخدري وأبي موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير لم يذكروا فيه صلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال ابن عباس وجابر كان النبي صلى الله عليه وسلم
يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن ونحوه عن أبي سعيد وقال ابن
عمر

عمر كان أبو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان في الكتاب وعلمه
أيضا على المنبر عمر بن الخطاب **وفي الحديث** لا صلاة لمن لم يصل علي قال ابن
القصار معناه كاملة أو لمن لم يصل علي مرة في عمره وضعف أهل الحديث
كلهم رواية هذا الحديث **وفي** حديث أبي جعفر عن أبي مسعود عن النبي
صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى أهل بيتي لم تقبل منه **قال
الدارقطني** الصواب أنه من قول أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلاة
لم أصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على أهل بيته لرأيت أنها لا تتم **فصل**
في المواطن التي يستحب فيها الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ويرغب
من ذلك في تشهد الصلاة كما قدمنا وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء حدثنا القاضي
أبو علي رحمه الله بقراءتي عليه قال حدثنا الإمام أبو القاسم البلخي حدثنا
الفارسي عن أبي القاسم الخزاعي عن أبي سعيد الهيثم بن كليب عن أبي عيسى الحافظ
قال أخبرنا محمود بن غيلان حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا حيوة بن
شريح حدثني أبو هانئ الخولاني أن عمرو بن مالك الجنبي أخبره أنه سمع
فضالة بن عبيد يقول سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته
فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا
ثم دعاه فقال له ولغيره إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل
على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شاء **وروي** من غير هذا السند بتمجيد
الله وهو أصح **وعن** عمر بن الخطاب قال الدعاء والصلاة معلق بين السماء والأرض
ولا يصعد إلى الله منه شيء حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم **وعن** علي عن
النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وعن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال
وعلى آل محمد **وروي** أن الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله عليه

وسلم وعن ابن مسعود إذا أراد أحدكم أن يسأل الله شيئا فليبدأ بمدحه والثناء عليه بما هو أهله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليسأل فإنه أجدر أن ينجح وعن جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب فإن الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فإن احتاج إلى شراب شربه أو الوضوء توضأ وإلا أهراقه ولكن اجعلوني في أول الدعاء وأوسطه وآخره وقال ابن عطاء للدعاء أركان وأجنحة وأسباب وأوقات فإن وافق أركانه قوي وإن وافق أجنحته طار في السماء وإن وافق مواقيته فاز وإن وافق أسبابه أنجح فأركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه من الأسباب وأجنحته الصدق ومواقيته الأسحار وأسبابه الصلوة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وفي الحديث الدعاء بين الصلاتين لا يرد وفي حديث آخر كل دعاء محجوب دون السماء فإذا جاءت الصلوة على صعد الدعاء وفي دعاء ابن عباس الذي رواه عنه حنش فقال في آخره واستجب دعائي ثم تبدأ بالصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم أن تصلي على محمد عبدك ونبيك ورسولك أفضل ما صليت على أحد من خلقك أجمعين ومن مواطن الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم تسليما عند ذكره وسماع اسمه أو كتابه أو عند الأذان وقد قال صلى الله عليه وسلم رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وكره ابن حبيب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح وكره سحنون الصلوة عليه عند التعجب وقال لا يصلى عليه إلا على طريق الاحتساب وطلب الثواب قال أصبغ عن ابن القسم موطنان لا يذكر فيهما إلا الله الذبيحة والعطاس فلا يقل فيهما بعد ذكر الله صلى الله على محمد لو كان تسمية له مع الله وقاله أشهب قال ولا ينبغي أن تجعل الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه استنانا وروى

النسائي عن أوس بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم الأمر بالإكثار من الصلوة عليه يوم الجمعة ومن مواطن الصلوة والسلام عليه دخول المسجد قال أبو إسحق بن شعبان وينبغي لمن دخل المسجد أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويترحم عليه وعلى آله ويبارك عليه وعلى آله ويسلم عليه تسليما ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج فعل مثل ذلك وجعل موضع رحمتك فضلك وقال عمرو بن دينار في قوله تعالى فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال إن لم يكن في البيت أحد فقل السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته قال ابن عباس المراد بالبيوت هنا المساجد وقال النخعي إذا لم يكن في المسجد أحد فقل السلام على رسول الله وإذا لم يكن في البيت أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعن علقمة إذا دخلت المسجد أقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته على محمد ونحوه عن كعب إذا دخل المسجد وإذا خرج ولم يذكر الصلوة واحتج ابن شعبان لما ذكر بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله إذا دخل المسجد ومثله عن أبي بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث آخر القسم والاختلاف في ألفاظه ومن مواطن الصلاة عليه أيضا صلى الله عليه وسلم الصلاة على الجنائز وقد ذكر عن أبي أمامة أنها من السنة ومن مواطن الصلاة التي مضى عليها عمل الأمة ولم تنكرها الصلوة على النبي وآله صلى الله عليه وسلم وعليهم في الرسائل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر الأول وأحدث عند ولاية بني هاشم فمضى به عمل الناس في أقطار الأرض ومنهم من يختم به أيضا الكتب وقال صلى الله

عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر الله له ما دام اسمي في
ذلك الكتاب **ومن** مواطن السلام على النبي صلى الله عليه وسلم تشهد الصلاة حدثنا
أبو القاسم خلف بن إبراهيم المقرئ الخطيب رحمه الله وغيره قال حدثنا كريمة بنت
محمد قال حدثنا أبو الهيثم حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل أخبرنا أبو
نعيم حدثنا الأعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال إذا صلى أحدكم فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات السلام
عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإنكم
إذا قلتموها أصابت كل عبد صالح في السماء والأرض هذا أحد مواطن التسليم
عليه وسنته أول التشهد **وقد** روى مالك عن ابن عمر أنه كان يقول ذلك إذا
فرغ من تشهده وأراد أن يسلم واستحب مالك في المبسوط أن يسلم بمثل ذلك
قبل السلام **قال** محمد بن مسلمة أراد ما جاء عن عائشة وابن عمر أنهما كانا
يقولان عند سلامهما السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم **واستحب** أهل العلم أن ينوي الإنسان
حين سلامه على كل عبد صالح في السماء والأرض من الملائكة وبني آدم والجن **قال**
مالك في المجموعة وأحب للمأموم إذا سلم إمامه أن يقول السلام على النبي ورحمة
الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم **فصل** في كيفية
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والتسليم حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر
الفقيه بقراءتي عليه حدثنا أبو الأصبغ عيسى بن سهل حدثنا أبو عبد الله بن
عتاب حدثنا أبو بكر بن واقد وغيره حدثنا أبو عيسى حدثنا عبيد الله أخبرنا يحيى
حدثنا مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن أبيه عن عمرو بن سليم الزرقي أنه
قال أخبرني أبو حميد الساعدي أنهم قالوا يا رسول الله فقال قولوا اللهم صل على

محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته
كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد **وفي** رواية مالك عن أبي مسعود الأنصاري
قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد كما
باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما علمتم **وفي** رواية
كعب بن عجرة اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد
وآل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد **وعن** عقبة بن عمرو في حديثه
اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد **وفي** رواية أبي سعيد الخدري اللهم
اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وذكر نحوه وحدثنا القاضي أبو
عبد الله التميمي سماعا عليه وأبو علي الحسن بن طريف النحوي بقراءتي عليه
قالا حدثنا أبو عبد الله بن سعدون الفقيه قال حدثنا أبو بكر المطوعي قال
حدثنا أبو عبد الله الحاكم عن أبي بكر بن أبي دارم الحافظ عن علي بن أحمد
العجلي عن حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي بن
الحسين عن أبيه علي عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب قال عدهن في يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عدهن في يدي جبريل وقال هكذا
نزلت من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم
وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على
إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما
ترحمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى آل
محمد كما سلمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد **وعن** أبي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل
البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل

بنيه كما صليت على ابرهيم إنك حميد مجيد وفي رواية زيد بن خارجة الأنصاري
سألت النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا علي واجتهدوا
في الدعاء ثم قولوا اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم إنك
حميد مجيد وعن سلامة الكندي كان علي يعلمنا الصلوات على النبي صلى الله
عليه وسلم اللهم داحي المدحوات وباري المسموكات اجعل شرائف
صلواتك ونوامي بركاتك ورأفة تحيتك على محمد عبدك ورسولك الفاتح
لما أغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ لجيشات الأباطيل
كما حمل فاضطلع بأمرك بطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا
لعهدك ماضيا على نفاذ أمرك حتى أورى قبسا لقابس آلاء الله تصل بأهله
أسبابه به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والإثم وأنهج موضحات الأعلام
ونائرات الأحكام ومنيرات الإسلام فهو أمينك المأمون وخازن علمك
المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة
اللهم افسح له في عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنآت له
غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم
أعل على بناء الناس بناءه وأكرم مثواه لديك ونزله وأتمم له نوره
واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة له ومرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة
فصل وبرهان عظيم وعنه أيضا في الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم إن الله
وملائكته يصلون على النبي الآية لبيك اللهم ربي وسعديك صلوات الله البر الرحيم
والملائكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وما سبح لك
من شيء يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وامام المتقين
ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي إليك بإذنك السراج المنير وعن

عبد الله بن مسعود اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين
وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير ورسول الرحمة
اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه به الأولون والآخرون اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد
كما باركت على ابرهيم وعلى آل إبرهيم إنك حميد مجيد وكان الحسن البصري يقول
من أراد أن يشرب بالكأس الأوفى من حوض المصطفى فليقل اللهم صل على محمد وعلى
آله وأصحابه وأولاده وأزواجه وذريته وأهل بيته وأصهاره وأنصاره
وأشياعه ومحبيه وأمته وعلينا معهم أجمعين يا أرحم الراحمين وعن طاوس
عن ابن عباس أنه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا
وآته سؤله في الآخرة والأولى كما آتيت ابرهيم وموسى وعن وهب بن الورد
أنه كان يقول في دعائه اللهم أعط محمدا أفضل ما سألك لنفسه وأعط محمدا
أفضل ما سألك له أحد من خلقك وأعط محمدا أفضل ما أنت مسؤول له إلى يوم
القيمة وعن ابن مسعود أنه كان يقول إذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم
فأحسنوا الصلاة عليه فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم
اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين
محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه
مقاما محمودا يغبطه به الأولون والآخرون اللهم صل على محمد وعلى آل
محمد كما صليت على آل ابرهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد
كما باركت على آل ابرهيم إنك حميد مجيد وما يؤثر في تطويل الصلوة وتكثير الثناء
عن آل البيت وغيرهم كثير وقوله والسلام كما قد علمتم هو ما علمهم في التشهد
من قوله عليه الصلوة والسلام السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام

علينا وعلى عباد الله الصالحين وفي تشهد علي رضي الله عنه السلام على نبي الله السلام
السلام على انبياء الله ورسله السلام على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله
السلام علينا وعلى المومنين والمومنات من غاب منهم ومن شهد اللهم اغفر
لمحمد وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لي ولوالدي وما ولدا وارحمهما
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
جا في هذا الحديث عن علي رضي الله عنه الدعا للنبي صلى الله عليه وسلم بالغفران
وفي حديث الصلوة عليه ايضا فيه الدعا له بالرحمة ولم يات في غيره من الاحاد
المرفوعة المعروفة وقد ذهب ابو عمر بن عبد البر وغيره الى انه لا يدعى
للنبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة وانما يدعى له بالصلوة والبركة التي تختص به
ويدعى لغيره بالمغفرة بالرحمة وقد ذكر ابو محمد بن ابي زيد في الصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم محمدا وال محمد كما رحمت على ابرهيم وال
ابرهيم ولم يات هذا في حديث صحيح وحجته قوله في السلام السلام عليك ايها
النبي ورحمة الله وبركاته **فصل** في فضيلة الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم والتسليم عليه والدعا له حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه
حدثنا القاضي يونس بن مغيث حدثنا ابو بكر بن معوية حدثنا النسائي حدثنا
سويد بن نصر اخبرنا عبد الله عن حيوة بن شريح قال اخبرني كعب بن علقمة انه سمع
عبد الرحمن بن جبير مولى نافع انه سمع عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا علي
فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة في
الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجوا ان اكون انا هو فمن سال لي الوسيلة
حلت عليه شفاعتي وروى انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى
له

على صلاة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيات ورفع له عشر
درجات وفي رواية وكتب له عشر حسنات وعن انس عنه صلى الله عليه وسلم
ان جبريل ناداني فقال من صلى عليك صلاة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر
درجات ومن رواية عبد الرحمن بن عوف عنه صلى الله عليه وسلم لقيت
جبريل فقال اني ابشرك ان الله يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك
صليت عليه ونحوه من رواية ابي هريرة ومالك بن اوس بن الحدثان وعبد الله
ابن ابي طلحة وعن زيد بن الحباب سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
من قال اللهم صل على محمد وانزله المنزل المقرب عندك يوم القيمة وجبت له
وعن ابن مسعود اولى الناس بي يوم القيامة اكثرهم علي صلاة وعن ابي
هريرة عنه صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملئكة تستغفر
له ما دام اسمي في ذلك الكتاب وعن عامر بن ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقول من صلى علي صلاة صلت عليه الملئكة ما صلى علي فليقلل من
ذلك او ليكثر وعن ابي بن كعب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب
ربع الليل قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله جات الراجفة تتبعها الرادفة
جا الموت بما فيه فقال ابي بن كعب يا رسول الله اني اكثر من الصلاة عليك فكم
اجعل لك من صلاتي قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قال الربع قال
ما شئت وان زدت فهو خير قال الثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير
قال يا رسول الله فاجعل صلاتي كلها لك قال اذا تكفى ويغفر ذنبك وعن ابي
طلحة دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فرايت من بشره وطلاقته ما لم ارا
قط فسالته فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل انفا فاتاني ببشارة من ربي
ان الله تعالى بعثني اليك ابشرك انه ليس احد من امتك يصلي عليك الا صلى الله

عليه وملائكته بها عشرًا وعن جابر بن عبد الله قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة آت محمدًا
الوسيلة والدرجة الرفيعة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته
حلت له الشفاعة يوم القيمة وعن سعد بن أبي وقاص من قال حين يسمع المؤذن
وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله رضيت
بالله ربًا وبمحمد رسولًا وبالإسلام دينًا غفر له وروي ابن وهب أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال من سلم علي عشرًا فكأنما أعتق رقبة وفي بعض الآثار ليردن
علي أقوام ما أعرفهم إلا بكثرة صلاتهم علي وفي آخر إن أنجاكم يوم القيمة
من أهوالها ومواطنها أكثركم علي صلاة وعن أبي بكر رضي الله عنه الصلوة
على النبي صلى الله عليه وسلم أمحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه
أفضل من عتق الرقاب فصل في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم
وإثمه حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله حدثنا أبو الفضل بن خيرون
وأبو الحسين الصيرفي قالا حدثنا أبو يعلى حدثنا السنجي أخبرنا محمد بن محبوب
حدثنا أبو عيسى حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا ربعي بن إبراهيم
عن عبد الرحمن بن إسحق عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم
أنف رجل دخل رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له ورغم أنف رجل أدرك
أبواه عنده الكبر فلم يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن وأظنه قال أو أحدهما
وفي حديث آخر أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال آمين
ثم صعد فقال آمين ثم صعد فقال آمين فسأله معاذ عن ذلك فقال إن جبريل
عليه السلام أتاني فقال يا محمد من سميت بين يديه فلم يصل عليك فمات فدخل

النار

النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين وقال فيمن أدرك رمضان فلم يقبل منه فمات
مثل ذلك ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات مثله وعن علي بن أبي طالب
عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي وعن
جعفر بن محمد عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده
فلم يصل علي أخطئ به طريق الجنة وعن علي بن أبي طالب عنه صلى الله عليه
وسلم أنه قال إن البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي وعن أبي هريرة
قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم أيما قوم جلسوا مجلسهم ثم تفرقوا قبل أن
يذكروا اسم الله ويصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة إن
شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم وعن أبي هريرة من نسي الصلوة علي نسي طريق
الجنة وعن قتادة عنه صلى الله عليه وسلم من الجفاء أن أذكر عند الرجل فلا
يصلي علي وعن جابر عنه صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم مجلسًا ثم تفرقوا
عنه على غير صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إلا تفرقوا على أنتن من ريح الجيفة
وعن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلس قوم مجلسًا لا يصلون
فيه على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم حسرة وإن دخلوا الجنة لما يرون
من الثواب حكى أبو عيسى الترمذي عن بعض أهل العلم قال إذا صلى
الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس أجزأ عنه ما كان في ذلك
المجلس فصل في تخصيصه عليه الصلوة والسلام بتبليغ صلاة من صلى
عليه أو سلم من الأنام حدثنا القاضي أبو عبد الله التميمي حدثنا الحسين بن محمد
حدثنا أبو عمر الحافظ حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابن داسة حدثنا أبو داود
حدثنا ابن عوف حدثنا المقرئ حدثنا حيوة عن أبي صخر حميد بن زياد
عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام وذكر أبو بكر بن
أبي شيبة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي عند
قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته وعن ابن مسعود أن لله ملائكة سياحين
في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام ونحوه عن أبي هريرة وعن ابن عمر أكثروا من
السلام على نبيكم كل جمعة فإنه يؤتى به منكم في كل جمعة وفي رواية فإن أحدا
لا يصلي علي إلا عرضت صلاته علي حين يفرغ منها وعن الحسن عنه صلى الله
عليه وسلم حيث ما كنتم فصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني وعن ابن عباس ليس
أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يسلم عليه ويصلي عليه إلا بلغه وذكر
بعضهم أن العبد إذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه اسمه وعن
الحسن بن علي إذا دخلت المسجد فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فإن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا
علي حيث كنتم فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم وفي حديث أوس أكثروا علي من
الصلاة يوم الجمعة فإن صلاتكم معروضة علي وعن سليمان بن سحيم رأيت
النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون
عليك أتفقه سلامهم قال نعم وأرد عليهم وعن ابن شهاب بلغنا أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال أكثروا علي من الصلاة في الليلة الزهراء فإنهما
يؤديان عنكم وإن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء وما من مسلم يصلي علي إلا حملها
ملك حتى يؤديها إلي ويسميه حتى إنه ليقول إن فلانا يقول كذا وكذا

فصل

في الاختلاف في الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم
السلام قال المؤلف رحمه الله عامة أهل العلم متفقون على جواز الصلاة
على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي عنه لا تنبغي الصلاة على أحد إلا

التبيين

النبيين وقال سفيان يكره أن يصلى إلا على نبي ووجدت بخط بعض شيوخي
مذهب مالك أنه لا يجوز أن يصلى على أحد من الأنبياء سوى محمد عليه الصلاة
والسلام وهذا غير معروف من مذهبه وقد قال مالك في المبسوط ليحيى
ابن إسحاق أكره الصلاة على غير الأنبياء وما ينبغي لنا أن نتعدى ما أمرنا به
قال يحيى بن يحيى لست آخذ بقوله ولا بأس بالصلاة على الأنبياء كلهم وعلى
غيرهم واحتج بحديث ابن عمر وبما جاء في حديث تعليم النبي عليه الصلاة
والسلام عليه وفيه وعلى أزواجه وعلى آله وقد وجدت معلقا عن أبي
عمران الفاسي روي عن ابن عباس كراهة الصلاة على غير النبي صلى الله عليه قال
وبه نقول ولم يكن يستعمل فيما مضى وقد روى عبد الرزاق عن أبي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على أنبياء الله ورسله فإن الله
بعثهم كما بعثني والأسانيد عن ابن عباس لينة والصلاة في لسان العرب بمعنى
الترحم والدعاء وذلك على الإطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح أو إجماع
وقد قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته الآية وقال خذ من أموالهم
صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم الآية وقال أولئك عليهم
صلوات من ربهم ورحمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم صل على
آل أبي أوفى وكان إذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان
اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته وفي آخر وعلى آل محمد قيل
أتباعه وقيل أمته وقيل آل بيته وقيل الأتباع والرهط والعشيرة وقيل
آل الرجل ولده وقيل قومه وقيل أهله الذين حرمت عليهم الصدقة وفي
رواية أنس سئل النبي صلى الله عليه وسلم من آل محمد قال كل تقي ويجيء
على مذهب الحسن أن المراد بآل محمد محمد نفسه فإنه كان يقول في صلاته

على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل احمد يريد
نفسه لانه كان لا يخل بالفرض ويأتي بالنفل لأن الفرض الذي امر الله به هو
الصلوة على محمد نفسه **وهذا** مثل قوله صلى الله عليه وسلم لقد أوتي مزمارا
من مزامير آل داود يريد من مزامير داود **وفي** حديث ابي حميد الساعدي
في الصلوة اللهم صل على محمد وازواجه وذريته **وفي** حديث ابن عمر انه كان
يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر ذكره مالك في الموطأ
من رواية يحيى بن يحيى لانه لبس والصحيح من رواية غيره ويدعو لأبي
بكر وعمر **وروى** ابن وهب عن انس بن مالك قال كنا ندعو لأصحابنا بالغيب
فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل
ويصومون بالنهار **قال** المؤلف رحمه الله والذي ذهب اليه المحققون
وأميل اليه ما قاله مالك وسفين رحمهما الله وروي عن ابن عباس واختاره
غير واحد من الفقهاء والمتكلمين انه لا يصلى على غير الانبياء عند ذكرهم
بل هو شيء يختص به الانبياء توقيرا لهم وتعزيزا كما يختص الله تعالى عند
ذكره بالتقديس والتنزيه والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره كذلك يجب
تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء بالصلوة والتسليم ولا
يشارك لهم فيه سواهم كما امر الله تعالى به لقوله صلوا عليه وسلموا تسليما
ويذكر من سواهم من الائمة وغيرهم بالغفران والرضى كما قال تعالى يقولون
ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان **وقال** والذين اتبعوهم باحسان
رضي الله عنهم ورضوا عنه **وايضا** فهو امر لم يكن معروفا في الصدر الأول
كما قال ابو عمران وانما احدثته الرافضة والمتشيعة في بعض الائمة فشاركوهم
عند الذكر لهم بالصلوة وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك **ايضا**

فإن

فإن التشبه بأهل البدع منهي عنه فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك
وذكر الصلوة على الآل والازواج مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم التبع
والاضافة اليه لا على التخصيص **وصلاة** النبي صلى الله عليه وسلم على من صلى
عليه مجراها مجرى الدعاء والرحمة ليس فيها معنى التعظيم والتوقير قالوا
وقد قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فكذلك
يجب ان يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض وهذا اختيار الامام
ابي المظفر الاسفرايني من شيوخنا وبه قال ابو عمر بن عبد البر **فصل**
في حكم زيارة قبره عليه الصلوة والسلام وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف
يسلم ويدعو **وزيارة** قبره عليه الصلوة والسلام سنة من سنن المسلمين
مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها **روي** عن ابن عمر قال النبي صلى الله
عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي **وعن** انس بن مالك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني في المدينة محتسبا كان في
جواري وكنت له شفيعا يوم القيمة **وفي** حديث آخر من زارني بعد
موتي فكأنما زارني في حياتي **وكره** مالك ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه
وسلم **وقد** اختلف في معنى ذلك فقيل كراهة الاسم لما ورد من قوله صلى الله
عليه وسلم لعن الله زوارات القبور وهذا يرده قوله نهيتكم عن زيارة
القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا **وقوله** عليه الصلوة والسلام من زار
قبري فقد اطلق اسم الزيارة وقيل لأن ذلك لما قيل ان الزائر افضل
من المزور وهذا ايضا ليس بشيء اذ ليس كل زائر بهذه الصفة وليس عموما
وقد ورد في حديث اهل الجنة زيارتهم لربهم جل وعز ولم يمنع هذا
اللفظ في حقه تعالى **قال** ابو عمر انما كره ان يقال طواف الزيارة وزرنا

قبر النبي صلى الله عليه وسلم لاستعمال الناس ذلك بينهم بعضهم لبعض ولكن تسوية
النبي صلى الله عليه وسلم مع الناس بهذا اللفظ وأن يخص بأن يقال سلمنا على
النبي صلى الله عليه وسلم وأيضا فإن الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد المطي
إلى قبره صلى الله عليه وسلم يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب
وتأكيد والأولى عندي أن منعه وكراهة مالك له لإضافته إلى قبر النبي صلى الله
عليه وسلم وأنه لو قال زرنا النبي صلى الله عليه وسلم لم يكرهه لقوله صلى
الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد بعدي اشتد غضب الله
على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد فحمى إضافة هذا اللفظ إلى القبر
والتشبه بفعل أولئك قطعا للذريعة وحسما للباب والله أعلم قال إسحق
بن إبراهيم الفقيه ومما لم يزل من شأن من حج المرور بالمدينة والقصد
إلى الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية روضته
ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطئ قدميه والعمود الذي كان
يستند إليه وينزل جبريل بالوحي فيه عليه وبمن عمره وقصده من الصحابة
وأئمة المسلمين والاعتبار بذلك كله وقال ابن أبي فديك سمعت بعض
من أدركت يقول بلغنا أنه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا
هذه الآية إن الله وملائكته يصلون على النبي يعني ثم قال صلى الله عليك
يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له
حاجة وعن يزيد بن أبي سعيد المهري قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما
ودعته قال لي إليك حاجة إذا أتيت المدينة سترى قبر النبي صلى الله عليه
وسلم فأقره مني السلام قال وكان عمر يبرد إليه البريد من الشام قال بعضهم
رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت
أنه

أنه افتتح الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف قال مالك في
رواية ابن وهب إذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه إلى القبر
لا إلى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده وقال في المبسوط لا أرى
أن يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي قال ابن
أبي مليكة من أحب أن يقوم وجاه النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل
الذي في القبلة عند القبر على رأسه وقال نافع كان ابن عمر يسلم على القبر
رأيته مائة مرة وأكثر يجيء إلى القبر فيقول السلام على النبي السلام على
أبي بكر السلام على أبي ثم ينصرف ورؤي واضعا يده على مقعد النبي
صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه وعن ابن قسيط والعتبي
كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا خلا المسجد جسوا رمانة المنبر التي
تلي القبر بميامنهم ثم استقبلوا القبلة يدعون وفي الموطأ من رواية يحيى
ابن يحيى الليثي أنه كان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي على
النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر وعمر وعند ابن القاسم والقعنبي ويدعو
لأبي بكر وعمر قال مالك في رواية ابن وهب يقول المسلم السلام عليك أيها
النبي ورحمة الله وبركاته قال في المبسوط ويسلم على أبي بكر وعمر قال
القاضي أبو الوليد الباجي وعندي أنه يدعو للنبي صلى الله عليه وسلم
بلفظ الصلاة ولأبي بكر وعمر كما جاء في حديث ابن عمر من الخلاف
وقال ابن حبيب ويقول إذا دخل مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم
بسم الله والسلام على رسول الله عليه الصلاة والسلام السلام علينا من
ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك
وجنتك واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد إلى الروضة وهي ما بين القبر

والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيها وتسأله تمام ما خرجت
إليه والعون عليه وإن كانت ركعتاك في غير الروضة أجزأتاك وفي الروضة
أفضل وقد قال صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض
الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا فتصلي عليه صلى الله عليه وسلم وتثني
بما حضرك وتسلم على أبي بكر وعمر وتدعو لهما وأكثر من الصلوة
في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار ولا تدع أن تأتي مسجد
قبا وقبور الشهداء قال مالك في كتاب محمد ويسلم على النبي صلى الله
عليه وسلم إذا دخل وخرج يعني في المدينة وفيما بين ذلك قال محمد
وإذا خرج جعل آخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا
وروى ابن وهب عن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال إذا دخلت المسجد فصل على النبي صلى الله عليه وسلم
وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك وفي رواية أخرى
فليسلم مكان فليصل فيه ويقول إذا خرج اللهم إني أسألك من فضلك
وفي أخرى اللهم احفظني من الشيطان الرجيم وعن محمد بن سيرين
كان الناس يقولون إذا دخلوا المسجد صلى الله وملائكته على محمد السلام
عليك أيها النبي ورحمة الله دخلنا وبسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا
يقولون إذا خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة أيضا كان النبي صلى الله عليه
إذا دخل المسجد قال صلى الله عليه وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل
هذا وفي رواية حمد الله وسمى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر
مثله وفي رواية بسم الله والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن غيرها
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي أبواب

رحمتك

رحمتك ويسر لي أبواب رزقك وعن أبي هريرة إذا دخل أحدكم المسجد
فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي وقال مالك في
المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة الوقوف
بالقبر وإنما ذلك للغرباء وقال فيه أيضا لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج
إلى سفر أن يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو له
ولأبي بكر وعمر فقيل له إن ناسا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا
يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر وربما وقفوا في الجمعة أو في
الأيام المرة والمرتين أو أكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال
لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح آخر
هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها
أنهم كانوا يفعلون ذلك ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده قال ابن القاسم
ورأيت أهل المدينة إذا خرجوا منها أو دخلوها أتوا القبر فسلموا قال وذلك
رأيي قال الباجي ففرق بين أهل المدينة والغرباء لأن الغرباء قصدوا
لذلك وأهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من أجل القبر والتسليم وقال
صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على
قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا قبري عيدا ومن
كتاب أحمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر لا يلتصق به ولا يمسه ولا
يقف عنده طويلا وفي العتبية يبدأ بالركوع قبل السلام في مسجد النبي صلى الله
عليه وسلم وأحب مواضع التنفل فيه مصلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث
العمود المخلق وأما في الفريضة فالتقدم إلى الصفوف والتنفل فيه للغرباء
أحب إلي من التنفل في البيوت فصل فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى

الله عليه وسلم من الأدب بسوى ما قدمنا، وفضله وفضل الصلوة فيه وفي مسجد
مكة وذكر قبا ومنى وفضل سكنى المدينة ومكة قال الله تعالى لمسجد أسس
على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه روي أن النبي صلى الله عليه وسلم
سئل أي مسجد هو قال مسجدي هذا وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت
وابن عمر ومالك بن أنس وغيرهم وعن ابن عباس أنه مسجد قباء حدثنا هشام
ابن أحمد الفقيه بقراءتي عليه قال حدثنا الحسين بن محمد الحافظ حدثنا أبو عمر
النمري حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن حدثنا أبو بكر بن داسة حدثنا أبو داود حدثنا
مسدد حدثنا سفين عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال إلا إلى ثلثة مساجد مسجد
الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى وقد تقدمت الآثار في الصلوة
والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد وعن عبد الله بن عمرو
ابن العاصي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل المسجد قال أعوذ بالله
العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم وقال مالك
رحمه الله سمع عمر بن الخطاب صوتا في المسجد فدعا بصاحبه فقال ممن أنت قال
رجل من ثقيف قال لو كنت من هاتين القريتين لأدبتك إن مسجدنا لا يرفع فيه الصوت
قال محمد بن مسلمة لا ينبغي لأحد أن يعمد المسجد برفع الصوت ولا بشيء
من الأذى وأن ينزه عما يكره قال المؤلف رحمه الله حكى ذلك كله القاضي
إسمعيل في مبسوطه في باب فضل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والعلماء كلهم
متفقون على أن حكم سائر المساجد هذا الحكم قال القاضي إسمعيل وقال محمد
يعني ابن مسلمة وكره في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم الجهر على المصلين فيما
يخلط عليهم صلاتهم وليس مما يخص به المساجد رفع الصوت قد كره رفع الصوت

بالتلبية

بالتلبية في مساجد الجماعات إلا المسجد الحرام ومسجد منى وقال أبو هريرة عنه
صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد
الحرام قال المؤلف رحمه الله اختلف الناس في معنى هذا الاستثناء على
اختلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة فذهب مالك في رواية أشهب عنه
وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة أصحابه إلى أن معنى الحديث أن الصلوة في مسجد الرسول
عليه الصلوة والسلام أفضل من الصلوة في سائر المساجد بألف صلاة فيما سواه
إلا المسجد الحرام فإن الصلوة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من الصلوة
فيه بدون الألف واحتجوا بما روي عن عمر بن الخطاب صلاة في المسجد
الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه فتأتي فضيلة مسجد الرسول صلى الله عليه
وسلم بتسع مائة وعلى غيره بألف وهذا مبني على تفضيل المدينة على مكة على ما
قدمنا وهو قول عمر بن الخطاب ومالك وأكثر المدنيين وذهب أهل مكة
والكوفة إلى تفضيل مكة وهو قول عطاء وابن وهب وابن حبيب من أصحاب
مالك وحكاه الباجي عن الشافعي وحملوا الاستثناء في الحديث المتقدم على
ظاهره وأن الصلوة في المسجد الحرام أفضل واحتجوا بحديث عبد الله
ابن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث أبي هريرة وفيه وصلاة في
المسجد الحرام أفضل من الصلوة في مسجدي هذا بمائة صلاة وروى قتادة
مثله فيأتي فضل الصلوة في المسجد الحرام على هذا على الصلوة في سائر المساجد
بمائة ألف ولا اختلاف أن موضع قبره أفضل بقاع الأرض قال القاضي
أبو الوليد الباجي الذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة لسائر المساجد ولا
يعلم منه حكمها مع المدينة وذهب الطحاوي إلى أن هذا التفضيل إنما
هو في صلاة الفرض وذهب مطرف من أصحابنا إلى أن ذلك في النافلة أيضا

قال وجمعة خير من جمعة ورمضان خير من رمضان وقد ذكر عبد الرزاق
في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثا نحوه وقال صلى الله عليه وسلم ما
بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومثله عن أبي هريرة وأبي سعيد
وزاد ومنبري على حوضي وفي حديث آخر منبري على ترعة من ترع الجنة
قال الطبري فيه معنيان أحدهما أن المراد بالبيت بيت سكناه على
الظاهر مع أنه روي ما بين حجرتي ومنبري والثاني أن البيت هنا
القبر وهو قول زيد بن أسلم في هذا الحديث كما روي بين قبري ومنبري
قال الطبري وإذا كان قبره في بيته اتفقت معاني الروايات ولم
يكن بينها خلاف لأن قبره في حجرته وهو بيته وقوله ومنبري على حوضي قيل
يحتمل أنه منبره بعينه الذي كان في الدنيا وهو أظهر والثاني أن يكون له هناك
منبر والثالث أن قصد منبره والحضور عنده لملازمة الأعمال الصالحة يورد
الحوض ويوجب الشرب منه قاله الباجي وقوله روضة من رياض الجنة يحتمل
معنيين أحدهما أنه موجب لذلك وأن الدعاء والصلاة فيه يستحق ذلك من
الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف والثاني أن تلك البقعة قد ينقلها
الله تعالى فتكون في الجنة بعينها قاله الداودي وروى ابن عمر وجماعة من
الصحابة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في المدينة لا يصبر على لأوائها وشدتها
أحد إلا كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة وقال فيمن تحمل عن المدينة والمدينة
خير لهم لو كانوا يعلمون وقال إنما المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها
وقال لا يخرج أحد من المدينة رغبة عنها إلا أبدلها الله خيرا منه وروي
عنه صلى الله عليه وسلم من مات في أحد الحرمين حاجا أو معتمرا بعثه الله يوم
القيامة لا حساب عليه ولا عذاب وفي طريق آخر بعث من الآمنين يوم القيامة
وعن

وعن ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت
بها فإني أشفع لمن يموت بها وفي حديث آخر بعث يوم القيامة من الآمنين وقال
تعالى إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا إلى قوله آمنا قال بعض
المفسرين آمنا من النار وقيل كان يأمن من الطلب من أحدث حدثا ولجأ إليه في
الجاهلية وهذا مثل قوله وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا على قول
بعضهم وحكي أن قوما أتوا سعدون الخولاني بالمنستير فأعلموه أن كتامة قتلوا
رجلا وأضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه شيئا وبقي أبيض البدن فقال
لعله حج قالوا نعم قال حدثت أن من حج حجة أدى فرضه ومن
حج ثانية داين ربه فينادي غدا تسلك من عبد الله من كان له دين على الله
فليقم ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار ولما نظر رسول
الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة قال مرحبا بك من بيت ما أعظمك وأعظم
حرمتك وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ما من أحد يدعو الله عند
الركن الأسود إلا استجاب الله له وكذلك عند الميزاب وعنه صلى الله
عليه وسلم من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
وحشر يوم القيامة من الآمنين قرأت على القاضي الحافظ أبي علي رحمه
الله حدثك أبو العباس العذري قال حدثنا أبو أسامة محمد بن أحمد بن
محمد الهروي حدثنا الحسن بن رشيق سمعت أبا الحسن محمد بن الحسن بن
راشد سمعت أبا بكر محمد بن إدريس سمعت الحميدي قال سمعت سفيان
ابن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ما دعا أحد بشيء في هذا الملتزم إلا استجيب له قال
ابن عباس وأنا فما دعوت الله في هذا الملتزم بشيء منذ سمعت هذا من رسول الله
صلى

صلى الله عليه وسلم إلا استجيب لي وقال عمرو بن دينار وأنا فما دعوت الله
لشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس إلا استجيب لي وقال سفيان
وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو إلا استجيب
لي وقال الحميدي وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا
من سفيان إلا استجيب لي وقال محمد بن إدريس وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا
الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي إلا استجيب لي وقال أبو الحسن محمد بن
الحسن وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن إدريس
إلا استجيب لي قال أبو أسامة وما أذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيئا وأنا
فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق إلا استجيب
لي من أمر الدنيا وأنا أرجو أن يستجاب لي من أمر الآخرة قال العذري
وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من أبي أسامة إلا
استجيب لي قال أبو علي وأنا فقد دعوت الله فيه بأشياء كثيرة استجيب لي
بعضها وأرجو من سعة فضله أن يستجيب لي بقيتها قال المؤلف رحمه الله
قد ذكرنا نبذا من هذه النكت في هذا الفصل وإن لم تكن من الباب لتعلقها
بالفصل الذي قبله حرصا على تمام الفائدة والله الموفق للصواب برحمته

> خ لشيء

القسم الثالث فيما يجب للنبي عليه الصلوة والسلام أو يجوز عليه
وما يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع أو يصح من الأمور البشرية أن
يضاف إليه قال المؤلف رحمه الله قال الله تعالى وما محمد إلا رسول
قد خلت من قبله الرسل الآية وقال ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت
من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام وقال وما أرسلنا قبلك
من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وقال قل إنما

> خ الأحوال

إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي الآية فمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء
عليهم السلام من البشر أرسلوا إلى البشر ولولا ذلك لما أطاق الناس مقاومتهم
والقبول عليهم ومخاطبتهم قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا
وللبسنا عليهم ما يلبسون أي لما كان إلا في صورة البشر الذين يمكنهم مخالطتهم
إذ لا يطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته إذا كان على صورته
وقال قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون في الأرض مطمئنين الآية أي لا يمكن
في سنة الله إرسال الملك إلا لمن هو جنسه أو من خصه الله واصطفاه وقواه على
مقاومته كالأنبياء والرسل فالأنبياء والرسل وسائط بين الله تعالى وبين خلقه
يبلغونهم أوامره ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم بما لم يعلموه من أمره
وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته فظواهرهم وأجسادهم
وبنيتهم متصفة بأوصاف البشر طارئ عليها ما يطرأ على البشر من الأعراض
والأسقام والموت والفناء ونعوت الإنسانية وأرواحهم وبواطنهم متصفة
بأعلى من أوصاف البشر متعلقة بالملإ الأعلى متشبهة بصفات الملائكة
سليمة من التغير والآفات لا يلحقها غالبا عجز البشرية ولا ضعف الإنسانية
إذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم لما أطاقوا الأخذ عن
الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم ومخالتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر
ولو كانت أجسامهم وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة وبخلاف
صفات البشر لما أطاق البشر ومن أرسلوا إليه مخالطتهم كما تقدم من قول الله
تعالى فجعلوا من جهة الأجسام والظواهر مع البشر ومن جهة الأرواح
والبواطن مع الملائكة كما قال صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا من أمتي خليلا
لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الإسلام لكن صاحبكم خليل الرحمن وكما قال

> خ منهم / عنهم — ح يمكنهم — خ الأنبياء عليهم السلام — خ مشبهة — خ ومخالتهم — خ مخالطتهم / على

تنام عيناي ولا ينام قلبي وقال إني لست كهيئتكم إني أظل يطعمني ربي ويسقيني

فبواطنهم منزهة عن الآفات مطهرة من النقائص والاعتلالات وهذه

جملة لن يكتفي بمضمونها كل همة بل الأكثر محتاج إلى بسط وتفصيل على ما يأتي

بعد هذا في أبوابه بعون الله وهو حسبي ونعم الوكيل **الباب**

الأول فيما يختص بالأمور الدينية والكلام في عصمة نبينا

عليه الصلاة والسلام وسائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين **قال** المؤلف

رحمه الله إعلم أن الطوارئ من التغيرات والآفات على آحاد البشر لا يخلوا

أن تطرأ على جسمه أو على حواسه بغير قصد واختيار كالأمراض والأسقام

أو تطرأ بقصد واختيار وكله في الحقيقة عمل وفعل ولكن جرى رسم

المشايخ بتفصيله إلى ثلاثة أنواع عقد بالقلب وقول باللسان وعمل

بالجوارح وجميع البشر تطرأ عليهم الآفات والتغيرات بالاختيار

وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله عليه وسلم وإن

كان من البشر ويجوز على جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت البراهين

القاطعة وتمت كلمة الإجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من

الآفات التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما سنبينه إن شاء الله فيما

نأتي به من التفاصيل **فصل** في حكم عقد قلب النبي عليه الصلوة

والسلام من وقت نبوته **قال** المؤلف رحمه الله إعلم منحنا الله وإياك

توفيقه أن ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته والإيمان

وبما أوحى الله تعالى إليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء

عن الجهل بشيء من ذلك أو الشك أو الريب فيه والعصمة من كل ما يضاد

المعرفة بذلك واليقين **هذا** ما وقع إجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين

الواضح

محتاج

المعجزات

والمعجزات

أوحى إليه

الواضحة أن يكون في عقود الأنبياء سواه **ولا يعترض** على هذا بقول إبرهيم عليه

السلام قال بلى ولكن ليطمئن قلبي إذ لم يشك إبرهيم عليه السلام في إخبار الله

تعالى له بإحياء الموتى ولكن أراد طمأنينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الإحياء

فحصل له العلم الأول بوقوعه وأراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته **الوجه**

الثاني أن إبرهيم عليه السلام إنما أراد اختبار منزلته عند ربه

وعلم إجابة دعوته بسؤال ذلك من ربه ويكون قوله تعالى أولم تؤمن أي ألم

تصدق بمنزلتك مني وخلتك واصطفائك **الوجه** الثالث أنه سأل زيادة

يقين وقوة طمأنينة وإن لم يكن في الأول شك إذ العلوم الضرورية والنظرية

قد تتفاضل في قوتها وطريان الشكوك على الضروريات ممتنع ومجوز في

النظريات فأراد الانتقال من النظر أو الخبر إلى المشاهدة والترقي من علم

اليقين إلى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة **ولهذا** قال سهل بن عبد الله سأل

كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله **الوجه** الرابع أنه لما

احتج على المشركين بأن ربه يحيي ويميت طلب ذلك من ربه ليصح احتجاجه

عيانا **الوجه** الخامس قال بعضهم هو سؤال على طريق الأدب المراد

أقدرني على إحياء الموتى وقوله ليطمئن قلبي عن هذه الأمنية **الوجه**

السادس أنه أرى من نفسه الشك وما شك لكن ليجاوب فيزداد قربه وقول

نبينا عليه الصلوة والسلام نحن أحق بالشك من إبرهيم نفي لأن يكون إبرهيم

شك وإبعاد للخواطر الضعيفة أن تظن هذا بإبرهيم أي نحن موقنون بالبعث

وإحياء الله الموتى فلو شك إبرهيم لكنا أولى بالشك منه إما على طريق الأدب

أو أن يريد أمته الذين يجوز عليهم الشك أو على طريق التواضع والإشفاق

إن حملت قصة إبرهيم على اختبار حاله أو زيادة يقينه **فإن** قلت فما معنى

إجابته

قوله فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك
الآيتين **واحذر** ثبت الله قلبك أن يخطر ببالك ما ذكر فيه بعض المفسرين
عن ابن عباس أو غيره من إثبات شك للنبي صلى الله عليه وسلم فيما أوحي إليه
وأنه من البشر **فمثل** هذا لا يجوز عليه جملة **بل** قد قال ابن عباس وغيره لم
يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن ابن جبير والحسن **وحكي**
قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أشك ولا أسأل وعامة المفسرين على
هذا **واختلفوا** في معنى الآية **فقيل** المراد قل يا محمد للشاك إن كنت في شك
الآية قالوا وفي السورة نفسها ما دل على هذا التأويل قوله **قل** يا أيها الناس
إن كنتم في شك من ديني الآية **وقيل** المراد بالخطاب العرب وغير النبي عليه
الصلاة والسلام كما قال لئن أشركت ليحبطن عملك الآية الخطاب له والمراد
غيره ومثله فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره كثير **قال** بكر بن العلاء
ألا تراه يقول ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله **وهو** صلى الله عليه وسلم كان
المكذب فيما يدعو إليه فكيف يكون ممن كذب به **فهذا** كله يدل على أن المراد
بالخطاب غيره **ومثل** هذه الآية قوله الرحمن فاسأل به خبيرا المأمور هاهنا غير
النبي صلى الله عليه وسلم ليسأل النبي والنبي عليه الصلاة والسلام هو الخبير
المسئول لا المستخبر السائل **وقيل** إن هذا الشك الذي أمر غير النبي بسؤال
الذين يقرءون الكتاب إنما هو فيما قصه الله تعالى من أخبار الأمم لا فيما دعا
إليه من التوحيد والشريعة وهذا مثل قوله تعالى واسأل من أرسلنا من قبلك
من رسلنا الآية المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه
قاله القتبي **وقيل** معناه سلنا عمن أرسلنا فحذف الخافض وتم الكلام ثم ابتدأ
أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون على طريق الإنكار أي ما جعلنا حكاه مكي

وقيل

بدل خ
يكذب خ
هاهنا خ
قوله المستخبر السائل لا المسئول
ومثل هذا خ

وقيل أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يسأل الأنبياء ليلة الإسراء عن ذلك فكان
أشد يقينا من أن يحتاج إلى السؤال **فروي** أنه قال لا أسأل قد اكتفيت قاله ابن
زيد **وقيل** اسأل أمم من أرسلنا هل جاءوهم بغير التوحيد وهو معنى قول
مجاهد والسدي والضحاك وقتادة والمراد بهذا والذي قبله إعلامه صلى
الله عليه وسلم بما بعثت به الرسل وأنه لم يأذن تبارك وتعالى في عبادة غيره
لأحد ردا على مشركي العرب وغيرهم في قولهم إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى **وكذلك**
قوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن
من الممترين أي في علمهم بأنك رسول الله وإن لم يقروا بذلك وليس المراد به
شكه فيما ذكر في أول الآية **وقد** يكون أيضا على مثل ما تقدم أي قل يا من امترى
يا محمد في ذلك لا تكونن من الممترين بدليل قوله في أول الآية أفغير الله أبتغي
حكما الآية وأن النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب بذلك غيره **وقيل** هو
تقرير كقوله أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين وقد علم أنه لم يقل **وقيل**
معناه ما كنت في شك فسل تزدد طمأنينة وعلما إلى علمك ويقينك **وقيل**
إن كنت تشك فيما شرفناك وعظمناك به فسلهم عن صفتك في الكتب ونشر
فضائلك **وحكي** عن أبي عبيدة أن المراد إن كنت في شك من غيرك فيما
أنزلنا **فإن** قيل فما معنى قوله تعالى حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد
كذبوا على قراءة التخفيف **قلنا** المعنى في ذلك ما قالته عائشة معاذ
الله أن تظن ذلك الرسل بربها وإنما معنى ذلك أن الرسل لما استيأسوا ظنوا
أن من وعدهم النصر من أتباعهم كذبوهم وعلى هذا أكثر المفسرين **وقيل**
إن الضمير في ظنوا عائد على الأتباع والأمم لا على الأنبياء والرسل وهو
قول ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعة من العلماء وبهذا المعنى قرأ مجاهد

خاطب خ
ونفضلك خ

كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ التفسير بسواه مما لا يليق بمنصب العلماء فكيف
بالأنبياء عليهم الصلوة والسلام **وكذلك** ما ورد في حديث السيرة ومبتدأ
الوحي من قوله صلى الله عليه وسلم لخديجة لقد خشيت على نفسي ليس معناه
الشك فيما آتاه الله تعالى بعد رؤية الملك ولكن لعله خشي ألا تحتمل قوته
مقاومة الملك وأعباء الوحي فينخلع قلبه أو تزهق نفسه **هذا** على ما ورد
في الصحيح أنه قاله بعد لقائه الملك أو يكون ذلك قبل لقائه الملك وإعلام
الله تعالى له بالنبوة لأول ما عرضت عليه من العجائب وسلم عليه الحجر
والشجر وبدأته المنامات والتباشير كما روي في بعض طرق هذا الحديث
أن ذلك كان أولا في المنام ثم أري في اليقظة مثال ذلك تأنيسا له صلى الله
عليه وسلم لئلا يفجأه الأمر مشاهدة ومشافهة فلا يحتمله لأول حاله
بنية البشرية **وفي** الصحيح عن عائشة أول ما بدئ به رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة قالت ثم حبب إليه الخلاء وقالت
إلى أن جاءه الحق وهو في غار حراء الحديث **وعن** ابن عباس مكث النبي
صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع
سنين ولا يرى شيئا وثماني سنين يوحى إليه **وقد** روى ابن إسحق عن بعضهم
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وذكر جواره بغار حراء قال فجاءني وأنا
نائم فقال اقرأ فقلت ما أقرأ وذكر نحو حديث عائشة في غطه له
وإقرائه اقرأ باسم ربك السورة قال فانصرف عني وهببت من نومي كأنما
صورت في قلبي ولم يكن أبغض إلي من شاعر أو مجنون ثم قلت لا تحدث عني
قريش بهذا أبدا لأعمدن إلى حالق من الجبل فلأطرحن نفسي منه فلأقتلنها
فبينا أنا عامد لذلك إذ سمعت مناديا ينادي من السماء يا محمد أنت رسول الله

آتاه الله

قبل لقائه

مثل

حاله

تحدث

وأنا جبريل فرفعت رأسي فإذا جبريل على صورة رجل وذكر الحديث
فقد بين لك في هذا أن قوله لما قال وقصده ما قصد إنما كان قبل لقائه جبريل
عليهما السلام وقبل إعلام الله له بالنبوة وإظهاره واصطفائه بالرسالة
ومثله حديث عمرو بن شرحبيل أنه صلى الله عليه وسلم قال لخديجة
إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء وقد خشيت والله أن يكون هذا لأمر
ومن رواية حماد بن سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة إني لأسمع
صوتا وأرى ضوءا وأخشى أن يكون بي جنون **وعلى** هذا يتأول لو صح قوله
في بعض هذه الأحاديث إن الأبعد شاعر أو مجنون وألفاظا يفهم منها معاني
الشك في تصحيح ما رآه وأنه كان كله في ابتداء أمره وقبل لقاء الملك له
وإعلام الله تعالى له أنه رسوله فكيف وبعض هذه الألفاظ لا تصح طرقها
وأما بعد إعلام الله تعالى له ولقائه الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز
عليه شك فيما ألقي إليه **وقد** روى ابن إسحق عن شيوخه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يرقى من العين بمكة قبل أن ينزل عليه فلما نزل
عليه القرآن أصابه نحو ما كان يصيبه فقالت له خديجة أوجه إليك
من يرقيك قال أما الآن فلا **وحديث** خديجة واختبارها أمر جبريل بكشف
رأسها الحديث إنما ذلك في حق خديجة لتتحقق صحة نبوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأن الذي يأتيه ملك ويزول الشك عنها لا أنها فعلت ذلك
للنبي صلى الله عليه وسلم وليختبر هو حاله بذلك **بل قد** ورد في حديث
عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن هشام عن أبيه عن عائشة أن ورقة
أمر خديجة أن تختبر الأمر بذلك **وفي** حديث إسمعيل بن أبي حكيم أنها
قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع أن تخبرني بصاحبك

والإظهار واصطفاه ... الصلاة

والفاظها

تختبر

إذا جاءك قال نعم فلما جاءه جبريل أخبرها فقالت له اجلس إلى شقي
وذكر الحديث إلى آخره وفيه فقالت ما هذا بشيطان هذا الملك يا ابن
عم فاثبت وأبشر وآمنت به فهذا يدل أنها مستثبتة بما فعلته لنفسها
ومستظهرة لإيمانها لا للنبي صلى الله عليه وسلم وقول معمر في فترة الوحي
فحزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا حتى كاد
يتردى من رؤوس شواهق الجبال لا يقدح في هذا الأصل لقول معمر
عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا ذكر رواته ولا من حدث به ولا أن النبي
صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا إلا من جهة النبي صلى الله
عليه وسلم مع أنه قد يحمل على أنه كان أول الأمر كما ذكرناه أو أنه فعل ذلك
لما أحرجه من تكذيب من بلغه كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك على
آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ويصحح معنى هذا التأويل حديث
رواه شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله أن المشركين
لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور في شأن النبي صلى الله عليه وسلم واتفق
رأيهم على أن يقولوا إنه ساحر اشتد ذلك عليه وتزمل في ثيابه وتدثر
فيها فأتاه جبريل فقال يا أيها المزمل يا أيها المدثر أو خاف أن الفترة لأمر
أو سبب منه فخشي أن يكون عقوبة من ربه ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد
شرع بالنهي عن ذلك فيعترض به ونحو هذا فرار يونس خشية تكذيب قومه
له لما وعدهم به من العذاب وقول الله تعالى في يونس فظن أن لن نقدر
عليه معناه أن لن نضيق عليه قال مكي طمع في رحمة الله تعالى وأن لا
يضيق عليه مسلكه في خروجه وقيل حسن ظنه بمولاه أنه لا يقضي عليه
العقوبة وقيل نقدر عليه ما أصابه وقد قرئ نقدر بالتشديد وقيل

نؤاخذه بغضبه وذهابه قال ابن زيد معناه أفظن أن لن نقدر عليه على
الاستقامة ولا يليق أن يظن نبي أن يجهل صفة من صفات ربه وكذلك قوله
إذ ذهب مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما
لا لربه إذ مغاضبة الله تعالى معاداة له ومعاداة الله تعالى كفر لا يليق بالمؤمنين
فكيف بالأنبياء عليهم السلام وقيل مستحييا من قومه أن يسموه بالكذب
أو يقتلوه كما ورد في الخبر وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما أمره به من
التوجه إلى أمر أمره الله تعالى به على لسان نبي آخر فقال له يونس عليه
السلام غيري أقوى عليه مني فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا وقد
روي عن ابن عباس أن إرسال يونس ونبوته إنما كان بعد أن نبذه الحوت
واستدل من الآية بقوله فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة
من يقطين وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون ويستدل أيضا بقوله تعالى
ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وذكر القصة ثم قال فاجتباه ربه فجعله
من الصالحين فتكون هذه القصة إذا قبل نبوته فإن قيل فما معنى قوله
صلى الله عليه وسلم إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله كل يوم مائة مرة وفي
طريق في اليوم أكثر من سبعين مرة فاحذر أن يقع ببالك أن يكون
هذا الغين وسوسة أو ريبا وقع في قلبه عليه الصلاة والسلام بل
أصل الغين في هذا ما يتغشى القلب ويغطيه قاله أبو عبيد وأصله من
غين السماء وهو إطباق الغيم عليها وقال غيره الغين شيء يغشى القلب ولا
يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس
وكذلك لا يفهم من الحديث أنه يغان على قلبه مائة مرة أو أكثر من
سبعين في اليوم إذ ليس يقتضيه لفظه الذي ذكرناه وهو أكثر الروايات وإنما

هذا عدّه ذلّاً لاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا الغين إشارة إلى غفلات قلبه
وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان صلى الله عليه
وسلم دُفع إليه من مقاساة البشر وسياسة الأمة ومعاناة الأهل ومقاومة
الولي والعدو ومصلحة النفس وكلّفه من أعباء أداء الرسالة وحمل الأمانة
وهو في هذا كله في طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم
أرفع الخلق عند الله مكانة وأعلاهم درجة وأتمهم به معرفة وكانت حالة
عند خلوص قلبه وخلو همه وتفرده بربه وإقباله بكليته عليه ومقامه
هنالك أرفع حاليه رأى عليه الصلوة والسلام حال فترته عنها وشغله
بسواها غضاً من علي حاله وخفضاً من رفيع مقامه فاستغفر الله تعالى
من ذلك هذا أولى وجوه الحديث وأشهرها وإلى معنى ما أشرنا إليه
فيه مال كثير من الناس وحام حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا غامض معناه
وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبني على جواز الفترات والغفلات
والسهو في غير طريق البلاغ على ما سيأتي وذهبت طائفة من أرباب
القلوب ومشيخة المتصوفة ممن قال بتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم
عن هذا جملة وأجلّه عن أن يجوز عليه في حال سهو أو فترة إلى أن
معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من أمر أمته عليه الصلوة والتسليم
لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد يكون الغين هنا
على قلبه السكينة التي تغشاه لقوله تعالى فأنزل الله سكينته عليه ويكون استغفاره
عليه الصلوة والسلام عندها إظهاراً للعبودية والافتقار وقال ابن
عطاء استغفاره وفعله هذا تعريف للأمة يحملهم على الاستغفار وقال
غيره ويستشعرون الحذر ولا يركنون إلى الأمن وقد يحتمل أن تكون

هذه

هذه الإغانة حالة خشية وإعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكراً لله تعالى
وملازمة للعبودية كما قال في ملازمة العبادة أفلا أكون عبداً شكوراً وعلى هذه
الوجوه الأخير يحمل ما روي في بعض طرق هذا الحديث عنه صلى الله عليه
وسلم إنه ليغان على قلبي في اليوم أكثر من سبعين مرة فأستغفر الله فإن قلت فما
معنى قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن
من الجاهلين وقوله لنوح عليه السلام فلا تسألني ما ليس لك به علم إني أعظك
أن تكون من الجاهلين فاعلم أنه لا يلتفت في ذلك إلى قول من قال في آية نبينا
عليه الصلوة والسلام لا تكونن ممن يجهل أن الله لو شاء لجمعهم على الهدى وفي
آية نوح لا تكونن ممن يجهل أن وعد الله حق لقوله وإن وعدك الحق إذ فيه
إثبات الجهل بصفة من صفات الله تعالى وذلك لا يجوز على الأنبياء عليهم
السلام والمقصود وعظهم أن لا يتشبهوا في أمورهم بسمات الجاهلين كما قال
إني أعظك وليس في آية منها دليل على كونهم على تلك الصفة التي نهاهم عن
الكون عليها فكيف وآية نوح قبلها فلا تسألني ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها
على ما قبلها أولى لأن مثل هذا قد يحتاج إلى إذن وقد تجوز إباحة السؤال
فيه ابتداء فنهاه الله تعالى أن يسأله عما طوى عنه علمه وأكنه من غيبه من
السبب الموجب لهلاك ابنه ثم أكمل الله تعالى نعمته عليه بإعلامه ذلك
بقوله إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح حكى معناه مكي كذلك أمر
نبينا عليه الصلوة والسلام في الآية الأخرى بالتزام الصبر على إعراض قومه
ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر حكاه أبو بكر
ابن فورك وقيل معنى الخطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم أي فلا تكونوا
من الجاهلين حكاه أبو محمد مكي وقال مثله في القرآن كثير فبهذا الفضل

يوجب القول بعصمة الأنبياء منه بعد النبوة قطعا فإن قلت فإذا قررت (خ أوجب)
عصمتهم من هذا وأنه لا يجوز عليهم شيء من ذلك فما معنى إذاً وعيد الله تعالى
لنبينا صلى الله عليه وسلم على ذلك إن فعله وتحذيره منه كقوله تعالى لئن
أشركت ليحبطن عملك الآية وقوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك
الآية وقوله إذاً لأذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات الآية وقوله لأخذنا
منه باليمين وقوله وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله وقوله
فإن يشأ الله يختم على قلبك وقوله وإن لم تفعل فما بلغت رسالاته وقوله يا أيها
النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين **فاعلم** وفقنا الله وإياك أنه
عليه الصلوة والسلام لا يصح ولا يجوز عليه أن لا يبلغ وأن يخالف أمر ربه
ولا أن يشرك ولا أن يتقول على الله ما لا يجب أو يفتري عليه أو يضل أو يختم على (خ ليقول)
قلبه أو يطيع الكافرين **لكن الله** تعالى يسر أمره بالمكاشفة والبيان
في البلاغ للمخالفين وأن إبلاغه إن لم يكن بهذه السبيل فكأنه ما بلغ وطيب نفسه
وقوى قلبه بقوله تعالى والله يعصمك من الناس كما قال لموسى وهرون عليهما
السلام لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى لتشتد بصائرهم في الإبلاغ وإظهار (خ البلاغ)
دين الله تعالى ويذهب عنهم خوف العدو المضعف للنفس **وأما** قوله
تعالى ولو تقول علينا الآية وقوله إذاً لأذقناك ضعف الحيوة **فمعناه**
أن هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو صلى الله
عليه وسلم لا يفعله **وكذلك** قوله تعالى وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك
عن سبيل الله فالمراد غيره كما قال إن تطيعوا الذين كفروا الآية وقوله فإن
يشأ الله يختم على قلبك ولئن أشركت ليحبطن عملك وما أشبهه فالمراد غيره
وأن هذه حال من أشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله
اتق

تعالى اتق الله ولا تطع الكافرين فليس فيه أنه أطاعهم والله ينهاه عما
يشاء ويأمره بما يشاء كما قال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية
وما كان طردهم عليه الصلوة والسلام ولا كان من الظالمين **فصل**
وأما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف **والصواب** أنهم معصومون
قبل النبوة من الجهل بالله تعالى وصفاته والتشكك في شيء من ذلك وقد
تعاضدت الأخبار والآثار عن الأنبياء عليهم السلام بتنزيههم عن هذه (خ علي)
النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد والإيمان بل على إشراق أنوار المعارف
ونفحات ألطاف السعادة كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الأول
من كتابنا هذا ولم ينقل أحد من أهل الأخبار أن أحدا نبئ واصطفي ممن عرف (خ نبي)
بكفر وإشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل **وقد** استدل بعضهم (خ عن كان من)
بأن القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله **وأنا** أقول إن قريشا قد رمت
نبينا صلى الله عليه وسلم بكل ما افترته وعير كفار الأمم أنبياءها بكل ما
أمكنها واختلقته مما نص الله تعالى عليه أو نقلته إلينا الرواة ولم نجد في
شيء من ذلك تعييرا لواحد منهم برفضه آلهته وتقريعه بذمه بترك ما
كان قد جامعهم عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده
محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل أفظع وأقطع في الحجة من
توبيخه بنهيه عن تركهم آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم من قبل ففي إطباقهم على
الإعراض عنه دليل على أنهم لم يجدوا سبيلا إليه إذ لو كان لنقل ولما سكتوا (خ عند)
عنه كما لم يسكتوا عن تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها
كما حكاه الله تعالى عنهم **وقد** استدل القاضي القشيري على تنزيههم عن هذا
بقوله تعالى وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك الآية وبقوله تعالى وإذ

أخذ الله ميثاق النبيين إلى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهره الله تعالى في
الميثاق وبعيد أن يأخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم يأخذ ميثاق النبيين بالإيمان
به ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك أو غيره من الذنوب هذا ما
لا يجوزه إلا ملحد هذا معنى كلامه وكيف يكون ذلك وقد أتاه جبريل
صلى الله عليهما وسلم وشق قلبه صغيرا واستخرج منه علقة وقال هذا حظ
الشيطان منك ثم غسله وملأه حكمة وإيمانا كما تظاهرت به أخبار المبدأ ولا
يشبه عليك بقول إبراهيم في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي فإنه قد قيل
كان هذا في سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال وقبل لزوم التكليف
وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين إلى أنه إنما قال ذلك مبكتا لقومه
ومستدلا عليهم وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد الإنكار والمراد فهذا
ربي قال الزجاج قوله هذا ربي أي على قولكم كما قال أين شركائي أي عندكم
ويدل على أنه لم يعبد شيئا من ذلك ولا أشرك قط بالله عز وجل طرفة عين
قول الله تعالى عنه إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ثم قال
أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين
وقال إذ جاء ربه بقلب سليم أي من الشرك وقوله واجنبني وبني أن نعبد
الأصنام فإن قلت فما معنى قوله لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين
قيل إنه إن لم يؤيدني بمعونته أكن مثلكم في ضلالكم وعبادتكم على معنى
الإشفاق والحذر وإلا فهو صلى الله عليه وسلم معصوم في الأزل من
الضلال فإن قلت فما معنى قوله تعالى وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم
من أرضنا أو لتعودن في ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد افترينا على الله
كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها فلا يشكل عليك لفظة العود
وأنها

خ الشك

وأنها تقتضي أنهم يعودون لما كانوا فيه من ملتهم فقد تأتي هذه اللفظة في
كلام العرب لغير ما ليس له ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء في حديث
الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا قبل ذلك كذلك ومثله قول
الشاعر تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا وما
كانا قبل كذلك فإن قلت فما معنى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى فليس
هو من الضلال الذي هو الكفر قيل ضالا عن النبوة فهداك إليها قاله
الطبري وقيل ووجدك بين أهل ضلال فعصمك من ذلك فهداك
للإيمان وإلى إرشادهم ونحوه عن السدي وغير واحد وقيل ضالا
عن شريعتك أي لا تعرفها فهداك إليها والضلال ها هنا التحير ولهذا
كان عليه الصلاة والسلام يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به إلى ربه
ويتشرع به حتى هداه الله تعالى إلى الإسلام حكى معناه القشيري وقيل
لا تعرف الحق فهداك إليه وهذا مثل قوله وعلمك ما لم تكن تعلم قاله علي بن
عيسى وقال ابن عباس لم تكن له ضلالة معصية وقيل هدى أي بين أمرك
بالبراهين وقيل ووجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك إلى المدينة
وقيل المعنى ووجدك فهدى بك ضالا وعن جعفر بن محمد ووجدك ضالا
عن محبتي لك في الأزل أي لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي وقرأ الحسن بن علي
ووجدك ضال فهدى أي اهتدى بك وقال ابن عطاء ووجدك ضالا
أي محبا لمعرفتي والضال المحب كما قال تعالى إنك لفي ضلالك القديم أي
محبتك القديمة ولم يريدوا ها هنا في الدين إذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا
ومثله عند هذا قوله تعالى إنا لنراها في ضلال مبين أي محبة وقال الجنيد
ووجدك متحيرا في بيان ما أنزل إليك فهداك لبيانه لقوله تعالى وأنزلنا

خ كذلك

خ وهداك

بينه

إليك الذكر الآية **وقيل** وجدك لم يعرفك أحد بالنبوة حتى أظهرك فهدى
بك السعداء، ولا أعلم أحدا قال من المفسرين فيها ضالا عن الإيمان **وكذلك**
في قصة موسى عليه السلام قوله تعالى فعلتها إذا وأنا من الضالين أي من المخطئين
الفاعلين شيئا بغير قصد قاله ابن عرفة **وقال** الأزهري معناه من
الناسين **وقد** قيل ذلك في قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى أي ناسيا
كما قال تعالى أن تضل إحداهما **فإن** قلت فما معنى قوله تعالى ما كنت تدري
ما الكتاب ولا الإيمان **فالجواب** أن السمرقندي قال معناه ما كنت تدري قبل
الوحي أن تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق إلى الإيمان وقال بكر القاضي
نحوه قال ولا الإيمان الذي هو الفرائض والأحكام قال فكان صلى الله عليه (خ ولا الإيمان)
وسلم قبل مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل فزاد
بالتكليف إيمانا وهو أحسن وجوهه **فإن** قلت فما معنى قوله تعالى وإن (خ وبهذا)
كنت من قبله لمن الغافلين **فاعلم** أنه ليس بمعنى قوله تعالى والذين هم عن آياتنا
غافلون **بل حكى** أبو عبيد الهروي أن معناه لمن الغافلين عن قصة يوسف
إذ لم تعلمها إلا بوحينا **وكذلك** الحديث الذي يرويه عثمان بن أبي شيبة بسنده
عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان يشهد مع المشركين مشاهدهم (خ شهد)
فسمع ملكين خلفه أحدهما يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه فقال
الآخر كيف أقوم خلفه وعهده باستلام الأصنام فلم يشهدهم بعد فهذا
حديث أنكره أحمد بن حنبل جدا وقال هو موضوع أو شبيه بالموضوع (خ شبيه)
وقال الدارقطني يقال إن عثمان وهم في إسناده والحديث بالجملة
منكر غير متفق على إسناده فلا يلتفت إليه **والمعروف** عن النبي صلى الله عليه
وسلم خلافه عند أهل العلم من قوله بغضت إلي الأصنام وقوله في
الحديث

الحديث الآخر الذي رواه أم أيمن حين كلمه عمه وآله في حضور بعض
أعيادهم وعزموا عليه فيه بعد كراهيته لذلك فخرج معهم ورجع (خ كراهته)
مرعوبا فقال كلما دنوت منها من صنم تمثل لي رجل أبيض طويل يصيح بي وراءك
لا تمسه فما شهد بعد لهم عيدا وقوله في قصة بحيرا حين استحلف النبي صلى الله عليه
وسلم باللات والعزى إذ لقيه بالشام في سفره مع عمه أبي طالب وهو صبي
ورأى فيه علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله إلا ما
أخبرتني عما أسألك عنه فقال سل عما بدا لك **وكذلك** المعروف من
سيرته صلى الله عليه وسلم وتوفيق الله تعالى له أنه كان قبل نبوته يخالف
المشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج وكان هو يقف بعرفة لأنه كان موقف إبراهيم
صلوات الله عليهما وسلامه **فصل** قال القاضي أبو الفضل رضي
الله عنه قد بان بما قدمناه عقود الأنبياء صلوات الله عليهم في التوحيد والإيمان
والوحي وعصمتهم في ذلك على ما بيناه **فأما** ما عدا هذا الباب من عقود قلوبهم
فجماعها أنها مملوءة علما ويقينا على الجملة وأنها قد احتوت من المعرفة والعلم
بأمور الدين والدنيا ما لا شيء فوقه ومن طالع الأخبار واعتنى بالحديث وتأمل
ما قلناه وجده **وقد** قدمنا منه في حق نبينا صلى الله عليه وسلم في الباب الرابع
أول قسم من هذا الكتاب ما ينبه على ما وراءه إلا أن أحوالهم في هذه المعارف
تختلف **فأما** ما تعلق منها بأمر الدنيا فلا يشترط في حق الأنبياء العصمة من
عدم معرفة الأنبياء ببعضها أو اعتقادها على خلاف ما هي عليه ولا وصم
عليهم فيه إذ هممهم متعلقة بالآخرة وأنبائها وأمر الشريعة وقوانينها
وأمور الدنيا تضادها بخلاف غيرهم من أهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرا

من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون كما سنبين هذا في الباب الثاني
ان شاء الله تعالى ولكنه لا يقال انهم لا يعلمون شيئا من امر الدنيا فان ذلك
يؤدي الى الغفلة والبله وهم المنزهون عنه بل قد ارسلوا الى اهل الدنيا
وقلدوا سياستهم وهدايتهم والنظر في مصالح دينهم ودنياهم وهذا
لا يكون مع عدم العلم بأمور الدنيا بالكلية واحوال الانبياء عليهم السلام
وسيرهم في هذا الباب معلومة ومعرفتهم بذلك كله مشهورة **واما** ان كان [تمام]
هذا العقد فيما يتعلق بالدين فلا يصح من النبي الا العلم به ولا يجوز عليه
جهله جملة لانه لا يخلو ان يكون حصل عنده ذلك عن وحي من الله فهو
ما لا يصح الشك منه فيه على ما قدمناه فكيف الجهل بل حصل له العلم اليقين
او يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شيء على القول بتجويز وقوع
الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين وعلى مقتضى حديث ام سلمة اني **انما**
اقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل علي فيه خرجه الثقات وكقصة اسرى بدر
والاذن للمتخلفين على رأي بعضهم فلا يكون ايضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده
الا حقا وصحيحا **هذا** هو الحق الذي لا يلتفت الى خلاف من خالف فيه ممن
اجاز عليه الخطاء في الاجتهاد لا على القول بتصويب المجتهدين [قام عليه دليل]
الذي هو الحق والصواب عندنا ولا على القول الآخر بان الحق في طرف
واحد لعصمة النبي من الخطاء في الاجتهاد في الشرعيات ولان القول في
تخطئة المجتهدين انما هو بعد استقرار الشرع ونظر النبي واجتهاده انما
هو فيما لم ينزل عليه فيه شيء ولم يشرع له قبل هذا فيما عقد عليه
النبي قلبه فاما ما لم يعقد عليه قلبه من امر النوازل الشرعية فقد كان
لا يعلم منها اولا الا ما علمه الله شيئا شيئا حتى استقر علم جملها عنده اما

جمعها بوحي

له

بوحي من الله تعالى او اذن ان يشرع في ذلك ويحكم بما اراه الله وقد كان [استقر]
ينتظر الوحي في كثير منها ولكنه لم يمت صلى الله عليه وسلم حتى استفرغ علم جميعها [جملتها]
جميعها عنده وتقررت معارفه لديه على التحقيق ورفع الشك والريب وانتفاء
الجهل وبالجملة فلا يصح منه الجهل بشيء من تفاصيل الشرع الذي امر بالدعوة اليه
اذ لا يصح دعوته الى ما لا يعلمه **واما ما تعلق** بعقده من ملكوت السموات والارض
وخلق الله تعالى وتعيين اسمائه الحسنى وآياته الكبرى وامور الآخرة واشراط
الساعة واحوال السعداء والاشقياء وعلم ما كان ويكون مما لا يعلمه
الا بوحي فعلى ما تقدم من انه صلى الله عليه وسلم معصوم فيه لا يأخذه فيما اعلم
منه شك ولا ريب بل هو فيه على غاية اليقين لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل
ذلك وان كان عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر لقوله صلى الله عليه
اني لا اعلم الا ما علمني ربي ولقوله صلى الله عليه وسلم ولا خطر على قلب
بشر وفلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون وقول
موسى للخضر هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا وقوله صلى الله عليه وسلم
وقوله اسألك باسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم وقوله اسألك بكل
اسم سميت به نفسك او استأثرت به في علم الغيب عندك وقد قال الله تعالى [او استاثرت]
وفوق كل ذي علم عليم **قال** زيد بن اسلم وغيره حتى ينتهي العلم الى
الله تعالى وهذا ما لا خفاء به اذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها هذا
حكم عقد النبي عليه الصلوة والسلام في التوحيد والشرع والمعارف والامور
الدينية **فصل** واعلم ان الامة مجمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان [سوء]
وكفايته وحراسته منه لا في جسمه بانواع الاذى ولا على خاطره بالوساوس [بالوساوس]
وقد اخبرنا القاضي الحافظ ابو علي رحمه الله قال حدثنا ابو الفضل بن

ا

خبرون العدل حدثنا ابو بكر البرقاني وغيره حدثنا ابو الحسن الدارقطني حدثنا
اسمعيل الصفار حدثنا عباس الترقفي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفين عن منصور
عن سالم بن ابي الجعد عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه
من الملئكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي ولكن الله تعالى اعانني عليه
فاسلم زاد غيره عن منصور فلا يامرني الا بخير وعن عايشة بمعناه روي
فاسلم بضم الميم اي فاسلم انا منه وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها وروي
فاسلم يعني القرين انه انتقل عن حاله هو الى الاسلام فصار لا يامر الا بالخير
كالملك وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم فاستسلم قال القاضي ابو
الفضل رضي الله عنه فاذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط على كل احد من
بني ادم فكيف بمن بعد عنه ولم يلزم صحبته ولا اقدر على الدنو منه وقد
جاءت الاثار بتصدي الشياطين له في غير موطن رغبة في اطفاء نوره واماتة
نفسه وادخال شغل عليه اذ يئسوا من اغوايه فانقلبوا خاسرين كتعرضه
له في صلاته فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم واسره ففي الصحاح قال ابو
هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ان الشيطان عرض لي قال عبد الرزاق في
صورة هر فشد علي يقطع علي الصلوة فامكنني الله منه فذعته ولقد هممت
ان اوثقه الى سارية حتى تصبحوا تنظروا اليه فذكرت قول اخي سليمن رب
اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي الاية فرده الله خاسيا وفي
حديث ابي الدرداء عنه صلى الله عليه وسلم ان عدو الله ابليس جاء بشهاب
من نار ليجعله في وجه النبي صلى الله عليه وسلم في الصلوة وذكر تعوذه بالله
ولعنه له ثم اردت اخذه وذكر نحوه وقال لاصبح موثقا يتلاعب به ولدان اهل

المدينة وكذلك في حديثه في الاسراء وطلب عفريت له بشعلة نار فعلمه جبريل
عليه السلام ما يتعوذ به منه وذكره في الموطا ولما لم يقدر على اذاه بمباشرته
تسبب بالتوسط الى عداه كقضيته مع قريش في الايتمار بقتل النبي صلى الله عليه وسلم
وتصوره في صورة الشيخ النجدي ومرة اخرى في غزوة يوم بدر في صورة
سراقة بن مالك وهو قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الاية ومرة
ينذر بشانه عند بيعة العقبة وكل هذا فقد كفاه الله تعالى امره وعصمه
من ضره وشره وقد قال صلى الله عليه وسلم ان عيسى عليه السلام كفي من لمسه
فجاء ليطعن بيده في خاصرته حين ولد فطعن في الحجاب وقال صلى الله عليه
وسلم حين لد في مرضه وقيل له خشينا ان يكون بك ذات الجنب فقال انها
من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه علي فان قيل فما معنى قوله واما ينزغنك من
الشيطان نزغ الاية فقد قال بعض المفسرين انها راجعة الى قوله واعرض
عن الجاهلين ثم قال واما ينزغنك اي يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض
عنهم فاستعذ بالله وقيل النزغ هنا الفساد كما قال تعالى من بعد ان نزغ
الشيطان بيني وبين اخوتي وقيل ينزغنك يغرينك ويحركنك والنزغ ادنى
الوسوسة فامره الله تعالى انه متى تحرك عليه غضب على عدوه او رام الشيطان
من اغرايه به وخواطر اذاه في وساوسه ما لم يجعل له سبيل اليه ان يستعيذ منه فيكفى
امره ويكون سبب تمام عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض له ولم يجعل
له قدرة عليه وقد قيل في هذه الاية غير هذا وكذلك لا يصح ان يتصور له الشيطان
في صورة الملك ويلبس عليه لا في اول الرسالة ولا بعدها والاعتماد في ذلك
دليل المعجزة بل لا يشك النبي ان ما ياتيه من الله الملك ورسوله حقيقة اما بعلم ضروري
يخلقه الله تعالى له او ببرهان يظهر لديه لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل

[illegible]

لكماله به. فإن قيل فما معنى قوله تعالى: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا
إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الآية. فاعلم أن للناس في معنى هذه الآية أقاويل
منها السهل والوعث والسمين والغث. وأولى ما يقال فيها ما عليه الجمهور
من المفسرين أن التمني ها هنا التلاوة، وإلقاء الشيطان فيها إشغاله بخواطر وأذكار
من أمور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه أو يدخل
غير ذلك على أفهام السامعين من التحريف وسوء التأويل ما يزيله الله تعالى وينسخه
ويكشف لبسه ويحكم آياته، وسيأتي الكلام على هذه الآية بعد بأشبع من هذا إن
شاء الله تعالى. وقد حكى السمرقندي إنكار قول من قال بتسلط الشيطان على ملك
سليمان عليه السلام وغلبته عليه وأن مثل هذا لا يصح، وقد ذكرنا قصة سليمان
مبينة بعد هذا، ومن قال إن الجسد هو الولد الذي ولد له. وقال أبو محمد
مكي في قصة أيوب عليه السلام وقوله إني مسني الشيطان بنصب وعذاب
إنه لا يجوز لأحد أن يتأول أن الشيطان هو الذي أمرضه وألقى الضر في بدنه
ولا يكون ذلك إلا بفعل الله عز وجل وأمره ليبتليهم ويثيبهم. قال مكي
وقد قيل إن الذي أصابه من الشيطان ما وسوس به إلى أهله. فإن قلت فما معنى
قوله تعالى عن يوشع وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره، وقوله عن يوسف
فأنساه الشيطان ذكر ربه، وقول نبينا عليه الصلاة والسلام حين نام عن الصلاة
يوم الوادي إن هذا واد به شيطان، وقول موسى عليه السلام في وكزته هذا
من عمل الشيطان. فاعلم أن هذا الكلام قد يرد في جميع هذا على مورد مستمر
كلام العرب في وصفهم كل قبيح من شخص أو فعل بالشيطان أو فعله كما قال
الله تعالى طلعها كأنه رؤوس الشياطين، وقال صلى الله عليه وسلم فليقاتله فإنما هو
شيطان. وأيضا فإن قول يوشع لا يلزمنا الجواب عنه إذ لم يثبت له في ذلك الوقت

نبوة

خ تشغله
خ بتسليط
الشيطان

نبوة مع موسى عليه السلام، قال الله تعالى: وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى
أبرح حتى. والمروي أنه إنما نبئ بعد موت موسى، وقيل قبل موته. وقول
موسى كان قبل نبوته بدليل القرآن. وقصة يوسف قد ذكرنا أنها كانت كلها
قبل نبوته. وقد قال المفسرون في قوله تعالى فأنساه الشيطان قولين: أحدهما
أن الذي أنساه الشيطان ذكر ربه أحد صاحبي السجن، وربه الملك، أي أنساه أن
يذكر للملك شأن يوسف. وأيضا فإن مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه تسلط
على يوسف ويوشع بوساوس ونزغ، وإنما هو بشغل خواطرهما بأمور أخر
وتذكيرهما من أمورهما ما ينسيهما ما نسيا. وأما قوله صلى الله عليه وسلم
إن هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له، بل إن كان
بمقتضى ظاهره فقد بين أمر ذلك الشيطان بقوله إن الشيطان أتى بلالا فلم
يزل يهدئه كما يهدأ الصبي حتى نام. فاعلم أن تسلط الشيطان في ذلك الوادي
إنما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر. هذا إن جعلنا قوله صلى الله عليه وسلم
إن هذا واد به شيطان تنبيها على سبب النوم عن الصلاة، وأما إن جعلناه
تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي وعلة لترك الصلاة به، وهو دليل مساق
حديث زيد بن أسلم، فلا اعتراض به في هذا الباب لبيانه وارتفاع إشكاله.
فصل وأما أقواله صلى الله عليه وسلم فقد قامت الدلائل الواضحة
بصحة المعجز على صدقه، وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه صلى الله
عليه وسلم معصوم فيه من الإخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا
أو عمدا ولا سهوا وغلطا. أما تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل المعجز القائم
مقام قول الله تعالى صدق فيما قال اتفاقا، وبإطباق أهل الملة
إجماعا. وأما وقوعه على جهة الغلط في ذلك فبهذه السبيل عند الأستاذ أبي

خ تبل
ذكرنا
خ بوساوس
خ فقامت

إسحق الإسفرايني ومن قال بقوله ومن جهة الإجماع فقط وورود الشرع بانتفاء
ذلك وعصمة النبي صلى الله عليه وسلم لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي
أبي بكر الباقلاني ومن وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة لا نطول
بذكره فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه إجماع المسلمين أنه
لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم خلف في القول في إبلاغ الشريعة والإعلام بما
أخبر عن ربه تعالى وبما أوحاه إليه من وحيه لا على وجه العمد ولا على غير عمد
ولا في حال الرضى والسخط والصحة والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو
قلت يا رسول الله أأكتب كل ما أسمع منك قال نعم قلت في الرضى والغضب قال
نعم فإني لا أقول في ذلك كله إلا حقا ولنزد ما أشرنا إليه في دليل المعجزة عليه
بيانا فنقول إذا قامت المعجزة على صدقه صلى الله عليه وسلم وأنه لا يقول
إلا حقا ولا يبلغ عن الله تعالى إلا صدقا وأن المعجزة قائمة مقام قول الله تعالى
صدق عبدي فيما يذكر عني وهو يقول إني رسول الله إليكم لأبلغكم ما أرسلت
به إليكم وأبين لكم ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى
قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا فلا يصح أن يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على
أي وجه كان فلو جوزنا الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره ولا اختلط الحق
بالباطل فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص فتنزيه
النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله واجب برهانا وإجماعا كما قاله أبو إسحق

فصل وقد توجهت ها هنا لبعض الطاعنين سؤالات منها ما روي
من أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة والنجم قال أفرأيتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الأخرى قال تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتها لترتجى ويروى

ترتضى

ترتضى وفي رواية إن شفاعتهن لترتجى وإنها لمع الغرانيق العلى وفي أخرى
والغرانقة العلى تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم السورة سجد وسجد معه
المسلمون والكفار لما سمعوه أثنى على آلهتهم وما وقع في بعض الروايات أن الشيطان
ألقاها على لسانه وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمنى أن لو نزل عليه
شيء يقارب بينه وبين قومه وفي رواية أخرى أن لا ينزل عليه شيء ينفرهم
عنه وذكر هذه القصة وأن جبريل جاءه فعرض عليه هذه السورة
فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فحزن لذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى تسلية له وما أرسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الآية وقوله وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك الآية فاعلم
أكرمك الله أن لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين أحدهما في توهين
أصله والثاني على تسليمه أما المأخذ الأول فيكفيك أن هذا حديث لم
يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وإنما أولع
به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل
صحيح وسقيم وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال لقد بلي الناس
ببعض أهل الأهواء والتفسير وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته
واضطراب رواياته وانقطاع إسناده واختلاف كلماته فقائل يقول
إنه في الصلاة وآخر يقول قالها في نادي قومه حين أنزلت عليه السورة وآخر يقول
قالها وقد أصابته سنة وآخر يقول بل حدث نفسه فسها وآخر يقول إن الشيطان
قالها على لسانه وإن النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا أقرأتك
وآخر يقول بل أعلمهم الشيطان أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبي
صلى الله عليه وسلم ذلك قال والله ما هكذا أنزلت عليه عن ذلك من اختلاف

الرواة ومن حكيت عنه هذه الحكاية من المفسرين والتابعين لم يسندها
أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية والمرفوع (خ منه)
فيه حديث شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب الشك
في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة **قال** أبو بكر
البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد متصل
يجوز ذكره إلا هذا ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد
ابن جبير وإنما يعرف عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس فقد بين لك أبو بكر
رحمه الله أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه
عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه **وأما** حديث
الكلبي فما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما أشار إليه البزار
رحمه الله تعالى والذي منه في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم
وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس هذا توهينه من
طريق النقل **فأما** من جهة المعنى فقد قامت الحجة وأجمعت الأمة على عصمته
عليه الصلاة والسلام ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة أما من تمنيه أن ينزل (خ النقيصة)
عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله تعالى وهو كفر أو أن يتسور عليه الشيطان
ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم
أن من القرآن ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم أن من القرآن ما ليس
منه حتى ينبهه عليه جبريل عليهما السلام وذلك كله ممتنع في حقه عليه الصلاة
والسلام أو يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمدا وذلك كفر
أو سهوا وهو معصوم من هذا كله **وقد** قررنا بالبرهان والإجماع عصمته عليه
الصلاة والسلام من جريان الكفر على قلبه أو لسانه لا عمدا ولا سهوا أو أن يتشبه

عليه

عليه ما يلقيه الملك مما يلقيه الشيطان أو يكون للشيطان عليه سبيل أو أن يتقول
على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد قال تعالى ولو تقول علينا بعض الأقاويل
الآية وقال تعالى إذًا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الآية **ووجه ثان**
وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا وذلك أن هذا الكلام لو كان كما روي
لكان بعيد الالتئام متناقض الأقسام ممتزج المدح بالذم متخاذل التأليف والنظم
ولما كان النبي عليه الصلاة والسلام ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد
المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على أدنى متأمل فكيف بمن رجح حلمه
واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه **ووجه ثالث** أنه قد علم
من عادة المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين
نفورهم لأول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لأقل فتنة
وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه
مرض ممن أظهر الإسلام لأدنى شبهة ولم يحك أحد في هذه القصة شيئا
سوى هذه الرواية الضعيفة الأصل ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على
المسلمين الصولة ولأقامت بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوا مكابرة في قصة الإسراء
حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة وكذلك ما روي في قصة القضية (خ وارد)
ولا فتنة أعظم من هذه البلية لو وجدت ولا تشغيب للمعادي حينئذ
أشد من هذه الحادثة لو أمكنت فما روي عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم
بسببها بنت شفة فدل على بطلها واجتثاث أصلها ولا شك في إدخال بعض (خ بطلانها)
شياطين الإنس والجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ليلبس به على ضعفاء (خ أو)
المسلمين **ووجه رابع** ذكر الرواة لهذه القضية أن فيها نزلت وإن كادوا
ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك الآيتين وهاتان الآيتان تردان الخبر الذي

دون لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا يفتنونه حتى يفتري وأنه لولا أن ثبته لقد
كاد يركن إليهم فمضمون هذا ومفهومه أن الله تعالى عصمه من أن يفتري وثبته حتى لم
يركن إليهم شيئا قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون
والافتراء بمدح آلهتهم وأنه عليه الصلوة والسلام قال افتريت على الله تعالى وقلت
ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الآية وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له وهذا
مثل قوله تعالى في الآية الأخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن
يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وقد روي عن ابن عباس
كل ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون قال الله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار
ولم يذهبها وقال تعالى أكاد أخفيها ولم يفعل قال القشيري القاضي ولقد
طالبته قريش وثقيف إذ مر بآلهتهم أن يقبل بوجهه عليها ووعدوه الإيمان به إن فعل
فما فعل ولا كان ليفعل قال ابن الأنباري ما قارب الرسول صلى الله عليه وسلم
ولا ركن وقد ذكرت في معنى الآية تفاسير أخر ما ذكرناه من نص الله تعالى على عصمة
رسوله صلى الله عليه وسلم ترد سفسافها فلم يبق في الآية إلا أن الله تعالى امتن على
رسوله صلى الله عليه وسلم بعصمته وتثبيته بما كاده به الكفار وراموا من فتنته
ومرادنا من ذلك كله تنزيهه وعصمته صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم
الآية وأما المأخذ الثاني فهو مبني على تسليم الحديث لو صح وقد أعاذنا
الله تعالى من صحته ولكن على كل حال فقد أجاب عن ذلك أئمة المسلمين
بأجوبة منها الغث والسمين فمنها ما روى قتادة ومقاتل أن النبي صلى الله
عليه وسلم أصابته سنة عند قراءته هذه السورة فجرى هذا الكلام على
لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح إذ لا يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم مثله
في حالة من أحواله ولا يخلقه الله تعالى على لسانه ولا يستولي الشيطان عليه

في نوم ولا يقظة لعصمته صلى الله عليه وسلم في هذا الباب من جميع العمد
والسهو وفي قول الكلبي أن النبي صلى الله عليه وسلم حدث نفسه فقال
ذلك الشيطان على لسانه وفي رواية ابن شهاب عن أبي بكر بن عبد الرحمن قال
وسها فلما أخبر بذلك قال إنما ذلك من الشيطان وكل هذا لا يصح أن
يقوله عليه الصلوة والسلام لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه
وقيل لعل النبي صلى الله عليه وسلم قاله أثناء تلاوته على تقدير التقرير
والتوبيخ للكفار كقول إبراهيم عليه السلام هذا ربي على أحد التأويلات
وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع
إلى تلاوته وهذا ممكن مع بيان الفصل وقرينة تدل على المراد وأنه ليس
من المتلو وهو أحد ما ذكره القاضي أبو بكر ولا يعترض على هذا بما روي أنه
كان في الصلوة فقد كان الكلام قبل فيها غير ممنوع والذي يظهر ويترجح في
تأويله عنده وعند غيره من المحققين على تسليمه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان
كما أمره ربه يرتل القرآن ترتيلا ويفصل الآي تفصيلا في قراءته كما قاله الثقات
عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات
محاكيا نغمة النبي عليه الصلوة والسلام بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار فظنوها
من قول النبي صلى الله عليه وسلم وأشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ
السورة قبل ذلك على ما أنزلها الله تعالى وتحققهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم
في ذم الأوثان وعيبها ما عرف منه وقد حكى موسى بن عقبة في مغازيه نحو
هذا وقال إن المسلمين لم يسمعوها وإنما ألقى الشيطان ذلك في أسماع المشركين وقلوبهم
ويكون ما روي من حزن النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الإشاعة والشبهة وسبب هذه
الفتنة وقد قال الله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية فعنى

تمنى تلا قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب إلا أماني أي تلاوة وقوله فينسخ الله ما يلقي
الشيطان أي يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم آياته وقيل معنى الآية هو ما يقع للنبي صلى
الله عليه وسلم من السهو إذا قرأ فينتبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في
الآية أنه حدث نفسه وقال إذا تمنى أي حدث نفسه وفي رواية أبي بكر بن عبد
الرحمن نحوه وهذا السهو في القراءة إنما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني وتبديل
الألفاظ وزيادة ما ليس من القرآن بل السهو عن إسقاط آية منه أو كلمة ولكنه
صلى الله عليه وسلم لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للحين على
ما سنذكره في حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز ومما يظهر في تأويله أيضا أن
مجاهدا روى هذه القصة والغرانيق العلى فإن سلمنا القصة قلنا لا يبعد أن
هذا كان قرآنا والمراد بالغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه
الرواية وبهذا فسر الكلبي الغرانيق أنها الملائكة وذلك أن الكفار كانوا يعتقدون
الأوثان والملائكة بنات الله سبحانه كما حكى الله تعالى عنهم ورد عليهم في هذه
السورة بقوله تعالى ألكم الذكر وله الأنثى فأنكر الله سبحانه كل هذا من قولهم ورجاء
الشفاعة من الملائكة صحيح فلما تأوله المشركون على أن المراد بهذا الذكر آلهتهم
ولبس عليهم الشيطان ذلك وزينه في قلوبهم وألقاه إليهم نسخ الله تعالى ما يلقي
الشيطان وأحكم آياته ورفع تلاوة تينك اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا
للإلباس كما نسخ كثير من القرآن ورفعت تلاوته وكان في إنزال الله تعالى لذلك
حكمة وفي نسخه حكمة ليضل به من يشاء ويهدي من يشاء وما يضل به إلا الفاسقين وليجعل
ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق
بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم الآية
وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ ذكر اللات والعزى

ومناة

ومناة الثالثة الأخرى خاف الكفار أن يأتي بشيء من ذمها فسبقوا إلى مدحها
بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ويشنعوا عليه على عادتهم
وقولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل إلى
الشيطان لحمله لهم وأشاعوا ذلك وأذاعوه وأن النبي صلى الله عليه وسلم قاله فحزن
لذلك من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه الله تعالى وما أرسلنا من قبلك
الآية وبين للناس الحق من ذلك من الباطل وحفظ القرآن وأحكم آياته ودفع
ما لبس به العدو كما ضمنه تعالى من قوله إنا نحن نزلنا الذكر الآية ومن ذلك ما
روي من قصة يونس عليه السلام أنه وعد قومه بالعذاب عن ربه فلما تابوا
كشف عنهم العذاب فقال لا أرجع إليهم كذابا أبدا فذهب مغاضبا
قال القاضي رحمه الله فاعلم أكرمك الله أن ليس في خبر من الأخبار الوارد
في هذا الباب أن يونس قال لهم إن الله مهلككم وإنما فيه أنه دعا عليهم
بالهلاك والدعاء ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه قال لهم إن العذاب
مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع الله عنهم العذاب وتداركهم
قال الله تعالى إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي الآية وروي في الأخبار
أنهم رأوا دلائل العذاب ومخايله قاله ابن مسعود وقال سعيد بن جبير غشا
العذاب كما يغشي الثوب القبر فإن قلت فما معنى ما روي من أن عبد الله بن أبي
سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا وصار إلى قريش
فقال لهم إني كنت أصرف محمدا حيث أريد كان يملي علي عزيز حكيم فأقول
أو عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وفي حديث آخر فيقول له النبي صلى الله
عليه وسلم اكتب كذا فيقول أكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت ويقول اكتب
عليما حكيما فيقول أكتب سميعا بصيرا فيقول له اكتب كيف شئت وفي الصحيح

عن أنس أن نصرانيا كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم بعدما أسلم ثم ارتد وكان
يقول ما يدري محمد إلا ما كتبت له **فاعلم** ثبتنا الله وإياك على الحق ولا جعل
للشيطان وتلبيسه الحق بالباطل إلينا سبيلا أن مثل هذه الحكاية أولا لا توقع
في قلب مؤمن ريبا إذ هي حكاية عمن ارتد وكفر بالله تعالى ونحن لا نقبل خبر المسلم
المتهم فكيف بكافر قد افترى هو ومثله على الله ورسله ما هو أعظم من هذا والعجب
لسليم العقل يشغل بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت من عدو كافر مبغض
للدين مفتر على الله ورسوله ولم يرد عن أحد من المسلمين ولا ذكر أحد من
الصحابة أنه شاهد ما قاله وافتراه على نبي الله عليه الصلاة والسلام وإنما
يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله الآية وما وقع من ذكرها في حديث أنس
وظاهر حكايتها له فليس فيها ما يدل أنه شاهدها ولعله حكى ما سمع وقد
علل البزار حديثه ذلك وقال رواه ثابت عنه ولم يتابع عليه ورواه حميد
عن أنس قال وأظن حميدا إنما سمعه من ثابت **قال** القاضي رضي الله عنه ولهذا
والله أعلم لم يخرج أهل الصحيح حديث ثابت ولا حميد والصحيح حديث عبد
العزيز بن رفيع عن أنس الذي خرجه أهل الصحة وذكرناه وليس فيه عن أنس
قول شيء من ذلك من قبل نفسه إلا من حكايته عن المرتد النصراني ولو كانت صحيحة
لما كان فيها قدح ولا توهين للنبي صلى الله عليه وسلم فيما أوحي إليه ولا جواز
للنسيان والغلط عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن في نظم القرآن وأنه
من عند الله إذ ليس فيه لو صح أكثر من أن الكاتب قال له عليم حكيم أو كتبه
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هو فسبقه لسانه أو قلمه لكلمة أو كلمتين
مما نزل على الرسول قبل إظهار الرسول لها إذ كان ما تقدم مما أملاه الرسول
عليه الصلوة والسلام يدل عليها ويقتضي وقوعها بقوة قدرة الكاتب على الكلام

ومعرفته

ومعرفته به وجودة حسه وفطنته كما يتفق ذلك للعارف إذا سمع البيت أن يسبق
إلى قافيته أو مبتدأ الكلام الحسن إلى ما يتمه ولا يتفق ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق
ذلك في آية ولا سورة **وكذلك** قوله صلى الله عليه وسلم إن صح كل صواب فقد
يكون هذا فيما كان فيه من مقاطع الآي وجهان وقراءتان أنزلتا جميعا على
النبي صلى الله عليه وسلم فأملى إحداهما وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى
الكلام إلى الأخرى فذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم قبل ذكر النبي صلى الله
عليه وسلم لها كما قدمناه فصوبها له النبي صلى الله عليه وسلم ثم أحكم الله تعالى
من ذلك ما أحكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد ذلك في بعض مقاطع الآي مثل قوله
تعالى إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم وهذه
قراءة الجمهور وقد قرأ جماعة فإنك أنت الغفور الرحيم وليست من المصحف وكذلك
كلمات جاءت على وجهين في غير المقاطع قرأ بهما معا الجمهور وثبتتا في المصحف
مثل وانظر إلى العظام كيف ننشرها وننشزها ويقص الحق ويقضي الحق وكل
هذا لا يوجب ريبا ولا يسبب للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا ولا وهما **وقد**
قيل إن هذا يحتمل أن يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم إلى الناس غير القرآن
فيصف الله عز وجل ويسميه في ذلك الكتاب كيف شاء **فصل** هذا القول
فيما طريقه البلاغ وأما ما ليس سبيله البلاغ من الأخبار التي لا مستند لها
إلى الأحكام ولا أخبار المعاد ولا تضاف إلى وحي بل في أمور الدنيا وأحوال نفسه
فالذي يجب اعتقاده تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يقع خبره في شيء من
ذلك بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وأنه معصوم من ذلك في حال رضاه
وفي حال سخطه وجده ومزحه وصحته ومرضه **ودليل** ذلك اتفاق
السلف وإجماعهم عليه وذلك أنا نعلم من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم

إلى تصديقه جميع أقواله والثقة بجميع أخباره في أي باب كانت وعن أي شيء
وقعت وأنه لم يكن لهم توقف ولا تردد في شيء منها ولا استثبات عن حاله
عند ذلك هل وقع فيها سهو أم لا ولما احتج ابن أبي الحقيق اليهودي على عمر
رضي الله عنه حين أجلاهم من خيبر بإقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم
لهم واحتج عليه عمر بقول النبي صلى الله عليه وسلم كيف بك إذا أخرجت من
خيبر فقال له اليهودي كانت هزيلة من أبي القاسم فقال عمر كذبت
يا عدو الله وأيضا فإن أخباره وآثاره وسيره وشمائله معتنى بها مستقصى
تفاصيلها ولم يرد في شيء منها استدراكه عليه الصلاة والسلام لغلط
في قول قاله أو اعترافه بوهم في شيء أخبر به ولو كان ذلك لنقل كما نقل من
قصته صلى الله عليه وسلم رجوعه عما أشار به على الأنصار في تلقيح النخل
وكان ذلك رأيا لا خبرا وغير ذلك من الأمور التي ليست من هذا الباب
كقوله صلى الله عليه وسلم والله لا أحلف على يمين فأرى خيرا منها إلا فعلت
الذي حلفت عليه وكفرت عن يميني وقوله إنكم تختصمون إلي الحديث
وقوله اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين كل ما في هذا من مشكل
في هذا الباب والذي بعده إن شاء الله تعالى مع أشباهها وأيضا فإن
الكذب متى عرف من أحد في شيء من الأخبار بخلاف ما هو على أي وجه
كان استريب بخبره واتهم في حديثه ولم يقع قوله في النفوس موقعا ولهذا
ما ترك المحدثون والعلماء الحديث عمن عرف بالوهم والغفلة وسوء الحفظ
وكثرة الغلط مع ثقته وأيضا فإن تعمد الكذب في أمور الدنيا معصية والإكثار
منه كبيرة بإجماع مسقط للمروءة وكل هذا مما ينزه عنه منصب النبوة والمرة
الواحدة منه فيما يستبشع ويستشنع مما يخل بصاحبها ويزري بقائلها لاحقة

بذلك

بذلك وأما فيما لا يقع هذا الموقع فإن عددناها من الصغائر فهل تجري على
حكمها في الخلاف فيها مختلف فيه والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره
سهوه وعمده إذ عمدة النبوة البلاغ والإعلام والتبيين وتصديق ما جاء
به النبي وتجويز شيء من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه مناقض للمعجزة
فلنقطع عن يقين بأنه لا يجوز على الأنبياء خلف في القول في وجه من الوجوه
لا بقصد ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من تسامح في تجويز ذلك عليهم حال
السهو فيما ليس طريقه البلاغ نعم وبأنه لا يجوز عليهم الكذب قبل
النبوة ولا الاتسام به في أمورهم وأحوال دنياهم لأن ذلك كان يزري
ويريب بهم وينفر القلوب عن تصديقهم بعد وانظر أحوال أهل
عصر النبي صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرها من الأمم وسؤالهم عن
حاله في صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك واعترفوا بما عرف واتفق النقل
على عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم منه قبل وبعد وقد ذكرنا من الآثار فيه
في الباب الثاني أول الكتاب ما يبين لك صحة ما أشرنا إليه

فصل

فإن قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث السهو الذي حدثنا به
الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر قال حدثنا القاضي أبو الأصبغ ابن سهل
قال حدثنا حاتم بن محمد حدثنا أبو عبد الله بن الفخار حدثنا أبو عيسى حدثنا
عبيد الله حدثنا يحيى عن مالك عن داود بن الحصين عن أبي سفيان مولى ابن أبي
أحمد أنه قال سمعت أبا هريرة يقول صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسلم في ركعتين فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله أقصرت الصلاة أم
نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن وفي الرواية
الأخرى ما قصرت وما نسيت الحديث بقصته فأخبر بنفي الحالتين وأنها

لم يكن وقد كان أحد ذلك كما قال له ذو اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول
الله فاعلم وفقنا الله وإياك أن للعلماء في ذلك أجوبة بعضها بصدد الإنصاف
ومنها ما هو بنية التعسف والاعتساف وها أنا أقول أما على القول بتجويز
الوهم والغلط فيما ليس طريقه من القول البلاغ وهو القول الذي زيفناه
من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه وأما على مذهب من يمنع
السهو والنسيان في أفعاله جملة ويرى أنه في مثل هذا عامد لصورة
النسيان ليسن فهو صادق في خبره لأنه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا
القول تعمد هذا الفعل في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله وهو
قول مرغوب عنه نذكره في موضعه وأما على إحالة السهو عليه في الأقوال
وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه أجوبة منها
أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن اعتقاده وضميره أما إنكار القصر
فحق وصدق ظاهرا وباطنا وأما النسيان فأخبر صلى الله عليه وسلم
عن اعتقاده وأنه لم ينس في ظنه فكأنه قصد الخبر بهذا عن ظنه وإن لم
ينطق به وهو صدق أيضا ووجه ثان أن قوله ولم أنس راجع إلى السلام
أي إني سلمت قصدا وسهوت عن العدد أي لم أسه في نفس السلام وهذا
محتمل وفيه بعد ووجه ثالث وهو أبعدها ما ذهب إليه بعضهم وإن
احتمله اللفظ من قوله كل ذلك لم يكن أي لم يجتمع القصر والنسيان بل كان أحدهما
ومفهوم اللفظ خلافه مع الرواية الأخرى الصحيحة وهو قوله ما قصرت
الصلاة وما نسيت هذا ما رأيت فيه لأئمتنا وكل من هذه الوجوه محتمل للفظ
على بعد بعضها وتعسف الآخر منها قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه
والذي أقول ويظهر لي أنه أقرب من هذه الوجوه كلها أن قوله لم أنس

انكار

إنكار للفظ الذي نفاه عن نفسه وأنكره على غيره بقوله بئس ما لأحدكم أن يقول
نسيت آية كذا وكذا ولكنه نُسّي وبقوله في بعض روايات الحديث الآخر
لست أنسى ولكن أُنسّى فلما قال له السائل أقصرت الصلاة أم نسيت أنكر قصرها
كما كان ونسيانه هو من قبل نفسه وأنه إن كان جرى شيء من ذلك فقد
نُسّي حتى سأل عنه فتحقق أنه نُسّي وأُجري عليه ذلك ليسن فقوله على هذا
لم أنس ولم تقصر وكل ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه
نُسّي ووجه آخر استثرته من كلام بعض المشايخ وذلك أنه قال
إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه النسيان
قال لأن النسيان غفلة وآفة والسهو إنما هو شغل بال فكان النبي عليه
الصلاة والسلام يسهو في صلاته ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات
الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها فهذا إن تحقق على هذا المعنى لم يكن
في قوله ما قصرت وما نسيت خلف في قول وعندي أن قوله ما قصرت وما
نسيت بمعنى الترك الذي هو أحد وجهي النسيان أراد والله أعلم ~~أني لم أسلم~~
أني لم أسلم من ركعتين تاركا لإكمال الصلاة ولكني نسيت ولم يكن ذلك من قبل
نفسي والدليل على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح إني
لأنسى أو أُنسّى لأسن وأما قصة كلمات إبراهيم عليه السلام المذكورة في الحديث
أنها كذباته الثلاث المنصوصة في القرآن منها اثنتان قوله إني سقيم وبل فعله
كبيرهم هذا وقوله للملك عن زوجته إنها أختي فاعلم أكرمك الله أن
هذه كلها خارجة عن الكذب لا في القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب
المعاريض التي فيها مندوحة عن الكذب أما قوله إني سقيم فقال الحسن
وغيره معناه سأسقم أي إن كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه من الخروج

معتهم الى عيدهم لهذا **وقيل** بل سقيم بما قدر علي من الموت **وقيل** بل سقيم
القلب بما شاهدته من كفركم وعنادكم **وقيل** بل كانت الحمى تأخذه عند
طلوع نجم معلوم فلما رآه اعتذر بعادته وكل هذا ليس فيه كذب بل هو
خبر صحيح صدق **وقيل** بل عرض بسقم حجته عليهم وضعف ما أراد بيانه
لهم من جهة النجوم التي كانوا يشتغلون بها وأنه أثناء نظره في ذلك وقبل
استقامة حجته عليهم في حال سقم ومرض حال مع أنه لم يشك هو ولا
ضعف في استدلاله عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول
حتى ألهمه الله باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب والقمر والشمس مما
نصه الله سبحانه وقد قدمنا بيانه **وأما قوله** بل فعله كبيرهم هذا الآية فإنه
علق خبره بشرط نطقه كأنه قال إن كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه
وهذا صدق أيضا ولا خلف فيه **وأما قوله** أختي فقد بين في الحديث
وقال فإنك أختي في الإسلام وهو صدق والله تعالى يقول إنما المؤمنون
إخوة **فإن** قلت فهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد سماها كذبات وقال لم
يكذب ابراهيم إلا ثلاث كذبات **وقال** في حديث الشفاعة ويذكر كذباته
فمعناه أنه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وإن كان حقا في الباطن
إلا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها أشفق ابراهيم عليه
السلام من مؤاخذته بها **وأما** الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم
إذا أراد غزوة ورى بغيرها فليس فيه خلف في القول إنما هو ستر مقصده
لئلا يأخذ عدوه حذره وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال عن موضع آخر
والبحث عن أخباره والتعريض بذكره لا أنه يقول تجهزوا إلى غزوة كذا
أو وجهتنا إلى موضع كذا خلاف مقصده فهذا لم يكن والأول ليس فيه خبر

يدخله

يدخله الخلف **فإن** قلت فما معنى قول موسى عليه السلام وقد سئل أي الناس
أعلم فعتب الله تعالى عليه إذ لم يرد العلم إليه الحديث وفيه قال بل عبد لنا
بمجمع البحرين أعلم منك وهذا خبر قد أنبأ الله تعالى أنه ليس كذلك **فاعلم** أنه
وقع في هذا الحديث من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس هل تعلم أحدا أعلم
منك فإذا كان جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق لا خلف فيه ولا شبهة
وعلى الطريق الآخر فمحمله على ظنه ومعتقده كما لو صرح به لأن حاله في النبوة
والاصطفاء تقتضي ذلك فيكون إخباره بذلك أيضا عن اعتقاده وحسبانه
صدقا لا خلف فيه وقد يريد بقوله أنا أعلم بما تقتضيه وظائف النبوة من علوم
التوحيد وأمور الشريعة وسياسة الأمة ويكون الخضر أعلم منه بأمور
أخر مما لا يعلمه أحد إلا بإعلام الله تعالى من علوم غيبه كالقصص المذكورة
في خبرهما فكان موسى أعلم على الجملة بما تقدم وهذا أعلم على الخصوص بما
أعلم **ويدل** عليه قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وعتب الله تعالى ذلك
عليه فيما قاله العلماء إنكار هذا القول عليه لأنه لم يرد العلم إليه كما قالت
الملائكة لا علم لنا إلا ما علمتنا أو لأنه لم يرض قوله شرعا وذلك والله أعلم
لئلا يقتدي به فيه من لم يبلغ كماله في تزكية نفسه وعلو درجته من
أمته فيهلك لما تضمنه من مدح الإنسان نفسه ويورثه ذلك من الكبر
والعجب والتعاطي والدعوى وإن نزه عن هذه الرذائل الأنبياء عليهم
السلام فغيرهم بمدرجة سبيلها ودرك ليلها إلا من عصمه الله تعالى فالتحفظ
منها أولى لنفسه وليقتدى به **ولهذا** قال صلى الله عليه وسلم تحفظا من
مثل هذا مما قد علم به أنا سيد ولد آدم ولا فخر **وهذا** الحديث إحدى
حجج القائلين بنبوة الخضر لقوله فيه إنه أعلم من موسى ولا يكون الولي أعلم

من النبي وأما الأنبياء عليهم السلام فيتفاضلون في المعارف وبقوله وما
فعلته عن أمري فدل أنه بوحي ومن قال إنه ليس بنبي قال يحتمل أنه فعله
بأمر نبي آخر وهذا يضعف لأنه ما علمنا أنه كان في زمن موسى نبي غيره إلا
أخاه هرون وما نقل أحد من أهل الأخبار في ذلك شيئا يعول عليه
وإذا جعلنا أعلم منك ليس على العموم وإنما هو على الخصوص وفي قضايا
معينة لم نحتج إلى إثبات نبوة خضر ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى أعلم
من الخضر فيما أخذ عن الله والخضر أعلم فيما دفع إليه من موسى وقال آخر
إنما ألجئ موسى إلى الخضر للتأديب لا للتعليم **فصل** وأما ما يتعلق
بالجوارح من الأعمال ولا يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر
الذي وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد وما قدمناه
من معارفه المختصة به فأجمع المسلمون على عصمة الأنبياء من الفواحش والكبائر
الموبقات ومستند الجمهور في ذلك الإجماع الذي ذكرناه وهو مذهب
القاضي أبي بكر ومنعها غيره بدليل العقل مع الإجماع وهو قول الكافة واختاره
الأستاذ أبو إسحق وكذلك لا خلاف أنهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير
في التبليغ لأن كل ذلك تقتضي العصمة منه مع الإجماع على ذلك من الكافة
والجمهور قائل بأنهم معصومون من ذلك من قبل الله تعالى معتصمون
باختيارهم وكسبهم إلا حسينا النجار فإنه قال لا قدرة لهم على المعاصي أصلا
وأما الصغائر فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الأنبياء وهو مذهب
أبي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين وسنورد بعد
هذا ما احتجوا به وذهبت طائفة أخرى إلى الوقف وقالوا العقل لا
يحيل وقوعها منهم ولم يأت في الشرع قاطع بأحد الوجهين وذهبت طائفة

أخرى

أخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين إلى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم
من الكبائر قالوا لاختلاف الناس في الصغائر وتعيينها من الكبائر وإشكال
ذلك وقول ابن عباس وغيره إن كل ما عصي الله به فهو كبيرة وإنه إنما سمي
منها الصغيرة بالإضافة إلى ما هو أكبر منه ومخالفة الباري في أي أمر كان
يجب كونه كبيرة قال القاضي أبو محمد عبد الوهاب لا يمكن أن يقال إن في
معاصي الله تعالى صغيرة إلا على معنى أنها تغتفر باجتناب الكبائر ولا يكون
لها حكم مع ذلك بخلاف الكبائر إذا لم يتب منها فلا يحبطها والمشيئة في العفو
عنها إلى الله تعالى وهو قول القاضي أبي بكر وجماعة أئمة الأشعرية وكثير
من أئمة الفقهاء قال القاضي أبو الفضل رحمه الله وقال بعض أئمتنا ولا
يجب على القولين أن يختلف أنهم معصومون عن تكرار الصغائر وكثرتها إذ يلحقها
ذلك بالكبائر ولا في صغيرة أدت إلى إزالة الحشمة وأسقطت المروءة وأوجبت
الإزراء والخساسة فهذا أيضا مما يعصم منه الأنبياء إجماعا لأن مثل هذا
يحط منصب المتسم به ويزري بصاحبه وينفر القلوب عنه والأنبياء
منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا ما كان من قبيل المباح فأدى إلى مثله لخروجه
بما أدى إليه عن اسم المباح إلى الحظر وقد ذهب بعضهم إلى عصمتهم من
مواقعة المكروه قصدا وقد استدل بعض الأئمة على عصمتهم من الصغائر
بالمصير إلى امتثال أفعالهم واتباع آثارهم وسيرهم مطلقا وجمهور الفقهاء
على ذلك من أصحاب مالك والشافعي وأبي حنيفة من غير التزام قرينة بل
مطلقا عند بعضهم وإن اختلفوا في حكم ذلك وحكى ابن خويز منداد وأبو
الفرج عن مالك التزام ذلك وجوبا وهو قول الأبهري وابن القصار وأكثر
أصحابنا وقول أكثر أهل العراق وابن سريج والإصطخري وابن خيران

من التابعين وأكثر الشافعية على أن ذلك ندب وذهبت طائفة إلى الإباحة
وقيد بعضهم الاتباع فيما كان من الأمور الدينية وعلم به مقصد القربة ومن
قال بالإباحة في أفعاله لم يقيد **قال** فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء
بهم في أفعالهم إذ ليس كل فعل من أفعاله يتميز مقصده به من القربة أو الإباحة
أو الحظر أو المعصية ولا يصح أن يؤمر المرء بامتثال أمر لعله معصية
لا سيما على من يرى تقديم الفعل على القول إذا تعارضا من الأصوليين
ونزيد هذا حجة بأن نقول من جوز الصغائر ومن نفاها عن نبينا صلى الله
عليه وسلم مجمعون أنه لا يقر على منكر من قول أو فعل وأنه متى رأى شيئا فسكت
عنه صلى الله عليه وسلم دل على جوازه فكيف يكون هذا حاله في حق غيره ثم
يجوز وقوعه منه في نفسه وعلى هذا المأخذ تجب عصمتهم من مواقعة
المكروه كما قيل وإذ الحظر أو الندب على الاقتداء بفعله ينافي الزجر والنهي
عن فعل المكروه **وأيضا** فقد علم من دين الصحابة قطعا الاقتداء بأفعال
النبي صلى الله عليه وسلم كيف توجهت وفي كل فن كالاقتداء بأقواله فقد
نبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع نعله واحتجاجهم
برؤية ابن عمر إياه جالسا لقضاء حاجته مستقبلا بيت المقدس واحتج غير
واحد منهم في غير شيء مما بابه العبادة أو العادة بقوله رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يفعله **وقال** صلى الله عليه وسلم هلا أخبرتيها إني أقبل
وأنا صائم **وقالت** عائشة محتجة كنت أفعله أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم
وغضب عليه الصلاة والسلام على الذي أخبر بمثل هذا عنه فقال يحل الله
لرسوله ما يشاء **وقال** إني لأخشاكم لله وأعلمكم بحدوده والآثار في هذا أكثر
من أن نحيط بها لكنه يعلم من مجموعها على القطع اتباعهم أفعاله واقتداءهم بها

خ أفعالهم
خ ق رؤية
خ أخبرتها
نحيط

ولو

ولو جوزوا عليه المخالفة في شيء منها لما اتسق هذا ولنقل عنهم وظهر بحثهم
عن ذلك ولما أنكر عليه الصلاة والسلام على الآخر قوله واعتذاره بما ذكرناه
وأما المباحات فجائز وقوعها منهم إذ ليس فيها قدح بل هي مأذون فيها وأيديهم
كأيدي غيرهم مسلطة عليها إلا أنهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت
له صدورهم من أنوار المعرفة واصطفوا به من تعلق بالهم بالله والدار
الآخرة لا يأخذون من المباحات إلا الضرورات مما يتقوون به على سلوك
طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم وما أخذ على هذه السبيل التحق
طاعة وصار قربة كما بينا منه أول الكتاب طرفا في خصال نبينا صلى الله عليه
وسلم فبان لك عظيم فضل الله تعالى على نبينا وعلى سائر أنبيائه عليهم
الصلاة والسلام بأن جعل أفعالهم قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة
ورسم المعصية **فصل** وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة
فمنعها قوم وجوزها آخرون **والصحيح** إن شاء الله تعالى تنزيههم من كل عيب
وعصمتهم من كل ما يوجب الريب فكيف والمسألة تصورها كالممتنع
فإن المعاصي والنواهي إنما تكون بعد تقرر الشرع **وقد** اختلف الناس
في حال نبينا عليه الصلاة والسلام قبل أن يوحى إليه هل كان متبعا لشرع
قبله أم لا **فقال** جماعة لم يكن متبعا لشيء وهو قول الجمهور فالمعاصي على هذا
القول غير موجودة ولا معتبرة في حقه حينئذ إذ الأحكام الشرعية إنما
تتعلق بالأوامر والنواهي وتقرر الشريعة **ثم اختلفت** حجج القائلين بهذه المقالة
عليها **فذهب** سيف السنة ومقتدى فرق الأمة القاضي أبو بكر إلى أن طريق
العلم بذلك النقل وموارد الخبر من طريق السمع **وحجته** أنه لو كان ذلك
لنقل ولما أمكن كتمه وستره في العادة إذ كان من مهم أمره وأولى ما اهتبل به

خ تبرئتهم
ثم
خ أم لا
لشرع

من شريعته ولنخبر به أهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شيء من ذلك
جملة **وذهبت** طائفة الى امتناع ذلك عقلا **قالوا** لأنه يبعد ان يكون متبوعا من
عرف تابعا وسواء هذا على التحسين والتقبيح وهي طريقة عبد الجبار واسناد
ذلك الى النقل كما تقدم للقاضي ابي بكر اولى واظهر **وقالت** فرقة اخرى
بالوقف في امر صلى الله عليه وسلم وترك قطع الحكم عليه بشيء في ذلك اذ
لم يحل الوجهين منها العقل ولا استبان عندها في احدهما طريق النقل
وهو مذهب ابي المعالي **وقالت** فرقة ثالثة الى انه كان عاملا بشرع من
قبله **ثم اختلفوا** هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم عن تعيينه
واحجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم **ثم اختلفت** هذه المعينة فيمن كان
يتبع **فقيل** نوح **وقيل** ابراهيم **وقيل** موسى **وقيل** عيسى صلوات الله عليهم
اجمعين **فهذه** جملة المذاهب في هذه المسألة **والأظهر** فيها ما ذهب اليه
القاضي ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين اذ لو كان شيء من ذلك لنقل
كما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم في ان عيسى عليه السلام آخر الأنبياء
فلزمت شريعته من جاء بعدها اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى عليه السلام
بل الصحيح انه لم يكن لنبي دعوة عامة الا لنبينا صلى الله عليه وسلم ولا حجة
ايضا للآخر في قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وللآخر في قوله
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا **فتحمل** هذه الآية على اتباعهم لقوله اولئك
الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث ولم تكن
له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب على قول من قال انه ليس برسول وقد
سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه الآية وشرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع
بينها **فدل** على ان المراد ما اجمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى

وبعد

وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول في سائر الانبياء
غير نبينا عليه الصلاة والسلام او يخالفون بينهم اما من منع الاتباع عقلا
فيطرد اصله في كل رسول بلا مرية واما من مال الى النقل فأينما تصور له
وتقرر اتبعه ومن قال بالوقف فعلى اصله ومن قال بوجوب الاتباع لمن
قبله يلزمه بمساق حجته في كل نبي **فصل** هذا حكم ما يكون المخالفة فيه
من الأعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف واما ما يكون
بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظائف الشرعية مما تقرر الشرع
بعدم تعلق الخطاب به وترك المؤاخذة عليه فأحوال الأنبياء في ترك المؤاخذة
به وكونه ليس بمعصية لهم مع اممهم سواء **ثم ذلك** على نوعين ما طريقه البلاغ
وتقرير الشرع وتعلق الاحكام وتعليم الامة بالفعل واخذهم باتباعهم
فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه **اما الاول** فحكمه عند جماعة من
العلماء حكم السهو في القول في هذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق على
امتناع ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم وعصمته من جوازه عليه قصدا
او سهوا فكذلك قالوا الافعال في هذا الباب لا يجوز طرو المخالفة فيها
لا عمدا ولا سهوا لأنها بمعنى القول من جهة التبليغ والاداء وطرو هذه
العوارض يوجب التشكيك وتسبب المطاعن واعتذروا عن احاديث
السهو بتوجيهات نذكرها بعد هذا والى هذا مال ابو اسحق وذهب الاكثر
من الفقهاء والمتكلمين الى ان المخالفة في الافعال البلاغية والاحكام
الشرعية سهوا وعن غير قصد منه جائز عليه كما تقرر من احاديث السهو
في الصلاة وفرقوا بين ذلك وبين الاقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق
في القول ومخالفة ذلك يناقضها واما السهو في الافعال فغير مناقض لها ولا

قادح في النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر **كما**
قال صلى الله عليه وسلم إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني ثم
بل حالة النسيان والسهو هنا في حقه عليه الصلاة والسلام سبب إفادة علم
وتقرير شرع كما قال صلى الله عليه وسلم إني لأنسى أو أنسى لأسن بل قد روي لست
أنسى ولكن أنسى لأسن وهذه الحالة زيادة له في التبليغ وتمام عليه في النعمة
بعيدة عن سمات النقص واعتراض الطعن فإن القائلين بتجويز ذلك يشترطون
أن الرسل لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون عليه ويعرفون حكمه بالفور
على قول بعضهم وهو الصحيح وقبل انقراضهم على قول الآخرين **وأما** ما
ليس طريقه البلاغ ولا بيان الأحكام من أفعاله عليه الصلاة والسلام وما
يختص به من أمور دينه وأذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه فالأكثر من
طبقات علماء الأمة على جواز السهو والغلط عليه فيها ولحوق الفترات والغفلات
بقلبه وذلك بما كلفه من مقاساة الخلق وسياسات الأمة ومعاناة الأهل
وملاحظة الأعداء ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال بل على سبيل
الندور **كما قال** صلى الله عليه وسلم إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله وليس
في هذا شيء يحط من رتبته ويناقض معجزته **وذهبت** طائفة إلى منع
السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه صلى الله عليه وسلم جملة
وهو مذهب جماعة المتصوفة وأصحاب علم القلوب والمقامات ولهم
في هذه الأحاديث مذاهب نذكرها بعد هذا إن شاء الله تعالى **فصل**
في الكلام على الأحاديث المذكور فيها السهو منه صلى الله عليه وسلم **قد**
قدمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز فيه عليه السهو عليه الصلاة والسلام وما
يمتنع وأحلناه في الأخبار جملة وفي الأقوال الدينية قطعا وأجزنا وقوعه في

الأفعال

الأفعال الدينية على الوجه الذي رتبناه وأشرنا إلى ما ورد في ذلك ونحن نبسط
القول فيه **الصحيح** من الأحاديث الواردة في سهوه صلى الله عليه وسلم في الصلاة
ثلاثة أحاديث **أولها** حديث ذي اليدين في السلام من اثنتين **الثاني** حديث
ابن بحينة في القيام من اثنتين **الثالث** حديث ابن مسعود أن النبي صلى الله
عليه وسلم صلى الظهر خمسا **وهذه** الأحاديث مبنية على السهو في الفعل الذي
قررناه **وحكمة الله** فيه ليستن به إذ البلاغ بالفعل أجلى منه بالقول
وأرفع للاحتمال وشرطه أنه لا يقر على هذا السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس
وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمناه وأن النسيان والسهو في الفعل في حقه
صلى الله عليه وسلم غير مضاد للمعجزة ولا قادح في التصديق **وقد قال**
صلى الله عليه وسلم إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني **وقال**
صلى الله عليه وسلم رحم الله فلانا لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أسقطتهن
ويروى أنسيتهن **وقال** صلى الله عليه وسلم إني لأنسى أو أنسى لأسن قيل هذا
اللفظ شك من الراوي **وقد** روي إني لا أنسى ولكن أنسى لأسن **وذهب** ابن نافع
وعيسى بن دينار أنه ليس بشك وأن معناه التقسيم أي أنسى أنا أو ينسيني الله
قال القاضي أبو الوليد الباجي يحتمل ما قالاه أن يريد أني أنسى في
اليقظة وأنسى في النوم **أو** أنسى على سبيل عادة البشر من الذهول عن الشيء
والسهو **أو** أنسى مع إقبالي عليه وتفرغي له فأضاف أحد النسيانين إلى نفسه
إذ كان له بعض السبب فيه ونفى الآخر عن نفسه إذ هو فيه كالمضطر
وذهبت طائفة من أصحاب المعاني والكلام على الحديث إلى أن النبي صلى الله
عليه وسلم كان يسهو في الصلاة ولا ينسى لأن النسيان ذهول وغفلة وآفة
قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عنها والسهو شغل فكان النبي عليه الصلاة

والسلام يسهو في صلاته ويشغله عن حركات الصلوة ما في الصلوة شغلا بها
لا غفلة عنها واحتج بقوله في الرواية الأخرى إني لا أنسى وذهب طائفة
إلى منع هذا كله عنه وقالوا إن سهوه صلى الله عليه وسلم كان عمدا
وقصدا ليسن وهذا قول مرغوب عنه متناقض المقاصد لا يحلى منه بطائل
لأنه كيف يكون متعمدا ساهيا في حال ولا حجة لهم في قولهم إنه أمر بتعمد صورة
النسيان ليسن لقوله إني لا أنسى أو أنسى لأنه أثبت أحد الوصفين ونفى مناقضة التعمد
والقصد وقال إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون وقد مال إلى هذا عظيم
من المحققين من أئمتنا وهو أبو المظفر الاسفرايني ولم يرتضه غيره منهم
ولا أرتضيه ولا حجة لهاتين الطائفتين في قوله إني لا أنسى ولكن أنسى إذ ليس
فيه نفي حكم النسيان عليه بالجملة وإنما فيه نفي لفظه وكراهة لقبه كقوله
بئس ما لأحدهم أن يقول نسيت آية كذا وكذا ولكنه نُسّي أو نفي الغفلة وقلة
الاهتمام بأمر الصلوة عن قلبه لكن شغل بها عنها ونسي بعضها ببعضها
كما ترك الصلوة يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو
عنها فشغل بطاعة عن طاعة وقيل إن الذي ترك يوم الخندق أربع صلوات
الظهر والعصر والمغرب والعشاء وبه احتج من ذهب إلى جواز تأخير
الصلوة في الخوف إذا لم يتمكن من أدائها إلى وقت الأمن وهو مذهب الشاميين
والصحيح أن حكم صلاة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له فإن قلت فما
تقول في نومه صلى الله عليه وسلم يوم الوادي عن الصلوة وقد قال إن
عيني تنامان ولا ينام قلبي فاعلم أن للعلماء عن ذلك أجوبة منها أن
المراد بأن هذا حكم قلبه عند نومه وعينيه في غالب الأوقات وقد يندر
منه غير ذلك كما يندر من غيره خلاف عادته ويصحح هذا التأويل قوله

صلى

صلى الله عليه وسلم في الحديث نفسه إن الله قبض أرواحنا وقول بلال فيه ما
ألقيت علي نومة مثلها قط ولكن مثل هذا إنما يكون منه لأمر يريده الله تعالى من
إثبات حكم وتأسيس سنة وإظهار شرع وكما قال في الحديث الآخر لو شاء الله
لأيقظنا ولكن أراد أن يكون لمن بعدكم الثاني أن قلبه صلى الله عليه وسلم
لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث فيه لما روي أنه كان محروسا وأنه
كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي ولا يتوضأ وحديث ابن
عباس المذكور فيه وضوءه عند قيامه من النوم فيه نومه مع أهله فلا يمكن
الاحتجاج به على وضوئه بمجرد النوم إذ لعل ذلك لملامسة أهله أو لحدث
آخر فكيف وفي آخر الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه أو خطيطه
ثم أقيمت الصلوة فصلى ولم يتوضأ وقيل لا ينام قلبه من أجل أنه يوحى إليه
في النوم وليس في قصة الوادي إلا نوم عينيه عن رؤية الشمس وليس هذا من
فعل القلب وقد قال صلى الله عليه وسلم إن الله قبض أرواحنا ولو شاء لردها
إلينا في حين غير هذا فإن قيل فلولا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال
اكلأ لنا الصبح فقيل في الجواب إنه كان من شأنه صلى الله عليه وسلم
التغليس بالصبح ومراعاة أول الفجر لا تصح ممن نامت عينه إذ هو ظاهر
يدرك بالجوارح الظاهرة فوكل بلالا بمراعاة أوله ليعلمه بذلك كما لو شغل
بشغل غير النوم عن مراعاته فإن قيل فما معنى نهيه عليه الصلوة والسلام
عن القول نسيت وقد قال صلى الله عليه وسلم إني أنسى كما تنسون فإذا نسيت
فذكروني وقال لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها فاعلم أكرمك
الله أنه لا تعارض في هذه الألفاظ أما نهيه عن أن يقال نسيت آية كذا
فمحمول على ما نسخ حفظه من القرآن أي أن الغفلة في هذا لم تكن منه ولكن الله

حفظه

تعالى اضطره إليها ليمحو ما يشاء ويثبت ما كان من سهو أو غفلة من قبله تذكرها
صلح أن يقال فيه أنسي وقد قيل إن هذا منه صلى الله عليه وسلم على طريق
الاستحباب أن يضيف الفعل إلى خالقه والأخر على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه
وإسقاطه عليه الصلاة والسلام لما أسقط من هذه الآيات جائز عليه بعد
بلاغ ما أمر ببلاغه وتوصيله إلى عباده ثم يستذكرها من أمته أو من قبل
نفسه إلا ما قضى الله تعالى نسخه ومحوه من القلوب وترك استذكاره وقد
يجوز أن ينسى النبي ما هذا سبيله كرة ويجوز أن ينسى منه قبل البلاغ ما لا
يغير نظما ولا يخلط حكما مما لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكره إياه ويستحيل
دوام نسيانه له لحفظ الله كتابه وتكليفه بلاغه **فصل** في الرد على من أجاز
عليهم الصغائر والكلام على ما احتجوا به في ذلك **اعلم** أن المجوزين للصغائر
على الأنبياء عليهم السلام من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين
احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من القرآن والحديث إن التزموا ظواهرها أفضت
بهم إلى تجويز الكبائر وخرق الإجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا
به مما اختلف المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت
أقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك فإذا لم يكن مذهبهم إجماعا
وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت الدلالة على خطأ قولهم وصحة غيره
وجب تركه والمصير إلى ما صح **وها** نحن نأخذ في النظر فيها إن شاء الله تعالى من
ذلك قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر **وقوله** واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات **وقوله** ووضعنا
عنك وزرك الذي أنقض ظهرك **وقوله** عفا الله عنك لم أذنت لهم **وقوله**
لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم **وقوله** عبس وتولى الآية
وما

وما قص من قصص غيره من الأنبياء **كقوله** تعالى وعصى آدم ربه فغوى وقوله
عنه ربنا ظلمنا أنفسنا الآية **وقوله** فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما
الآية **وقوله** عن يونس سبحانك إني كنت من الظالمين **وما** ذكر من قصته وقصة
داود **وقوله** وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب إلى
مآب **وقوله** ولقد همت به وهم بها وما قص من قصته مع إخوته **وقوله**
عن موسى فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان **وقول** النبي
صلى الله عليه وسلم في دعائه اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما
أعلنت ونحوه من أدعيته عليه الصلاة والسلام **وذكر** الأنبياء في الموقف
ذنوبهم في حديث الشفاعة **وقوله** إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله **وفي**
حديث أبي هريرة إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين
مرة **وقوله** تعالى عن نوح وإلا تغفر لي الآية **وقد** كان قال الله له ولا تخاطبني
في الذين ظلموا إنهم مغرقون **وقال** عن إبراهيم والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي
يوم الدين **وقوله** عن موسى تبت إليك **وقوله** ولقد فتنا سليمان إلى ما أشبه
هذه الظواهر **قال** القاضي رحمه الله فأما احتجاجهم بقوله ليغفر
لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهذا قد اختلف المفسرون فيه **فقيل**
المراد ما كان قبل النبوة وبعدها **وقيل** المراد ما وقع لك من ذنب أعلمه
أنه مغفور له **وقيل** قبل النبوة والمتأخر عصمتك بعدها حكاه أحمد بن نصر
وقيل المراد بذلك أمته عليه الصلاة والسلام **وقيل** المراد ما كان عن سهو
وغفلة وتأويل حكاه الطبري واختاره القشيري وقيل ما تقدم لأبيك آدم
وما تأخر من ذنوب أمتك حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء وبمثله والذي
قبله يتأول قوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات **قال** مكي مخاطبة

النبي صلى الله عليه وسلم ها هنا هي مخاطبة لأمته وقيل إن النبي صلى الله عليه
وسلم لما أمر أن يقول وما أدري ما يفعل بي ولا بكم سُرّ بذلك الكفار فأنزل الله
تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الآية وما للمؤمنين في الآية الأخرى
بعدها قاله ابن عباس فمقصد الآية أنك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب أن لو
كان قال بعضهم المغفرة ها هنا تبرئة من العيوب وأما قوله ووضعنا
عنك وزرك الذي أنقض ظهرك فقيل ما سلف من ذنبك قبل النبوة وهو
قول ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة وقيل معناه أنه حفظ قبل نبوته منها — الذنوب منه
وعصم ولولا ذلك لأثقلت ظهره حكى معناه السمرقندي وقيل المراد
بذلك ما أثقل ظهره من أعباء الرسالة حتى بلّغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل
أراد حططنا عنك ثقل أيام الجاهلية حكاه مكي وقيل ثقل شغل سرك
وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك حكى معناه القشيري وقيل
معناه خففنا عنك (عليك) ما حُمّلت بحفظنا لما استُحفظت وحفظ عليك ومعنى أنقض — المعنى حـ
أي كاد ينقضه فيكون المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله
عليه وسلم بأمور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها أوزارا
وثقلت عليه وأشفق منها أو يكون الوضع عصمة الله تعالى له وكفايته من ذنوب لو — أوزارا أثقلت حـ
كانت لأنقضت ظهره أو يكون من ثقل الرسالة أو ما ثقل عليه وشغل قلبه من
أمور الجاهلية وإعلام الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه وأما قوله
تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم فأمر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم
فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية ولا عدّه الله عليه معصية بل لم يعده أهل
العلم معاتبة وغلطوا من ذهب إلى ذلك قال نفطويه وقد حاشاه الله تعالى
من ذلك بل كان مخيرا في أمرين قالوا وقد كان له أن يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه
فيه

له
فيه وحي فكيف وقد قال الله تعالى فأذن لمن شئت منهم فلما أذن لهم أعلمه الله
تعالى بما لم يطلع عليه من سرهم أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا وأنه لا حرج عليه
فيما فعل وليس عفا ها هنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم
عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط أي لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري — للقشيري خ
قال وإنما يقول العفو لا يكون إلا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى — ومعنى خ
ومعناه عفا الله عنك أي لم يلزمك ذنبا قال الداودي روي أنها تكرمة — كانت خ
قال مكي هو استفتاح كلام مثل أصلحك الله وأعزك وحكى السمرقندي
أن معناه عافاك الله وأما قوله في أسارى بدر ما كان لنبي أن يكون له أسرى
الآيتين فليس فيه إلزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خُصّ به وفُضّل — فيه دليل إلزام خ
من بين سائر الأنبياء فكأنه قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال صلى الله عليه
وسلم أحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي فإن قيل فما معنى قوله تريدون
عرض الدنيا الآية قيل المعنى بالخطاب من أراد ذلك منهم وتجرد غرضه — لمن خ
لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله عليه وسلم
ولا علية أصحابه بل قد روي عن الضحاك أنها نزلت حين انهزم المشركون يوم
بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال حتى خشي عمر أن يعطف
عليهم العدو ثم قال تعالى لولا كتاب من الله سبق واختلف المفسرون في
معنى الآية فقيل معناها لولا أنه سبق مني ألا أعذب أحدا إلا بعد النهي لعذبتكم
فهذا ينفي أن يكون أمر الأسرى معصية وقيل المعنى لولا إيمانكم بالقرآن وهو
الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنائم ويزاد هذا القول
تفسيرا وبيانا بأن يقال لولا ما كنتم مؤمنين بالقرآن وكنتم ممن أحلت لهم الغنائم
لعوقبتم كما عوقب من تعدى وقيل لولا أنه سبق في اللوح المحفوظ أنها حلال

لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لأن من فعل ما أحل له لم يعص قال
الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان قد خير عليه الصلاة والسلام
في ذلك وقد روي عن علي قال جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر
فقال خير أصحابك في الأسارى إن شاؤوا القتل وإن شاؤوا الفداء على أن
يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا دليل على صحة
ما قلناه وأنهم لم يفعلوا إلا ما أذن لهم فيه لكن بعضهم مال إلى أضعف الوجهين
مما كان الأصلح غيره من الإثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف
اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين وإلى نحو
هذا أشار الطبري وقوله صلى الله عليه وسلم في هذه القضية لو نزل من السماء — القضية خـ
عذاب ما نجا منه إلا عمر إشارة إلى هذا من تصويب رأيه ورأي من أخذ بمأخذه
في إعزاز الدين وإظهار كلمته وإبادة عدوه وأن هذه القضية لو استوجبت عذابا
نجا منه عمر ومثله وعين عمر لأنه أول من أشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم
في ذلك عذابا لحله لهم فيما سبق وقال الداودي والخبر بهذا لا يثبت ولو
ثبت لما جاز أن يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل
من نص ولا جعل الأمر فيه إليه وقد نزهه الله تعالى عن ذلك قال القاضي بكر العلاء صح
خرج هذا الخبر أهل الصحيح وقال القاضي بكر بن العلاء أخبر الله تعالى نبيه صلى
الله عليه وسلم في هذه الآية أن تأويله وافق ما كتبه له من إحلال الغنائم والفداء
وقد كان قبل هذا فادوا في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي
بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله تعالى ذلك عليهم وذلك قبل بدر بأزيد
من عام فهذا كله يدل على أن فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شأن الأسارى
كان على تأويل وبصيرة وعلى ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله تعالى عليهم لكن الله

تعالى

لعظم 2

تعالى أراد لعظيم بدر وكثرة أسراها والله أعلم إظهار نعمته وتأكيد منته بتعريف
ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب وإنكار أو تذنيب
هذا معنى كلامه وأما قوله تعالى عبس وتولى الآيات فليس فيه إثبات
ذنب له عليه الصلاة والسلام بل إعلام الله تعالى أن ذلك المتصدى له ممن — له 2
لا يتزكى وأن الصواب والأولى كان لو كشف لك حال الرجلين لاختار الإقبال
على الأعمى وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان
طاعة لله تعالى وتبليغا عنه واستئلافا له كما شرعه الله تعالى له لا معصية
ومخالفة له وما قصه الله تعالى عليه من ذلك إعلام بحال الرجلين وتوهين أمر
الكافر عنده والإشارة إلى الإعراض عنه بقوله تعالى وما عليك ألا يزكى وقيل
المراد بعبس وتولى الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم قاله أبو تمام — أراد خـ
وأما قصة آدم عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى فأكلا منها بعد قوله
ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقوله تعالى ألم أنهكما عن تلكما
الشجرة وتصريحه تعالى عليه بالمعصية بقوله وعصى آدم ربه فغوى أي جهل
وقيل أخطأ فإن الله تعالى قد أخبر بعذره بقوله ولقد عهدنا إلى آدم من
قبل فنسي ولم نجد له عزما قال ابن زيد نسي عداوة إبليس له وما عهد الله
تعالى إليه من ذلك بقوله إن هذا عدو لك ولزوجك الآية قيل نسي ذلك
بما أظهر لهما وقال ابن عباس إنما سمي الإنسان إنسانا لأنه عهد إليه فنسي
وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف إبليس لهما إني
لكما لمن الناصحين وتوهما أن أحدا لا يحلف بالله تعالى حانثا وقد روي عذر
آدم بمثل هذا في بعض الآثار وقال ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما والمؤمن
يخدع وقد قيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال تعالى ولم نجد له عزما

أي قصداً للمخالفة وأكثر المفسرين على أن العزم هنا الحزم والصبر وقيل
كان عند أكله سكران وهذا فيه ضعف لأن الله تعالى وصف خمر الجنة أنها
لا تسكر فإذا كان ناسياً لم تكن معصية وكذلك إن كان ملبّساً عليه غالطاً إذ
الاتفاق على خروج الناسي والساهي عن حكم التكليف وقال الشيخ أبو بكر
ابن فورك وغيره إنه يمكن أن يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله تعالى
وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر أن الاجتباء
والهدى كان بعد العصيان وقيل بل أكلها متأولاً وهو لا يعلم أنها
الشجرة التي نهي عنها لأنه تأول نهي الله تعالى عن شجرة مخصوصة لا على
الجنس ولهذا قيل إنما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل
تأول أن الله تعالى لم ينهه عنها نهي تحريم فإن قيل فعلى كل حال فقد قال الله
تعالى وعصى آدم ربه وقال فتاب عليه وهدى وقوله في حديث الشفاعة
ويذكر ذنبه وإني نهيت عن أكل الشجرة فعصيت فسيأتي الجواب
عنه وعن أشباهه مجملاً آخر الفصل إن شاء الله تعالى وأما قصة يونس
عليه السلام فقد مضى الكلام على بعضها آنفاً وليس في قصة يونس نص على
ذنب وإنما فيها أبق وذهب مغاضباً وقد تكلمنا عليه وقيل إنما نقم الله
عليه خروجه عن قومه فاراً من نزول العذاب وقيل بل لما وعدهم العذاب
ثم عفا الله تعالى عنهم قال والله لا ألقاهم بوجه كذاب فخاف ذلك وقيل
ضعف عن حمل أعباء الرسالة وقد تقدم الكلام أنه لم يكذبهم وهذا كله
ليس فيه نص على معصية إلا على قول مرغوب عنه وقوله تعالى أبق إلى الفلك
المشحون قال المفسرون تباعد وأما قوله إني كنت من الظالمين فالظلم وضع
الشيء في غير موضعه فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فإما أن يكون

لخروجه عن قومه بغير إذن ربه تعالى أو لضعفه عما حمّله أو لدعائه بالعذاب
على قومه وقد دعا نوح بهلاك قومه فلم يؤاخذ وقال الواسطي في معناه نزّه
ربه تعالى عن الظلم وأضاف الظلم إلى نفسه اعترافاً واستحقاقاً ومثل هذا
قول آدم وحواء ربنا ظلمنا أنفسنا إذ كانا السبب في وضعهما غير الموضع الذي
أنزلا فيه وإخراجهما من الجنة وإنزالهما إلى الأرض وأما قصة داود عليه السلام
فلا يجب أن يلتفت إلى ما سطره فيها الأخباريون عن أهل الكتاب الذين بدلوا
وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله تعالى على شيء من ذلك ولا ورد
في حديث صحيح والذي نص الله تعالى عليه قوله وظن داود أنما فتناه إلى قوله
وحسن مآب وقوله فيه أواب فمعنى فتناه أي اختبرناه وأواب قال
قتادة مطيع وهذا التفسير أولى قال ابن عباس وابن مسعود ما زاد داود
على أن قال للرجل انزل لي عن امرأتك وأكفلنيها فعاتبه الله تعالى على ذلك
ونبهه عليه وأنكر شغله بالدنيا وهو الذي ينبغي أن يعوّل عليه من أمره
وقد قيل خطبها على خطبته وقيل بل أحب بقلبه أن يستشهد وحكى
السمرقندي أن ذنبه الذي استغفر منه قوله لأحد الخصمين لقد ظلمك
فظلمه بقول خصمه وقيل بل لما خشي على نفسه وظن من الفتنة بما بسط له
من الملك والدنيا وإلى نفي ما أضيف في الأخبار إلى داود من ذلك ذهب
أحمد بن نصر وأبو تمام وغيرهما من المحققين وقال الداودي ليس في
قصة داود وأوريا خبر يثبت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم وقيل إن
الخصمين اللذين اختصما إليه رجلان في نعاج غنم على ظاهر الآية وأما
قصة يوسف وإخوته عليهم السلام فليس على يوسف منها تعقب وأما
إخوته فلم تثبت نبوتهم فيلزم الكلام على أفعالهم وذكر الأسباط وعدّهم

في القرآن عند ذكر الانبياء قال المفسرون يريد من بني من ابناء الاسباط **وقد**
قيل انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوا صغارا لا اسنان ولهذا لم يميزوا
يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا أرسله معنا غدا نرتع ونلعب فان ثبتت لهم
نبوة فبعد هذا والله أعلم **وأما** قول الله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان
رأى برهان ربه فعلى طريق كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لا يؤاخذ
به وليست سيئة لقوله صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل اذا هم عبدي
بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فلا معصية في همه إذا **وأما** على مذهب
المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس سيئة وأما ما
لم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق
فيكون ان شاء الله هم يوسف من هذا ويكون قوله وما أبرئ نفسي الآية أي
ما أبرئها من هذا الهم أو يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف
بمخالفة النفس لما زكي قبل وبرئ فكيف **وقد** حكى أبو حاتم عن أبي عبيدة أن
يوسف لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتأخير أي ولقد همت به ولولا
ان رأى برهان ربه لهم بها **وقد** قال تبارك وتعالى عن المرأة ولقد راودته
عن نفسه فاستعصم **وقال** تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء **وقال**
وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي الآية **قيل** في ربي
الله تعالى **وقيل** الملك **وقيل** همه بها أي بزجرها ووعظها وقيل همه بها
غمها امتناعه عنها **وقيل** همه بها اي نظر اليها **وقيل** همه بضربها ودفعها
وقيل هذا كله كان قبل نبوته **وقد** ذكر بعضهم ما زال النساء يملن
الى يوسف ميل شهوة حتى نبأه الله تعالى فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت
هيبته كل من رآه عن حسنه **وأما خبر موسى** عليه السلام مع قتيله

الذي

الذي وكزه فقد نص الله تعالى انه من عدوه **قيل** كان من القبط الذين
على دين فرعون ودليل السورة في هذا كله انه قبل نبوة موسى **وقال**
قتادة وكزه بالعصا ولم يتعمد قتله **فعلى** هذا لا معصية في ذلك **وقوله**
هذا من عمل الشيطان **وقوله** ظلمت نفسي فاغفر لي **قال** ابن جريج قال ذلك
من أجل انه لا ينبغي لنبي ان يقتل حتى يؤمر **وقال** النقاش لم يقتله عن عمد
مريدا للقتل وانما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه **قال** وقد قيل ان هذا
كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة **وقوله** تعالى في قصته وفتناك فتونا
أي ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء **قيل** في هذه القصة وما جرى له مع فرعون
وقيل القاؤك في التابوت واليم وغير ذلك **وقيل** معناه أخلصناك إخلاصا
قاله ابن جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة في النار اذا خلصتها وأصل الفتنة
الاختبار واظهاره ما بطن الا انه استعمل في عرف الشرع في اختبار يؤدي الى
ما يكره **وكذلك** ما روي في الخبر الصحيح من ان ملك الموت جاءه فلطم عينه
ففقأها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى بالتعدي وفعل ما لا يجب له إذ هو
ظاهر الأمر بين الوجه جائز الفعل لأن موسى دافع عن نفسه من أتاه لإتلافها وقد
تصور له في صورة آدمي ولا يمكن انه علم حينئذ انه ملك الموت فدافعه عن نفسه
مدافعة أدت الى ذهاب عين تلك الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانا من
الله تعالى لهما فلما جاءه بعد وأعلمه الله تعالى انه رسوله اليه استسلم
وللمتقدمين والمتأخرين عن هذا الحديث أجوبة هذا أسدها عندي وهو
تأويل شيخنا الإمام أبي عبد الله المازري وقد تأوله قديما ابن عائشة وغيره
على صكه ولطمه بالحجة وفقء عين حجته وهو كلام مستعمل في هذا الباب
في اللغة معروف **وأما قصة سليمان** عليه السلام وما حكى فيه أهل التفسير

من ذنبه **وقوله** تعالى ولقد فتنا سليمن معناه ابتليناه وابتلاؤه ما حكي
عن النبي صلى الله عليه انه قال لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين
كلهن يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل إن شاء الله فلم
يقل فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل قال النبي صلى الله عليه
وسلم والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله **قال** أصحاب
المعاني والشق هو الجسد الذي ألقي على كرسيه حين عرض عليه وهو عقوبته
ومحنته **وقيل** بل مات فألقي على كرسيه ميتا **وقيل** ذنبه حرصه على ذلك
وتمنيه لأنه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني **وقيل**
عقوبته أن سلب ملكه وذنبه أن أحب بقلبه أن يكون الحق لأختانه على
خصمهم **وقيل** أوخذ بذنب قارفه بعض نسائه ولا يصح ما نقله الأخباريون
من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور في حكمه لأن
الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الأنبياء من مثله **وإن سئل**
لم لم يقل سليمن في القصة المذكورة إن شاء الله **فعنه** جوابان أحدهما ما
روي في الحديث الصحيح أنه نسي أن يقولها وذلك لينفذ مراد الله تعالى
والثاني أنه لم يسمع صاحبه وشغل عنه **وقوله** هب لي ملكا لا ينبغي
لأحد من بعدي لم يفعل هذا سليمن غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن
مقصده في ذلك على ما ذكره المفسرون أن لا يسلط عليه أحد كما سلط عليه
الشيطان الذي سلبه إياه مدة امتحانه على قول من قال ذلك وقيل بل أراد أن
يكون له من الله تعالى فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص غيره من أنبياء الله
ورسله بخواص منه **وقيل** ليكون ذلك دليلا وحجة على نبوته كإلانة
الحديد لأبيه وإحياء الموتى لعيسى واختصاص محمد صلى الله عليه وسلم

بالشفاعة

بالشفاعة **وأما قصة نوح** عليه السلام فظاهرة العذر وأنه أخذ فيها
بالتأويل وظاهر اللفظ لقوله تعالى إنا منجوك وأهلك فطلب مقتضى هذا
اللفظ وأراد علم ما طوي عنه من ذلك لا أنه شك في وعد الله فبين الله تعالى
عليه أنه ليس من أهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير
صالح وقد أعلمه أنه مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فوخذ بهذا
التأويل وعتب عليه وأشفق هو من إقدامه على ربه لسؤاله ما لم يؤذن له في
السؤال فيه **وكان** نوح عليه السلام فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه
وقيل في الآية غير هذا وكل هذا لا يقضي على نوح بمعصية سوى ما ذكرناه
من تأويله وإقدامه بالسؤال فيما لم يؤذن له فيه ولا نهي عنه **وما روي**
في الصحيح من أن نبيا قرصته نملة فحرق قرية النمل فأوحى الله تعالى إليه
أن قرصتك نملة واحدة أحرقت أمة من الأمم تسبح فليس في هذا الحديث
ما يقتضي أن هذا النبي أتى معصية بل فعل ما رآه مصلحة وصوابا بقتل من
يؤذي جنسه ويمنع المنفعة بما أباح الله تعالى ألا ترى أن هذا النبي كان
نازلا تحت شجرة فلما أذته النملة تحول برحله عنها مخافة تكرار الأذى
عليه وليس فيما أوحى الله تعالى إليه ما يوجب عليه معصية بل ندبه إلى احتمال
الصبر وترك التشفي كما قال تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين إذ ظاهر
فعله إنما كان لأجل أنها آذته هو في خاصته فكان انتقاما لنفسه وقطع
مضرة يتوقعها من بقية النمل هناك ولم يأت في كل هذا أمرا نهي عنه
فيعصي به ولا نص فيما أوحى الله إليه بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه والله
أعلم **فصل** فإن قلت فإذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب
والمعاصي بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتأويل المحققين فما معنى قوله تعالى

وعصى آدم ربه فغوى وما ذكر في القرآن والحديث الصحيح من اعتراف الأنبياء
بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم وإشفاقهم وهل
يشفق ويتاب ويستغفر من لا شيء **فاعلم** وفقنا الله تعالى وإياك أن درجة
الأنبياء عليهم السلام في الرفعة والعلو والمعرفة بالله تعالى وسنته في عباده
وعظيم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والإشفاق
من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم وأنهم في تصرفهم بأمور لم ينهوا عنها
ولا أمروا بها ثم ووخذوا عليها وعوتبوا بسببها أو حذروا من المؤاخذة بها
وأتوها على وجه التأويل أو السهو أو تزيد من أمور الدنيا المباحة خائفون
وجلون وهي ذنوب بالإضافة إلى علي منصبهم ومعاص بالنسبة إلى كمال
طاعتهم لا أنها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فإن الذنب مأخوذ من الشيء
الدني الرذل ومنه ذنب كل شيء أي آخره وأذناب الناس رذالهم
وكأن هذه أدنى أفعالهم وأسوأ ما يجري من أحوالهم لتطهيرهم وتنزيههم
وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر
الظاهر والخفي والخشية لله تعالى وإعظامه في السر والعلانية وغيرهم
يتلوث من الكبائر والقبائح والفواحش بما يكون بالإضافة إلى هذه الهنات
في حقه كالحسنات كما قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين أي يرونها
بالإضافة إلى علي أحوالهم كالسيئات وكذلك العصيان الترك والمخالفة فعلى
مقتضى اللفظة كيف ما كانت من سهو أو تأويل فهي مخالفة وترك **وقوله**
غوى أي جهل أن تلك الشجرة هي التي نهي عنها والغي الجهل **وقيل** أخطأ
ما طلب من الخلود إذ أكلها وخابت أمنيته **وهذا** يوسف عليه السلام قد
ووخذ بقوله لأحد صاحبي السجن اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه

فلبث

وعظم خ

وكأن هذه

ما

أنه

فلبث في السجن بضع سنين **قيل** أنسي يوسف ذكر الله تعالى **وقيل**
أنسي صاحبه أن يذكره لسيده الملك **قال** النبي صلى الله عليه وسلم لولا كلمة
يوسف ما لبث في السجن ما لبث **قال** بن دينار لما قال ذلك يوسف قيل له
اتخذت من دوني وكيلا لأطيلن حبسك فقال يا رب أنسى قلبي كثرة البلوى **وقال**
بعضهم يؤخذ الأنبياء بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده ويجاوز عن سائر الخلق لقلة
مبالاته بهم في أضعاف ما أتوه من سوء الأدب **وقد** قال المحتج للفرقة
الأولى على سياق ما قلناه إذا كان الأنبياء يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ به
غيرهم من السهو والنسيان وما ذكرته وحالهم أرفع فحالهم إذا في هذا
أسوأ حالا من غيرهم **فاعلم** أكرمك الله تعالى أنا لا نثبت لك المؤاخذة في هذا
على حد مؤاخذة غيرهم بل نقول إنهم يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك
زيادة في درجاتهم ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم له سببا لمنماة رتبهم
كما قال تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى **وقال** لداود فغفرنا
له ذلك الآية **وقال** بعد قول موسى تبت إليك إني اصطفيتك على الناس **وقال**
بعد ذكر فتنة سليمن وإنابته فسخرنا له الريح إلى قوله وحسن مآب **قال**
بعض المتكلمين زلات الأنبياء زلات وفي الحقيقة كرامات وزلف وأشار إلى
نحو مما قدمناه **وأيضا** فلينبه غيرهم من البشر منهم أو ممن ليس في درجتهم
بمؤاخذتهم بذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا
الشكر على النعم ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع بأهل هذا النمط
الرفيع المعصوم فكيف بمن سواهم **ولهذا** قال صالح المري ذكر داود
بسطة للتوابين **قال** بن عطاء لم يكن ما نص الله تعالى من قصة صاحب الحوت
نقصا له ولكن استزادة من نبينا عليه الصلاة والسلام **وأيضا** فيقال لهم

أقسى خ

أخذ الأنبياء خ

لهم صح

في الظاهر صح

النصاب خ

فإنكم ومن وافقكم تقولون بغفران الصغائر باجتناب الكبائر ولا خلاف في عصمة
الأنبياء عليهم السلام من الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغائر عليهم هي مغفورة
خ منهم
على هذا فما معنى المؤاخذة بها إذا عندكم وخوف الأنبياء وتوبتهم منها وهي مغفورة
لو كانت فما أجابوا به فهو جوابنا عن المؤاخذة بأفعال السهو والتأويل وقد
قيل إن كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته وغيره من الأنبياء عليهم
السلام على وجه ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير شكرا لله تعالى
على نعمه كما قال صلى الله عليه وسلم وقد أمن من المؤاخذة بما تقدم وما تأخر
أفلا أكون عبدا شكورا وقال إني لأخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي قال الحارث
بن أسد خوف الملائكة والأنبياء عليهم السلام خوف إعظام وتعبد لله تعالى
لأنهم آمنون وقيل فعلوا ذلك ليقتدي بهم ولتستن بهم كما قال صلى الله
أممهم صح
عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وأيضا فإن في التوبة
والاستغفار معنى آخر لطيفا أشار إليه بعض العلماء وهو استدعاء محبة
الله تعالى قال الله تعالى إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فإحداث
الرسل والأنبياء عليهم السلام الاستغفار والتوبة والإنابة والأوبة
في كل حين استدعاء لمحبة الله تعالى والاستغفار فيه معنى التوبة وقد قال
الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام بعد أن غفر له ما تقدم من ذنبه
وما تأخر لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الآية وقال
فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا فصل قد استبان لك
أيها الناظر بما قررناه ما هو الحق من عصمته عليه الصلاة والسلام عن
الجهل بالله تعالى وصفاته أو كونه على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله
جملة بعد النبوة عقلا وإجماعا وقبلها سمعا ونقلا ولا بشيء مما قررناه صلى الله
عليه

عليه وسلم من أمور الشرع وأداه عن ربه عز وجل من الوحي قطعا عقلا وشرعا
وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نبأه الله وأرسله قصدا أو غير قصد
واستحالة ذلك عليه شرعا وإجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه قبل
النبوة قطعا وتنزيهه عن الكبائر إجماعا وعن الصغائر تحقيقا وعن استدامة السهو
والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للأمة وعصمته في كل
حالاته من رضى وغضب وجد ومزح ما يجب لك أن تتلقاه باليمين وتشد عليه
خ فيجب عليك
يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها وتعلم عظيم فائدتها وخطرها
فإن من يجهل ما يجب للنبي أو يجوز أو يستحيل عليه ولا يعرف صور أحكامه لا يؤمن
خ يأمن
خ يجب
أن يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجوز أن يضاف إليه
فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك الأسفل من النار إذ ظن
الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار ولهذا ما احتاط
صلى الله عليه وسلم على الرجلين اللذين رأياه ليلا وهو معتكف في المسجد مع صفية
فقال لهما إنها صفية ثم قال لهما إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم
وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا فتهلكا قال القاضي رضي الله عنه
في هذه الفصول
أكرمك الله إحدى فوائد ما تكلمنا عليه ولعل جاهلا لا يعلم بجهله إذا
خ منها أو
سمع شيئا من هذا يرى أن الكلام فيه جملة من فضول العلم وأن السكوت
أولى وقد استبان لك أنه متعين للفائدة التي ذكرناها وفائدة ثانية يضطر
إليها في أصول الفقه وتنبني عليها مسائل لا تتعدد من الفقه ويتخلص بها من تشعيب
مختلفي الفقهاء في عدة منها وهي الحكم في أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله
وهو باب عظيم وأصل كبير من أصول الفقه ولا بد من بنائه على صدق النبي
صلى الله عليه وسلم في أخباره وبلاغه وأنه لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته

من المخالفة في أفعاله عمدًا وبحسب اختلافهم في وقوع الصغائر وقع خلاف
في امتثال الفعل بسط بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول به **وفائدة ثالثة**
يحتاج إليها الحاكم والمفتي فيمن أضاف إلى النبي شيئا من هذه الأمور ووصفه
بها فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الإجماع فيه والخلاف كيف
يصمم في الفتوى في ذلك ومن أين يدري هل ما قاله فيه نقص أو مدح فإما
أن يجترئ على سفك دم مسلم حرام أو يسقط حقا ويضيع حرمة للنبي صلى الله
عليه وسلم وليسبيل هذا ما قد اختلف أرباب الأصول وأئمة العلماء والمحققين
في عصمة الملائكة عليهم السلام **فصل** في القول في عصمة الملائكة عليهم
السلام **قال** القاضي رضي الله عنه أجمع المسلمون أن الملائكة مؤمنون
فضلاء واتفق أئمة المسلمين أن حكم المرسلين منهم حكم النبيين سوا في العصمة
مما ذكرنا عصمتهم منه وأنهم في حقوق الأنبياء والتبليغ إليهم كالأنبياء
مع الأمم **واختلفوا** في غير المرسلين منهم فذهبت طائفة إلى عصمة جميعهم
عن المعاصي واحتجوا بقوله تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون
وبقوله وما منا إلا له مقام معلوم وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون
وبقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار
لا يفترون وبقوله إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته الآية وقوله
كرام بررة ولا يمسه إلا المطهرون ونحوه من السمعيات **وذهبت**
طائفة إلى أن هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين واحتجوا بأشياء ذكرها
أهل الأخبار والتفاسير نحن نذكرها بعد ونبين الوجه فيها إن شاء الله تعالى
والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبتهم
ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورأيت بعض شيوخنا أشار إلى أن لا حاجة

بالفقيه

الى الكلام في عصمتهم الأنبياء من الفوائد التي ذكرناها سوى فائدة الكلام في
الأقوال والأفعال فهي ساقطة هاهنا **فمما** احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم
قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها أهل الأخبار ونقلة المفسرين وما روي
عن علي وابن عباس في خبرهما وابتلائهما **فاعلم** أكرمك الله تعالى أن هذه الأخبار
لم يرو منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو
شيئا يؤخذ بقياس والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه وأنكر ما
قال بعضهم فيه كثير من السلف كما سنذكره وهذه الأخبار من كتب اليهود وافترائهم
كما نصه الله تعالى أول الآيات من افترائهم بذلك على سليمن وتكفيرهم إياه وقد
انطوت القصة على شنع عظيمة وها نحن نخبر في ذلك ما يكشف غطاء هذه
الإشكالات إن شاء الله تعالى **قال** القاضي رحمه الله فاختلف أولا في
هاروت وماروت وهل هما ملكان أو إنسيان وهل هما المراد بالملكين
أم لا وهل القراءة ملكين أو ملكين وهل ما في قوله وما أنزل على الملكين وما يعلمان
من أحد نافية أو موجبة **فأكثر** المفسرين أن الله تعالى امتحن الناس بالملكين
لتعليم السحر وتبيينه وأن عمله كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه آمن **قال** الله
تعالى إنما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس له تعليم إنذار أي يقولان لمن
جاء يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فإنه يفرق بين المرء وزوجه ولا تتخيلوا كذا
فإنه سحر فلا تكفر فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما أمرا به ليس
بمعصية وهي لغيرهما فتنة **وروى** ابن وهب عن خالد بن أبي عمران أنه ذكر
عنده هاروت وماروت وأنهما يعلمان الناس السحر فقال نحن ننزههما عن
عن هذا فقرأ بعضهم وما أنزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما **فهذا**
خالد على جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره أنهما مأذون

لهما في تعليمه بشريعته أن نبينا أنه كفر وأنه امتحان من الله تعالى وابتلاء فكيف
لا تبرئهما عن كبائر المعاصي والكفر المذكورة في تلك الأخبار وقول خالد
لم يبتل لم يرد أن ما نافية وهو قول ابن عباس قال مكي وتقدير الكلام وما كفر
سليمان يريد بالسحر الذي افتعلته عليه الشياطين واتبعهم في ذلك اليهود وما
أنزل على الملكين قال مكي قيل هما جبريل وميكائيل ادعى اليهود عليهما المجيء
به كما ادعوا عليه على سليمان فأكذبهم الله تعالى في ذلك ولكن الشياطين
كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت قيل هما رجلان
تعلماه قال الحسن هاروت وماروت علجان من أهل بابل وقرأ وما أنزل
على الملكين بكسر اللام وتكون ما إيجابا على هذا وكذلك قرأ عبد الرحمن بن أبزى
بكسر اللام ولكنه قال الملكان هاهنا داود وسليمان وتكون ما نفيا على ما تقدم
وقيل كانا ملكين من بني إسرائيل فمسخهما الله تعالى حكاه السمرقندي والقراءة
بكسر اللام شاذة فمحمل الآية على تقدير أبي محمد مكي حسن ينزه الملائكة ويذهب
الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله تعالى بأنهم مطهرون
وكرام بررة ولا يعصون الله ما أمرهم ومما يذكرونه قصة إبليس وأنه
كان من الملائكة ورئيسا فيهم ومن خزان الجنة إلى آخر ما حكوه وأنه استثناه
من الملائكة بقوله فسجدوا إلا إبليس وهذا أيضا لم يتفق عليه بل الأكثر ينفون
ذلك وأنه أبو الجن كما آدم أبو الإنس وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد
وقال شهر بن حوشب كان من الجن الذين طردتهم الملائكة في الأرض حين
أفسدوا والاستثناء من غير الجنس شائع في كلام العرب سائغ وقد قال الله تعالى
ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ومما رووه في الأخبار أن خلقا من الملائكة عصوا
الله تعالى فحرقوا وأمروا أن يسجدوا لآدم فأبوا فحرقوا ثم آخرون كذلك حتى سجد
له

كبير — عمله — تحمل — وبها

١٦٧

لمن ذكر الله تعالى إلا إبليس في أخبار لا أصل لها تردها صحاح الأخبار فلا نشتغل بها

الباب الثاني

فيما يخصهم صلوات الله وسلامه عليهم في الأمور الدنيوية ويطرأ
عليهم من العوارض البشرية قال القاضي رحمه الله تعالى قد قدمنا أنه
صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء والرسل عليهم السلام من البشر وأن
جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه من الآفات والتغييرات والآلام والأسقام
وتجرع كأس الحمام ما يجوز على البشر وذلك كله ليس بنقيصة فيه لأن
الشيء إنما يسمى ناقصا بالإضافة إلى ما هو أتم منه وأكمل من نوعه وقد كتب الله
تعالى على أهل هذه الدار فيها يحيون وفيها يموتون ومنها يخرجون وخلق
جميع البشر بمدرجة الغير فقد مرض عليه الصلاة والسلام واشتكى وأصابه
الحر والقر وأدركه الجوع والعطش ولحقه الغضب والضجر وناله الإعياء
والتعب ومسه الضعف والكبر وسقط فجحش شقه وشجه الكفار وكسروا
رباعيته وسقي السم وسحر وتداوى واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى
نحبه فتوفي صلى الله عليه وسلم ولحق بالرفيق الأعلى وتخلص من دار الامتحان
والبلوى وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها وأصاب غيره من الأنبياء عليهم
السلام ما هو أعظم منه فقتلوا قتلا ورموا في النار ونشروا بالمناشير
ومنهم من وقاه الله تعالى ذلك في بعض الأوقات ومنهم من عصمه كما عصم
بعد نبينا عليه الصلاة والسلام من الناس فلئن لم يكف نبينا ربه يد ابن قمئة
يوم أحد ولا حجبه عن عيون عداه أهل الطائف عند دعوته فلقد أخذ
على عيون قريش عند خروجه إلى ثور وأمسك عنه سيف غورث وحجر
أبي جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه من سحر ابن الأعصم فلقد وقاه ما هو
أعظم من سم اليهودية وهكذا سائر أنبيائه صلواته وسلامه عليهم مبتلى

بحنو — وبها غيره مما — وأشهروا بالمناشير — عند دعوته أهل الطائف يوم دعوته

ومعاني وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات ويبين أمرهم
وتتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم بشريتهم ويرفع الالتباس عن أهل الضعف
فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب على أيديهم ضلال النصارى بعيسى
ابن مريم وليكون في محنهم تسلية لأممهم ووفور في أجورهم عند ربهم
تماما على الذي أحسن إليهم قال بعض المحققين وهذه الطوارئ والتغييرات
المذكورة إنما تختص بأجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة بني آدم
لمشاكلة الجنس وأما بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة منه متعلقة
بالملأ الأعلى والملائكة لأخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم قال وقد قال
صلى الله عليه وسلم إن عيني تنامان ولا ينام قلبي وقال إني لست كهيئتكم
إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني وقال لست أنسى ولكن أنسى ليستن بي فأخبر
أن سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره وأن الآفات التي تحل
ظاهره من ضعف وجوع وسهر ونوم لا يحل منها شيء باطنه بخلاف غيره
من البشر في حكم الباطن لأن غيره إذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه وهو
عليه الصلاة والسلام في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء
في بعض الآثار أنه كان محروسا من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان كما
ذكرناه وكذلك غيره إذا جاع ضعف لذلك جسمه وخارت قوته فبطلت
بالكلية جملته وهو صلى الله عليه وسلم قد أخبر أنه لا يعتريه ذلك وأنه
بخلافهم لقوله إني لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني قال
القاضي رحمه الله تعالى وكذلك أقول إنه في هذه الأحوال كلها من وصب ومرض
وسحر وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض منه على لسانه وجوارحه
ما لا يليق به كما يعتري غيره من البشر مما نأخذ بعد في بيانه فصل فإن

خ ويرتفع
خ لأجورهم

قلت قد جاءت الأخبار الصحيحة أنه صلى الله عليه وسلم سحر كما حدثنا
الشيخ أبو محمد العتابي بقراءتي عليه حدثنا حاتم بن محمد حدثنا أبو الحسن
علي بن خلف حدثنا محمد بن أحمد حدثنا محمد بن يوسف حدثنا البخاري حدثنا
عبيد بن إسمعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت
سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء وما
فعله وفي رواية أخرى حتى كان يخيل إليه أنه كان يأتي النساء ولا يأتيهن
الحديث وإذا كان هذا من التباس الأمر على المسحور فكيف حال النبي صلى الله
عليه وسلم في ذلك وكيف جاز عليه وهو معصوم فاعلم وفقنا الله تعالى
وإياك أن هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة وتذرعت
به لسخف عقولها وتلبيسها على أمثالها إلى التشكيك في الشرع وقد نزه الله
تعالى الشرع والنبي صلى الله عليه وسلم عما يدخل في أمره لبسا وإنما السحر
مرض من الأمراض وعارض من العلل يجوز عليه كأنواع الأمراض مما لا
ينكر ولا يقدح في نبوته وأما ما ورد أنه صلى الله عليه وسلم كان يخيل إليه أنه
فعل الشيء ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء من
تبليغه أو شريعته أو يقدح في صدقه لقيام الدليل والإجماع على عصمته
من هذا وإنما هذا فيما يجوز طروه عليه في أمور دنياه التي لم يبعث بسببها ولا
فضل من أجلها وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر فغير بعيد أن يخيل إليه
من أمورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان وأيضا فقد فسر هذا الفصل
الحديث الآخر من قوله حتى يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن وقد قال
سفين وهذا أشد ما يكون من السحر ولم يأت في خبر منها أنه نقل عنه في ذلك
قول بخلاف ما كان أخبر أنه فعله ولم يفعله وإنما كانت خواطر وتخيلات

خ الشك
وما فعله
عليه ص
خ وتخييلات

وقد قيل إن المراد بالحديث أنه كان يخيل الشيء أنه فعله وما فعله لكنه
تخييل لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته كلها على السداد وأقواله على الصحة
هذا ما وقفنا عليه لأئمتنا من الأجوبة عن هذا الحديث مع ما أوضحناه
من معنى كلامهم وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه قد
ظهر لي في الحديث تأويل أجلى وأبعد من مطاعن ذوي الأضاليل يستفاد من
نفس الحديث وهو أن عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب
وعروة بن الزبير وقال فيه عنهما سحر يهود بني زريق رسول الله صلى الله
عليه وسلم فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينكر بصره
ثم دله الله تعالى على ما صنعوا فاستخرجه من البئر وروي نحوه عن الواقدي
وعن عبد الرحمن بن كعب وعمر بن الحكم وذكر عن عطاء الخراساني عن
يحيى بن يعمر حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة سنة فبينا هو
نائم أتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه الحديث
وقال عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة خاصة
سنة حتى أنكر بصره وروى محمد بن سعد عن ابن عباس مرض رسول الله صلى
الله عليه وسلم فحبس عن النساء والطعام والشراب فهبط عليه ملكان وذكر
القصة فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات أن السحر إنما تسلط
على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وأنه إنما أثر في بصره وحبسه
عن وطء نسائه وطعامه وأضعف جسمه وأمرضه ويكون معنى قوله يخيل إليه
أنه يأتي أهله ولا يأتيهن أي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء
فإذا دنا منهن أصابته أخذة السحر فلم يقدر على إتيانهن كما يعتري من أخذ واعترض
بل زادوا عليه في قوله إنه ما نقل عنه شيء بخلاف معتقده ولعله لمثل هذا أشار

سفين

سفيان بقوله وهذا أشد ما يكون من السحر ويكون قول عائشة في الرواية الأخرى
إنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث
فيظن أنه رأى شخصا من بعض أزواجه أو شاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل
إليه لما أصابه في بصره وضعف نظره لا لشيء طرأ عليه في ميزه وإذا كان هذا
لم يكن فيما ذكر من إصابة السحر له وتأثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد
المعترض أنسا فصل هذه حاله في جسمه فأما أحواله في أمور الدنيا فنحن
نسبرها على أسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل أما العقد منها فقد
يعتقد في أمور الدنيا الشيء على وجه ويظهر خلافه أو يكون منه على شك أو ظن
بخلاف أمور الشرع كما حدثنا أبو بحر سفيان بن العاصي وغير واحد سماعا
وقراءة قالوا حدثنا أبو العباس أحمد بن عمر قال حدثنا أبو العباس الرازي
حدثنا أبو أحمد بن عمرويه حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم حدثنا عبد الله بن
الرومي وعباس العنبري وأحمد المعقري قالوا حدثنا النضر بن محمد قال
حدثني عكرمة حدثنا أبو النجاشي حدثنا رافع بن خديج قال قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يأبرون النخل فقال عليه الصلاة والسلام
ما تصنعون قالوا كنا نصنعه فقال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنقصت
فذكروا ذلك له فقال إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا
أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر وفي رواية أنس أنتم أعلم بأمر دنياكم وفي
حديث آخر إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن وفي حديث ابن عباس في
قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنا بشر فما حدثتكم عن الله
فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فإنما أنا بشر أخطئ وأصيب وهذا على ما
قررناه فيما قاله من قبل نفسه في أمور الدنيا وظنه من أحوالها لا ما قاله من

خ نفس

خ سعد ورفعه

خ القصة

خ وأخذ

خ أسلوبها

خ فنفضت

الخرص

قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه وسنة سنها وكما حكى ابن إسحاق أنه عليه الصلاة
والسلام لما نزل بأدنى مياه بدر قال له الحباب بن المنذر أهذا منزل أنزلكه
الله ليس لنا أن نتقدمه أم هو الرأي والحرب والمكيدة فقال لا بل هو الرأي
والحرب والمكيدة قال فإنه ليس بمنزل انهض حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله
ثم نعور ما وراءه من القلب فنشرب ولا يشربون فقال أشرت بالرأي وفعل
ما قاله وقد قال الله تعالى له وشاورهم في الأمر وأراد مصالحة بعض
عدوه على ثلث تمر المدينة فاستشار الأنصار فلما أخبروه برأيهم رجع عنه
فمثل هذا وأشباهه من أمور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها
ولا تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرناه إذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة وإنما
هي أمور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل نفسه بها والنبي
صلى الله عليه وسلم مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوانح بعلوم
الشريعة مقيد البال بمصالح الأمة الدينية والدنيوية ولكن هذا إنما يكون
في بعض الأمور ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا
واستثمارها لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل عنه
صلى الله عليه وسلم من المعرفة بأمور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة فرق
أهلها ما هو معجز في البشر مما قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب
فصل قال القاضي رحمه الله وأما ما يعتقده في أمور أحكام البشر الجارية
على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم المصلح من المفسد فبهذه
السبيل لقوله صلى الله عليه وسلم إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم
أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو مما أسمع منه فمن قضيت له من
حق أخيه بشيء فلا يأخذ منه شيئا فإنما أقطع له قطعة من النار حدثنا

نغور خ
الجوارح خ
يعتقد خ

الفقيه

الفقيه أبو الوليد رحمه الله حدثنا الحسين بن محمد الحافظ حدثنا أبو عمر الحافظ
حدثنا أبو عمر حدثنا أبو محمد حدثنا أبو بكر حدثنا أبو داود حدثنا محمد بن
كثير حدثنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أم سلمة عن أم
سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفي رواية الزهري
عن عروة فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صادق فأقضي
له وتجري أحكامه صلى الله عليه وسلم على الظاهر وموجب غلبات الظن
بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعاة الأشبه ومعرفة العفاص والوكاء
مع مقتضى حكمة الله تعالى في ذلك فإنه تبارك وتعالى لو شاء لأطلعه
على سرائر عباده ومخبآت ضمائر أمته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه
دون حاجة إلى اعتراف أو بينة أو يمين أو شبهة ولكن لما أمر الله تعالى أمته
صلى الله عليه وسلم باتباعه والاقتداء به في أفعاله وأحواله وقضاياه
وسيره وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله تعالى به لم يكن
للأمة سبيل إلى الاقتداء به في شيء من ذلك ولا قامت حجة بقضية من قضاياه
لأحد في شريعته لأنا لا نعلم ما أطلع عليه هو في تلك القضية لحكمه
هو إذا في ذلك بالمكنون من إعلام الله تعالى له بما أطلعه عليه من سرائرهم
وهذا ما لا تعلمه الأمة فأجرى الله تعالى أحكامه على ظواهرهم التي يستوي
في ذلك هو وغيره من البشر ليتم اقتداء أمته به في تعيين قضاياه وتنزيل
أحكامه ويأتون ما أتوا من ذلك على علم ويقين من سنته إذ البيان بالفعل أوقع
منه بالقول وأرفع لاحتمال اللفظ وتأويل المتأول وكان حكمه على الظاهر
أجلى في البيان وأوضح في وجوه الأحكام وأكثر فائدة لموجبات التشاجر
والخصام وليقتدي بذلك كله حكام أمته ويستوثق بما يؤثر عنه وينضبط

ونجري خ
ولمعرفة خ
أحكامهم خ
وأدفع خ

قانون شريعته وطيّ ذلك عنه من علم الغيب الذي استأثر به عالم الغيب فلا
يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فيعلمه منه بما شاء ويستأثر
بما شاء ولا يقدح هذا في نبوته ولا يفصم عروة من عصمته صلى الله عليه
وسلم فصل وأما أقواله الدنيوية من أخباره عن أحواله وأحوال
غيره وما يفعله أو فعله فقد قدمنا أن الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال
وعلى أي وجه من عمد أو سهو أو صحة أو مرض أو رضى أو غضب وأنه معصوم
منه صلى الله عليه وسلم هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق
والكذب فأما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها
منه في الأمور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه
لئلا يأخذ العدو حذره وكما روي من ممازحته ودعابته لبسط أمته وتطييب
قلوب المؤمنين من صحابته وتأكيدا في تحببهم ومسرة نفوسهم كقوله صلى
الله عليه وسلم لأحملنك على ابن الناقة وقوله للمرأة التي سألته عن زوجها
أهو الذي بعينه بياض وهذا كله صدق لأن كل جمل ابن ناقة وكل إنسان
بعينه بياض وقد قال صلى الله عليه وسلم إني لأمزح ولا أقول إلا حقا صورة
هذا كله فيما بابه الخبر فأما ما بابه غير الخبر مما صورته الأمر والنهي في الأمور
الدنيوية فلا يصح منه أيضا ولا يجوز عليه أن يأمر أحدا بشيء أو ينهى أحدا عن
شيء وهو يبطن خلافه وقد قال صلى الله عليه وسلم ما كان لنبي أن تكون
له خائنة الأعين فكيف أن تكون له خائنة قلب فإن قلت فما معنى إذا قوله خيانة
تعالى له في قصة زيد وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك
عليك زوجك الآية فاعلم أكرمك الله ولا تسترب في تنزيه النبي صلى الله
عليه وسلم عن هذا الظاهر وأن يأمر زيدا بإمساكها وهو يحب تطليقه إياها

روي

كما ذكر عن جماعة من المفسرين وأصح ما في هذا ما حكاه أهل التفسير عن علي بن
حسين أن الله تعالى كان أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أن زينب ستكون من
أزواجه فلما شكاها إليه زيد قال له أمسك عليك زوجك واتق الله وأخفى منه في
نفسه ما أعلمه الله به من أنه سيتزوجها مما الله تعالى مبديه ومظهره بتمام
التزويج وطلاق زيد لها وروى نحوه عمرو بن فائد عن الزهري قال
نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه أن الله تعالى يزوجه زينب
بنت جحش فذلك الذي أخفى في نفسه ويصحح هذا قول المفسرين في
قوله تعالى بعد هذا وكان أمر الله مفعولا أي لا بد لك أن تتزوجها ويوضح
هذا أن الله تعالى لم يبد من أمره صلى الله عليه وسلم معها غير زواجه لها
فدل أنه الذي أخفاه صلى الله عليه وسلم مما كان أعلمه به تعالى وقوله
تعالى في القصة ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله الآية
فدل أنه لم يكن عليه حرج في الأمر قال الطبري ما كان الله تعالى
ليؤثم نبيه فيما أحل مثال فعله لمن قبله من الرسل قال الله تعالى
سنة الله في الذين خلوا من قبل أي من النبيين فيما أحل الله لهم ولو كان على ما
روي في حديث قتادة من وقوعها من قلب النبي صلى الله عليه وسلم عند
ما أعجبته ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه أعظم الحرج وما لا يليق به من
مدّ عينيه إلى ما نهي عنه من زهرة الحياة الدنيا ولكان هذا نفس الحسد
المذموم الذي لا يرضاه ولا يتسم به الأتقياء فكيف سيد الأنبياء عليه وعليهم
الصلوة والسلام قال القشيري وهذا إقدام عظيم من قائله وقلة
معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال رآها فأعجبته وهي
بنت عمه ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه عليه الصلوة

وَالسَّلام وَهو زَوجها لزيد **وَإنما** جعل الله تعالى طلاق زيد لها وتزويج
النبي صلى الله عليه وسلم إيّاها لإزالة حرمة التبني وإبطال سنته كما قال تعالى
ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وقال لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج
أدعيائهم ونحوه لابن فورك **وقال** أبو الليث السمرقندي **فإن** قيل فما الفائدة
في أمر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بإمساكها **فهو** أن الله تعالى أعلم نبيه
صلى الله عليه وسلم أنها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها
إذ لم تكن بينهما ألفة وأخفى في نفسه ما أعلمه الله تعالى به فلما طلقها زيد خشي قول
الناس يتزوج امرأة ابنه فأمره الله تعالى أن يتزوجها ليباح مثل ذلك
لأمته كما قال تعالى لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم
وقد قيل كان أمره لزيد بإمساكها قمعاً للشهوة وردّاً للنفس عن هواها وهذا
إذا جوزنا عليه أنه رآها فجأة واستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه
ابن آدم من استحسانه للحسن ونظرة الفجأة معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وأمر
زيداً بإمساكها وإنما تنكر تلك الزيادات التي في القصة والتعويل والأولى
ما ذكرناه عن علي بن حسين وحكاه السمرقندي وهو قول ابن عطاء وصححه
واستحسنه القاضي القشيري وعليه عول أبو بكر بن فورك وقال إنه معنى
ذلك عند المحققين من أهل التفسير قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه
عن استعمال النفاق في ذلك وإظهار خلاف ما في نفسه وقد نزهه الله
تعالى عن ذلك بقوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قال
ومن ظن ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد أخطأ قال وليس معنى الخشية هنا
الخوف وإنما معناه الاستحياء أي يستحيي منهم أن يقولوا تزوج زوجة ابنه
وأن خشيته صلى الله عليه وسلم كانت من إرجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم
من الناس

على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الأبناء كما كان فعتبه
الله تعالى على هذا ونزهه عن الالتفات إليهم فيما أحله له كما عتبه على مراعاة
رضى أزواجه في سورة التحريم بقوله لم تحرم ما أحل الله لك الآية كذلك
قوله تعالى له هاهنا وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه **وقد** روي عن الحسن
وعائشة لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً لكتم هذه الآية لما فيها
من عتبه وإبداء ما أخفاه **فصل** قلت قد تقررت عصمته صلى الله عليه
وسلم في أقواله في جميع أحواله وأنه لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب
في عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضى ولا غضب ولكن
ما معنى الحديث في وصيته صلى الله عليه وسلم الذي حدثنا به القاضي الشهيد
أبو علي رحمه الله قال حدثنا القاضي أبو الوليد قال حدثنا أبو ذر حدثنا
أبو محمد وأبو الهيثم وأبو إسحق قالوا حدثنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسمعيل
قال حدثنا علي بن عبد الله حدثنا عبد الرزاق بن همام عن معمر عن
الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال لما احتضر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلموا
أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده فقال بعضهم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد غلبه الوجع الحديث **وفي** رواية ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده
أبداً فتنازعوا فقالوا ما له أهجر استفهموه فقال دعوني فإن الذي أنا فيه
خير **وفي بعض** طرقه فقال إن النبي يهجر **وفي** رواية هجر **ويروى**
أهجر **ويروى** أهجراً **وفيه** فقال عمر إن النبي صلى الله عليه وسلم
قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عني
وفي رواية واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول

الله صلى الله عليه وسلم كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر قال أئمتنا في هذا الحديث
النبي صلى الله عليه وسلم غير معصوم من الأمراض وما يكون من عوارضها من
شدة وجع وغشي ونحوه مما يطرأ على جسمه معصوما ان يكون منه من القول أثناء معصوم
ذلك ما يطعن في معجزته ويؤدي الى فساد في شريعته من هذيان او اختلال
في كلامه وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في هذا الحديث هجر
اذ معناه هذى يقال هجر هجرا اذا هذى واهجر هجرا اذا افحش واهجر
تعدية هجر وانما الأصح والأولى أهجر على طريق الإنكار على من قال لا يكتب
وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة في حديث
الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة وكذا ضبطه بهذه الطرق
الأصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذا الطريق وكذا روايتنا عن مسلم
في حديث سفيان وعن غيره وقد تحمل عليه رواية من رواه هجر على حذف
ألف الاستفهام والتقدير أهجر او ان تحمل قول القائل هجر او اهجر دهشة
من قائل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله عليه وسلم
وشدة وجعه وهول المقام الذي اختلف فيه عليه والأمر الذي هم بالكتاب
فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه واجرى الهجر مجرى شدة الوجع لا
انه اعتقد انه يجوز عليه الهجر كما حملهم الإشفاق على حراسته والله تعالى
يقول والله يعصمك من الناس ونحو هذا وأما على رواية أهجرا وهي رواية أبي إسحق
المستملي في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس من رواية قتيبة فقد يكون
هذا راجعا الى المختلفين عنده ومخاطبة لهم من بعضهم اي جئتم باختلافكم على علي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا من القول والهجر بضم
الهاء الفحش في المنطق وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث وكيف اختلفوا
بعد

بعد أمره لهم عليه الصلاة والسلام بأن يأتوه بالكتاب فقال بعضهم أوامر
النبي صلى الله عليه وسلم يفهم ايجابها من ندبها من اباحتها بقرائن فلعل
قد ظهر من قرائن قوله عليه الصلاة والسلام لبعضهم ما فهموا انه لم يكن
منه عزمة بل أمر رده الى اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه
فلما اختلفوا كف عنه إذ لم يكن عزمة ولما رأوا من صواب رأي عمر ثم هؤلاء
قالوا ويكون امتناع عمر اما اشفاقا على النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه
في تلك الحال املاء الكتاب وأن يدخل عليه مشقة من ذلك كما قال ان النبي
صلى الله عليه وسلم اشتد به الوجع وقيل خشي عمر أن يكتب امورا يعجزون
عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة ورأى ان الأرفق بالأمة في تلك الأمور
سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب فيكون المصيب والمخطئ مأجورا
خ الرجعة وقد علم عمر تقرر الشرع وتأسيس الملة وأن الله تعالى قال اليوم أكملت لكم
دينكم وقوله صلى الله عليه وسلم أوصيكم بكتاب الله وعترتي وقول عمر حسبنا
كتاب الله رد على من نازعه لا على أمر النبي صلى الله عليه وسلم وقد قيل
خ كتب ان عمر خشي تطرق المنافقين ومن في قلبه مرض لما كتب في ذلك الكتاب
في الخلوة وأن يتقولوا في ذلك الأقاويل كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك
وقيل انه كان من النبي صلى الله عليه وسلم لهم على طريق المشورة والاختبار هل
يتفقون على ذلك ام يختلفون فلما اختلفوا تركه وقالت طائفة أخرى ان معنى
الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه
لا أنه ابتدأ بالأمر به بل اقتضاه منه بعض اصحابه فأجاب رغبتهم وكره ذلك
غيرهم للعلل التي ذكرناها واستدل في مثل هذه القصة بقول العباس
لعلي انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كان الأمر فينا علمناه وكلامه

على هذا وقوله والله لا أفعل الحديث واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم دعوني
فإن الذي أنا فيه خير أي الذي أنا فيه خير من إرسال الأمر وترككم وكتاب
الله وأن تدعوني من الذي طلبتم وذكر أن الذي طلب كتابة أمر الخلافة بعده تما خ
وتعيين ذلك **فصل** فإن قيل فما وجه حديثه أيضاً الذي حدثناه
الفقيه أبو محمد الخشني بقراءتي عليه حدثنا أبو علي الطبري حدثنا عبد الغافر
الفارسي حدثنا أبو أحمد الجلودي قال حدثنا إبراهيم بن سفيان حدثنا مسلم بن
الحجاج حدثنا قتيبة حدثنا ليث عن سعيد بن أبي سعيد عن سالم مولى النصريين
قال سمعت أبا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم
إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وإني قد اتخذت عندك عهداً لن
تخلفنيه فأيما مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه
بها إليك يوم القيامة **وفي** رواية فأيما أحد دعوت عليه دعوة **وفي**
رواية ليس لها بأهل **وفي** رواية فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته
أو جلدته فاجعلها له زكاة وصلاة ورحمة **وكيف** يصح أن يلعن النبي
صلى الله عليه وسلم من لا يستحق اللعن ويسب من لا يستحق السب ويجلد من
لا يستحق الجلد أو يفعل مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم من هذا كله
فاعلم شرح الله صدرك أن قوله صلى الله عليه وسلم أولاً ليس لها بأهل أي
عندك يا رب في باطن أمره فإن حكمه عليه الصلاة والسلام على الظاهر كما قال
وللحكمة التي ذكرناها فحكم عليه الصلاة والسلام بجلده أو أدبه بسبه أو لعنه
بما اقتضاه عنده حال ظاهره ثم دعا عليه الصلاة والسلام لشفقته على أمته
ورأفته ورحمته للمؤمنين التي وصفه الله تعالى بها وحذره أن يتقبل فيمن دعا
عليه دعوته أن يجعل دعاءه وفعله له رحمة فهو معنى قوله ليس لها بأهل لا أنه
صح ولعنه خ

صلى الله عليه وسلم حمله الغضب واستفزه الضجر لأن يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه
من مسلم وهذا معنى صحيح **ولا يفهم** من قوله أغضب كما يغضب البشر أن
الغضب حمله على ما لا يجب **بل يجوز** أن يكون المراد بهذا أن الغضب لله تعالى أد خ
حمله على معاقبته بلعنه أو سبه وأنه كان مما يحتمل ويجوز عفوه عنه أو كان
مما خير بين المعاقبة فيه أو العفو عنه **وقد** يحمل أنه خرج مخرج الإشفاق
وتعليم أمته الخوف والحذر من تعدي حدود الله تعالى **وقد** يحمل ما ورد تحتمل خ
من دعائه صلى الله عليه وسلم هنا ومن دعواته على غير واحد في غير موطن على
غير العقد والقصد بل مما جرت به عادة العرب وليس المراد بها الإجابة بها خ
كقوله صلى الله عليه وسلم تربت يمينك ولا أشبع الله بطنك وعقرى حلقى بطنه خ
وغيرها من دعواته صلى الله عليه وسلم **وقد** ورد في صفته صلى الله عليه وسلم
في غير حديث أنه لم يكن فحاشاً **وقال** أنس لم يكن سباباً ولا فاحشاً ولا لعاناً وكان
يقول لأحدنا عند المعتبة ما له ترب جبينه فيكون حمل الحديث على هذا المعنى ما باله خ
ثم أشفق عليه الصلاة والسلام من موافقة أمثالها إجابة فعاهد ربه تعالى موافقة خ
كما قال في الحديث أن يجعل ذلك للمقول له زكاة ورحمة وقربة **وقد** يكون
ذلك إشفاقاً على المدعو عليه وتأنيساً له لئلا يلحقه من استشعار الخوف
والحذر من لعن النبي صلى الله عليه وسلم وتقبل دعائه ما يحمله على اليأس والقنوط
وقد يكون ذلك سؤالاً منه صلى الله عليه وسلم لربه تعالى لمن جلده أو سبه على حق
وبوجه صحيح أن يجعل ذلك له كفارة لما أصاب وتمحية لما اجترم وأن تكون
عقوبته له في الدنيا سبباً للعفو والغفران كما جاء في الحديث الآخر ومن
أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فهو له كفارة **قال** القاضي رحمه الله **فإن** به خ
قلت فما معنى حديث الزبير وقول النبي صلى الله عليه وسلم له حين تخاصمه مع

الانصاري في شراج الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين فقال له الانصاري ان كان
ابن عمتك يا رسول الله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير
ثم احبس حتى يبلغ الجدر الحديث **فالجواب** ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه
عن ان يقع بنفس مسلم منه في هذه القصة امر يريب ولكنه صلى الله عليه وسلم ندب
الزبير اولا الى الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم يرض بذلك
الاخر ولج وقال ما لا يجب استوفى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه
ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب اذا اشار الامام بالصلح فأبى
حكم عليه بالحكم وذكر في اخر الحديث فاستوعى رسول الله صلى الله عليه
وسلم حينئذ حقه للزبير **وقد** جعل المسلمون هذا الحديث اصلا في قضيته
وفيه الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه
وانه وان نهى ان يقضي القاضي وهو غضبان فانه في حكمه في حال الغضب والرضى
سواء لكونه فيهما معصوما وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا انما كان لله
تعالى لا لنفسه كما جاء في الحديث الصحيح **وكذلك** الحديث في اقادته عكاشة
من نفسه لم يكن لتعد حمله الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه ان عكاشة
قال له وضربتني بالقضيب فلا ادري اعمدا ام اردت ضرب الناقة فقال النبي
صلى الله عليه وسلم اعيذك يا عكاشة ان يتعمدك رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكذلك في حديثه الاخر مع الاعرابي حين طلب صلى الله عليه وسلم الاقتصاص
منه فقال الاعرابي قد عفوت عنك وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ضربه
بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد اخرى والنبي صلى الله عليه وسلم
ينهاه ويقول له تدرك حاجتك وهو يأبى فضربه بعد ثلاث مرات **وهذا**
منه صلى الله عليه وسلم لمن لم يقف عند نهيه صواب وموضع ادب لكنه عليه

الصلوة

خط

الصلوة والسلام اشفق اذ كان حق نفسه من الامر حتى عفا عنه **واما** حديث
سواد بن عمرو اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وانا متخلق فقال ورس ورس
حط حط وغشيني بقضيب في يده في بطني فاوجعني قلت القصاص يا رسول الله
فكشف لي عن بطنه **انما** ضربه عليه الصلوة والسلام لمنكر راه به ولعله
لم يرد بضربه بالقضيب الا تنبيهه فلما كان منه ايجاع لم يقصده طلب التحلل
منه على ما قدمناه **فصل** قال القاضي رحمه الله واما افعاله صلى الله عليه
وسلم الدنيوية فحكمه فيها من توقي المعاصي والمكروهات ما قدمناه ومن جواز
السهو او الغلط في بعضها ما ذكرناه **وكله** غير قادح في النبوة بل ان هذا
فيها على الندور اذ عامة افعاله على السداد والصواب بل اكثرها او كلها
جارية مجرى العبادات والقرب على ما بيناه اذ كان صلى الله عليه وسلم
لا ياخذ منها لنفسه الا ضرورته وما يقيم رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التي
بها يعبد ربه ويقيم شريعته ويسوس امته **وما** كان فيما بينه وبين الناس
من ذلك فبين معروف يصنعه او بر يوسعه او كلام حسن يقوله
او يسمعه او تألف شارد او قهر معاند او مداراة حاسد **وكل** هذا لاحق
بصالح اعماله صلى الله عليه وسلم منتظم في زاكي وظائف عباداته وقد كان
يخالف في افعاله الدنيوية بحسب اختلاف الاحوال ويعد للامور اشباهها
فيركب في تصرفه لما قرب الحمار وفي اسفاره الراحلة وقد يركب البغلة
في معارك الحرب دليلا على الثبات ويركب الخيل ويعدها ليوم
الفزع واجابة الصارخ **وكذلك** في لباسه وسائر افعاله بحسب اعتبار
مصالحه ومصالح امته وكذلك يفعل الفعل من امور الدنيا مساعدة
لامته وسياسة وكراهية لخلافها وان كان قد يرى غيره خيرا منه كما يترك

عليه
بلى
خ بصلاح
خ احواله

امرهم

الفعل لهذا وقد يرى فعله خيرا منه وقد يفعل هذا في الأمور الدينية
بما له الحسن في أحد وجعفه لحمزة وخروجه من المدينة لأحد وكان مذهبه
التحصن بها وتركه قتل المنافقين وهو على يقين من شرهم موالفة لغيرهم
ورعاية للمؤمنين من قرابتهم وكراهة لأن يقول الناس إن محمدا يقتل أصحابه كما
جاء في الحديث الصحيح وتركه بناء الكعبة على قواعد إبراهيم عليه السلام
مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها وحذرا من نفار قلوبهم لذلك
وتحريك متقدم عداوتهم للدين وأهله فقال لعائشة في الحديث الصحيح
لولا حدثان قومك بالكفر لأتممت البيت على قواعد إبراهيم ويفعل الفعل
ثم تركه لكون غيره خيرا منه كانتقاله من أدنى مياه بدر إلى أقربها للعدو
من قريش وكقوله لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي وبسط
وجهه للكافر والعدو رجاء استيلافه ويصبر للجاهل ويقول إن من
شرار الناس من اتقاه الناس لشره ويبذل له الرغائب ليحبب إليه شريعته
ودين ربه ويتولى في منزله ما يتولاه الخادم من مهنته ويتسمت في
ملابه حتى لا يبدو منه شيء من أطرافه وحتى كأن على رؤوس جلسائه الطير
ويتحدث مع جلسائه بحديث أولهم ويتعجب مما يتعجبون منه ويضحك مما
يضحكون منه قد وسع الناس بشره وعدله لا يستفزه الغضب ولا يقصر عن
الحق ولا يبطن على جلسائه يقول ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين
فإن قلت فما معنى قوله لعائشة في الداخل عليه بئس ابن العشيرة هو فلما دخل
ألان له القول وضحك معه فلما سألته عن ذلك قال إن من شر الناس من اتقاه
الناس لشره وكيف جاز أن يظهر له خلاف ما يبطن ويقول في ظهره ما قال
فالجواب أن فعله صلى الله عليه وسلم كان استيلافا لمثله وتطييبا لنفسه

ليتمكن

لتغيرها

مما

شرار يتول في ملابه

ليتمكن إيمانه ويدخل في الإسلام بسببه أتباعه ويراه مثله فينجذب بذلك
إلى الإسلام ومثل هذا على الوجه قد خرج من حد مداراة الدنيا إلى السياسة
الدينية وقد كان صلى الله عليه وسلم يستألفهم بأموال الله العريضة فكيف
بالكلمة اللينة قال صفوان بن أمية لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه
وهو أبغض الخلق إلي فما زال يعطيني حتى صار أحب الخلق إلي وقوله
فيه بئس ابن العشيرة هو غير غيبة بل هو تعريف ما علمه منه لمن لم يعلم
ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما وكان مطاعا
متبوعا ومثل هذا إذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن بغيبة بل كان جائزا
بل واجبا في بعض الأحيان كعادة المحدثين في تجريح الرواة والمزكين في
الشهود فإن قيل فما معنى المعضل الوارد في حديث بريرة من قوله صلى
الله عليه وسلم لعائشة وقد أخبرته أن موالي بريرة أبوا بيعها إلا أن يكون
لهم الولاء فقال لها صلى الله عليه وسلم اشتريها واشترطي لهم الولاء
ففعلت ثم قام خطيبا فقال ما بال أقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب
الله كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل والنبي صلى الله عليه وسلم قد أمرها
بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه والله أعلم لما باعوها من عائشة كما لم يبيعوها
قبل حتى شرطوا ذلك عليها ثم أبطله صلى الله عليه وسلم وهو قد حرم الغش
والخديعة فاعلم أكرمك الله أن النبي صلى الله عليه وسلم منزه عما يقع في
بال الجاهل من هذا ولتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ما قد أنكر قوم
هذه الزيادة قوله اشترطي لهم الولاء إذ ليست في كثير من طرق هذا الحديث
ومع ثباتها فلا اعتراض بها إذ يقع لهم بمعنى عليهم قال الله تعالى أولئك لهم
اللعنة وقال وإن أسأتم فلها فعلى هذا اشترطي عليهم الولاء لك ويكون

الفصل

قيام النبي صلى الله عليه وسلم ووعظه لما سلف لهم من شرط الولاء لأنفسهم قبل
ذلك **والوجه الثاني** أن قوله صلى الله عليه وسلم اشترطي لهم الولاء ليس على
معنى الأمر لكن على معنى التسوية والإعلام بأن شرطه لهم لا ينفعهم بعد
بيان النبي صلى الله عليه وسلم لهم قبل أن الولاء لمن أعتق فكأنه قال لها
اشترطي أو لا تشترطي فإنه شرط غير نافع **وإلى** هذا ذهب الداودي وغيره
وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم لهم وتقريعهم على ذلك يدل على علمهم به قبل
هذا **الوجه الثالث** أن معنى قوله اشترطي لهم الولاء أي أظهري لهم حكمه
وبيني عندهم سنته أن الولاء إنما هو لمن أعتق ثم بعد هذا قام هو صلى الله
عليه وسلم مبينا ذلك وموبخا على مخالفته ما تقدم منه فيه **فإن قيل** — مخالفته
فما معنى فعل يوسف عليه السلام بأخيه إذ جعل السقاية في رحله وأخذه
باسم سرقتها وما جرى على إخوته في ذلك وقوله إنكم لسارقون ولم يسرقوا
فاعلم أكرمك الله أن الآية تدل على أن فعل يوسف كان عن أمر الله
تعالى لقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك
إلا أن يشاء الله الآية **فإذا** كان ذلك فلا اعتراض به كان فيه ما فيه وأيضا
فإن يوسف كان أعلم أخاه بأني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون فكان ما
جرى عليه بعد هذا من وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له به
وإزاحة السوء والمضرة عنه بذلك **وأما** قوله أيتها العير إنكم لسارقون
فليس من قول يوسف فيلزم عليه جواب لحل شبهه **ولعل** قائله إن — صح لحل شبهة
حسن له التأويل كأنه من كان ظن على صورة الحال ذلك **وقد** قيل — ذلك
قال ذلك لفعلهم قبل بيوسف وبيعهم له وقيل غير هذا ولا يلزم أن
نقول الأنبياء عليهم السلام ما لم يأت أنهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه

ولا يلزم الاعتذار عن زلات غيرهم **فصل** فإن قيل فما الحكمة في إجراء
الأمراض وشدتها عليه وعلى غيره من الأنبياء عليهم الصلوة والسلام وما الوجه
فيما ابتلاهم الله به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كأيوب ويعقوب ودانيال
ويحيى وزكريا وعيسى وإبرهيم ويوسف وغيرهم صلوات الله عليهم وهم — خ على جميعهم
خيرته من خلقه وأحباؤه وأصفياؤه **فاعلم** وفقنا الله تعالى وإياك
أن أفعال الله تعالى كلها عدل وكلماته جميعها صدق لا مبدل لكلماته — خ يبتلي
يبتلي عباده كما قال تعالى لهم لننظر كيف تعملون وليبلوكم أيكم أحسن عملا ولما
يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وحتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
ونبلو أخباركم **فامتحانه** إياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة
في درجاتهم وأسباب لاستخراج حالات الصبر والرضى والشكر
والتسليم والتوكل والتفويض والدعاء والتضرع منهم وتأكيد
لبصائرهم في رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين وتذكرة لغيرهم وموعظة
لسواهم ليتأسوا في البلاء بهم ويتسلوا في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في
الصبر ومحو لهنات فرطت منهم أو غفلات سلفت لهم ليلقوا الله تعالى طيبين
مهذبين وليكون أجرهم أكمل وثوابهم أوفر وأجزل حدثنا
القاضي أبو علي الحافظ حدثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون
قالا حدثنا أبو يعلى البغدادي قال حدثنا أبو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب
حدثنا أبو عيسى الترمذي حدثنا قتيبة حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة
عن مصعب بن سعد عن أبيه قال قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء قال الأنبياء — صح بالعبد
ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فما يبرح البلاء عن العبد
حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة وكما قال تعالى وكأين من نبي قاتل معه

يشون كثير الأيام لثلث وعن أبي هريرة ما يزال البلاء بالمؤمن في نفسه وولده
وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وعن أنس عنه صلى الله عليه وسلم إذا أراد
الله تعالى بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد بعبده الشر أمسك
عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة وفي حديث آخر إذا أحب الله عبدا
ابتلاه ليسمع تضرعه وحكي السمرقندي أن كل من كان أكرم على الله عز وجل
كان بلاؤه أشد كي يتبين فضله ويستوجب الثواب كما روي عن لقمان
أنه قال يا بني الذهب والفضة يختبران بالنار والمؤمن يختبر بالبلاء وقد
حكي أن ابتلاء يعقوب بيوسف كان سببه التفاته في صلاته إليه ويوسف
نائم محبة له وقيل اجتمع يوما هو وابنه يوسف على أكل حمل مشوي وهما
يضحكان وكان لهم جار يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز
لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه فعوقب يعقوب بالبكاء أسفا
على يوسف إلى أن سالت حدقتاه وابيضت عيناه من الحزن فلما علم بذلك كان
بقية حياته يأمر مناديا ينادي على سطحه ألا من كان مفطرا فليتغد عند آل
يعقوب وعوقب يوسف بالمحنة التي قص الله تعالى علينا وروي عن الليث
أن سبب بلاء أيوب أنه دخل مع أهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه وأغلظوا
له إلا أيوب فإنه رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله تعالى ببلائه ومحنة
سليمان لما ذكرناه من نيته في كون الحق في جنبة أصهاره أو العمل بالمعصية
في داره ولا علم عنده وهذا فائدة شدة المرض والوجع بالنبي صلى الله عليه وسلم
قالت عائشة ما رأيت الوجع على أحد أشد منه على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعن عبد الله رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه يوعك وعكا
شديدا فقلت إنك لتوعك وعكا شديدا قال أجل إني أوعك كما يوعك رجلان

منكم

منكم قلت ذلك أن لك الأجر مرتين قال أجل ذلك كذلك وفي حديث
أبي سعيد أن رجلا وضع يده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله ما أطيق
أضع يدي عليك من شدة حماك فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنا معشر الأنبياء
يضاعف لنا البلاء إن كان النبي ليبتلى بالقمل حتى يقتله وإن كان النبي ليبتلى
بالفقر وإن كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء وعن أنس عنه
صلى الله عليه وسلم إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب
قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط وقد قال
المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به إن المسلم يجزى بمصائب
الدنيا فتكون له كفارة وروي مثل هذا عن عائشة وأبي ومجاهد وقال
أبو هريرة عنه عليه الصلوة والسلام من يرد الله به خيرا يصب منه
وقال في رواية عائشة ما من مصيبة تصيب المسلم إلا يكفر الله بها عنه
حتى الشوكة يشاكها وقال في رواية أبي سعيد ما يصيب المؤمن من نصب
ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله
بها من خطاياه وفي حديث ابن مسعود ما من مسلم يصيبه أذى إلا حات
الله عنه خطاياه كما تحات ورق الشجر وحكمة أخرى أودعها الله عز وجل
في الأمراض لأجسامهم وتعاقب الأوجاع عليها وشدتها عند مماتهم لتضعف
قوى نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضهم وتخف عليهم مؤنة النزع وشدة
السكرات بتقدم المرض وضعف النفس والجسم لذلك خلاف موت الفجاءة
وأخذه كما يشاهد من اختلاف أحوال الموتى في الشدة واللين والصعوبة
والسهولة وقد قال صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن مثل خامة الزرع تفيئها
الريح هكذا وهكذا وفي رواية أبي هريرة من حيث أتتها الريح تكفؤها

لاز

فإذا اكتنب اعتدلت وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء ومثل الكافر كمثل الأرزة
صمّاء معتدلة حتى يقصمها الله **معناه** أن المؤمن من حيث إنه مصاب بالبلاء والأمراض
راضٍ بتصريفه بين أقدار الله تعالى منطاع لذلك لين الجانب برضاه وقلة
تسخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها لهبوبها وترنحها من
حيث ما أتتها فإذا أزاح الله تعالى عن المؤمن رياح البلايا واعتدل صحيحا
كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو رجع إلى شكر ربه عز
وجل ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه منتظرا رحمته وثوابه عليه فإذا كان
بهذا السبيل لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه
سكراته ونزعه لعادته بما تقدمه من الآلام ومعرفة ما له فيها من الأجر
وتوطينه نفسه على المصائب ورقتها وضعفها بتوالي المرض أو شدته والكافر
بخلاف هذا معافى في غالب حاله ممتنع بصحة جسمه كالأرزة الصماء
حتى إذا أراد الله عز وجل هلاكه قصمه الله لحينه على غرة وأخذه
بغتة من غير لطف ولا رفق وكان موته أشد عليه حسرة ومقاساة نزعه مع
قوة نفسه وصحة جسمه أشد ألما وعذابا ولعذاب الآخرة أشد كانجعاف
الأرزة وكما **قال الله تعالى** فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون
وكذلك عادة الله تعالى وجل في أعدائه كما **قال تعالى** فكلا أخذنا
بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة الآية فجاء
جميعهم بالموت على حال عتو وغفلة وصحتهم به على غير استعداد بغتة **ولهذا**
ما ذكر عن السلف رضي الله عنهم أنهم كانوا يكرهون موت الفجاءة **ومنه**
في حديث إبراهيم كانوا يكرهون أخذة كأخذة الأسف أي الغضب يريد موت
الفجاءة **وحكمة ثالثة** أن الأمراض نذير الموت وبقدر شدتها شدة الخوف

كره السلف موت الفجاءة

من نزول الموت فيستعد من أصابته وعلم تعاهدها له للقاء ربه عز وجل
ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الأنكاد ويكون قلبه معلقا بالمعاد فيتنصل من
كل ما يخشى تباعته من قبل الله تعالى وقبل العباد ويؤدي الحقوق إلى
أهلها وينظر فيما يحتاج إليه من وصية فيمن يخلفه أو أمر يعهده **وهذا**
نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قد طلب التحلل
في مرضه ممن كان له عليه مال أو حق في بدن وأقاد من نفسه وماله وأمكن
من القصاص منه على ما ورد في حديث الفضل وحديث الوفاة وأوصى بالثقلين
بعده كتاب الله تعالى وعترته وبالأنصار عيبته ودعا إلى الكتف ليكتب لئلا
تضل أمته بعده إما في النص على الخلافة أو الله أعلم بمراده ثم رأى الإمساك
عنه أفضل وخيرا **وهكذا** سير عباد الله المؤمنين وأوليائه المتقين
وهذا كله تحرمه غالبا الكفار لإملاء الله تعالى لهم ليزدادوا إثما
وليستدرجهم من حيث لا يعلمون **قال** الله تعالى ما ينظرون إلا
صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم
يرجعون **وكذلك قال** صلى الله عليه وسلم في رجل مات فجأة سبحان
الله كأنه على غضب المحروم من حرم وصيته **وقال** صلى الله عليه وسلم
موت الفجاءة راحة للمؤمن وأخذة أسف للكافر أو الفاجر **وذلك**
لأن الموت يأتي المؤمن وهو غالبا مستعد له منتظر لحلوله فهان أمره
عليه كيف ما جاء وأفضى إلى راحته من نصب الدنيا وأذاها **كما قال**
صلى الله عليه وسلم مستريح ومستراح منه ويأتي الكافر والفاجر منيته
على غير استعداد ولا أهبة ولا مقدمات منذرة مزعجة بل تأتيهم بغتة
فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون وكان الموت أشد شيء عليه

وفراق الدنيا أقطع أمر صدده وأكل شيء له وإلى هذا المعنى أشار صلى الله
عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه

القسم الرابع

في تصرف وجوه الأحكام فيمن تنقصه أو سبه صلى الله عليه وسلم تسليما
قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه قد تقدم من الكتاب والسنة
وإجماع الأمة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم وما يتعين له
من بر وتوقير وتعظيم وإكرام وبحسب هذا حرم الله تعالى أذاه
في كتابه وأجمعت الأمة على قتل متنقصه من المسلمين وسابه قال الله تعالى
إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا
مهينا وقال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم وقال
تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده
أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما وقال تعالى في تحريم التعريض له
يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا الآية وذلك أن اليهود
لعنوا كانوا يقولون راعنا يا محمد أي أرعنا سمعك واسمع منا ويعرضون
بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله تعالى المؤمنين عن التشبه بهم وقطع
الذريعة بنهي المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق إلى سبه
والاستهزاء به وقيل بل لما فيها من مشاركة اللفظ لأنها عند اليهود بمعنى
اسمع لا سمعت وقيل بل لما فيها من قلة الأدب وعدم توقير النبي صلى الله عليه
وسلم وتعظيمه لأنها في لغة الأنصار بمعنى ارعنا نرعك فنهوا عن ذلك
إذ مضمونه أنهم لا يرعونه صلى الله عليه وسلم إلا برعايته لهم وهو عليه
الصلاة والسلام واجب الرعاية بكل حال وهذا هو صلى الله عليه وسلم
قد

قد نهى عن التكني بكنيته فقال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن
أذاه إذ كان صلى الله عليه وسلم استجاب لرجل نادى يا أبا القاسم فقال لم
أعنك إنما دعوت هذا فنهى حينئذ عن التكني بكنيته لئلا يتأذى بإجابة دعوة
غيره ممن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون والمستهزئون ذريعة إلى أذاه والإزراء
به فينادونه فإذا التفت قالوا إنما أردنا هذا لسواه تعنيتا له واستخفافا
بحقه على عادة المجان والمستهزئين فحمى صلى الله عليه وسلم حمى أذاه بكل وجه
فحمل محققو العلماء نهيه هذا على مدة حياته وأجازوه بعد وفاته
لارتفاع العلة وللناس في هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها وما
ذكرناه هو مذهب الجمهور والصواب إن شاء الله تعالى وأن ذلك على طريق
توقيره وتعظيمه وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم ولذلك لم ينه عن
اسمه لأنه قد كان الله تعالى منع من ندائه به بقوله عز وجل لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا وإنما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله ويا نبي الله وقد
يدعوه بكنيته أبا القاسم بعضهم في بعض الأحوال وقد روى أنس عنه صلى
الله عليه وسلم ما يدل على كراهة التسمي باسمه وتنزيهه عن ذلك إذا لم يوقر
فقال تسمون أولادكم محمدا ثم تلعنونهم وروي أن عمر كتب إلى الكوفة
لا يسمى أحد باسم النبي صلى الله عليه وسلم حكاه أبو جعفر الطبري وحكى
محمد بن سعد أنه نظر إلى رجل اسمه محمد ورجل يسبه ويقول له فعل الله
بك يا محمد وصنع فقال عمر لابن أخيه محمد بن زيد بن الخطاب لا أرى محمدا
صلى الله عليه وسلم يسب بك والله لا تدعى محمدا ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن
وأراد أن يمنع الناس أكراما لهم بذلك أن يسمى أحد بأسماء الأنبياء عليهم السلام
وغير أسماء جماعة تسموا بأسماء الأنبياء والصواب جواز هذا كله بعد صلى

الله عليه وسلم بدليل إطباق الصحابة رضي الله عنهم على ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه بأبي القاسم وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن في ذلك لعلي وقد أخبر عليه الصلوة والسلام أن ذلك اسم المهدي وكنيته وقد سمى به النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن طلحة ومحمد بن عمرو بن حزم ومحمد ابن ثابت بن قيس وغير واحد وقال ما ضر أحدكم أن يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وقد فصلنا الكلام في هذا القسم على بابين كما قدمناه

خ نقلت

الباب الأول

في بيان ما هو في حقه عليه الصلوة والسلام سب أو نقص من تعريض أو نص اعلم وفقنا الله تعالى وإياك أن جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم أو عابه أو ألحق به نقصا في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرض به أو شبهه بشيء على طريق السب له أو الإزراء عليه أو التصغير لشأنه أو الغض منه والعيب له فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ولا نستثني فصلا من فصول هذا الباب على هذا المقصد ولا نمتري فيه تصريحا كان أو تلويحا وكذلك من لعنه أو دعا عليه صلى الله عليه وسلم تسليما أو تمنى مضرة له أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم أو عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور أو عيره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه أو غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه صلى الله عليه وسلم هذا كله إجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة رضي الله عنهم إلى هلم جرا قال أبو بكر بن المنذر أجمع عوام أهل العلم على أن من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك مالك بن أنس والليث وأحمد وإسحق وهو مذهب الشافعي قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه

خ والمعهود

عنه وهو مقتضى قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولا تقبل توبته عند هؤلاء وبمثله قال أبو حنيفة وأصحابه والثوري وأهل الكوفة والأوزاعي في المسلم ولكنهم قالوا هي ردة وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك وحكى الطبري مثله عن أبي حنيفة وأصحابه فيمن تنقصه أو برئ منه أو كذبه صلى الله عليه وسلم وقال سحنون فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل قتله حد أو كفر كما سنبينه في الباب الثاني إن شاء الله تعالى ولا نعلم خلافا في استباحة دمه بين علماء الأمصار وسلف الأمة وقد ذكر غير واحد الإجماع على قتله وتكفيره وأشار بعض الظاهرية وهو أبو محمد علي بن أحمد الفارسي إلى الخلاف في تكفير المستخف به والمعروف ما قدمناه قال محمد بن سحنون أجمع العلماء أن شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله له وحكمه عند الأمة القتل ومن شك في كفره وعذابه فقد كفر واحتج إبراهيم بن حسين بن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل خالد بن الوليد مالك ابن نويرة لقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم وقال أبو سليمن الخطابي لا أعلم أحدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله إذا كان مسلما وقال ابن القاسم عن مالك في كتاب ابن سحنون والمبسوط والعتبية وحكاه مطرف عن مالك في كتاب ابن حبيب من سب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل ولم يستتب وقال ابن القاسم في العتبية من سبه أو شتمه أو عابه أو تنقصه فإنه يقتل كالزنديق وقد فرض الله تعالى توقيره وبره وفي المبسوطة عن عثمان بن كنانة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل أو صلب حيا ولم يستتب والإمام مخير في صلبه حيا أو قتله ومن رواية أبي المصعب وابن أبي أويس سمعنا مالكا

خ حسن

بقوله

خ المبسوط

يقول من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو شتمه أو عابه أو تنقصه قتل مسلماً كان
أو كافراً ولا يستتاب وفي كتاب محمد أخبرنا أصحاب مالك أنه قال من سب النبي
صلى الله عليه وسلم أو غيره من النبيين أسر ذلك أو أظهره ولا يستتاب لأن توبته
لا تعرف وقال عبد الله بن عبد الحكم من سب النبي صلى الله عليه وسلم من
مسلم أو كافر قتل ولم يستتب وحكى الطبري مثله عن أشهب عن مالك
وروى ابن وهب عن مالك من قال إن رداء النبي صلى الله عليه وسلم ويروى
زر النبي صلى الله عليه وسلم وسخ أراد به عيبه قتل وقال بعض علمائنا
أجمع العلماء على أن من دعا على نبي من الأنبياء عليهم السلام بالويل
أو بشيء من المكروه أنه يقتل بلا استتابة وأفتى أبو الحسن القابسي فيمن
قال في النبي صلى الله عليه وسلم الحمال يتيم أبي طالب بالقتل وأفتى أبو
محمد بن أبي زيد بقتل رجل سمع قوماً يتذاكرون صفة النبي صلى الله عليه
وسلم إذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال لهم تريدون تعرفون
صفته هي في صفة هذا المار في خلقه ولحيته قال ولا تقبل توبته وقد
كذب لعنه الله وليس يخرج من قلب سليم الإيمان وقال أحمد بن أبي سليمان
صاحب سحنون من قال إن النبي صلى الله عليه وسلم كان أسود يقتل وقال في
رجل قيل له لا وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فعل الله برسول الله
كذا وذكر كلاماً قبيحاً فقيل له ما تقول يا عدو الله فقال أشد من كلامه
الأول ثم قال إنما أردت برسول الله العقرب فقال ابن أبي سليمان للذي
سأله اشهد عليه وأنا شريكك يريد في قتله وثواب ذلك قال حبيب بن
الربيع لأن ادعاءه التأويل في لفظ صراح لا يقبل لأنه امتهان وهو غير
معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موقر له فوجب إباحة دمه

بذلك

لعن

وافتى

ادما عليك

وأفتى أبو عبد الله بن عتاب في عشار قال لرجل أد واشك إلى النبي صلى الله عليه
وسلم وقال إن سألت أو جهلت فقد جهل وسأل النبي صلى الله عليه وسلم بالقتل
وأفتى فقهاء الأندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه بما شهد عليه
به من استخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته إياه صلى الله عليه وسلم
أثناء مناظرته باليتيم وختن حيدرة وزعمه أن زهده لم يكن قصداً ولو
قدر على الطيبات أكلها إلى أشباه لهذا وأفتى فقهاء القيروان
وأصحاب سحنون بقتل إبراهيم الفزاري وكان شاعراً متفنناً في كثير من
العلوم وكان ممن يحضر مجلس القاضي أبي العباس بن طالب للمناظرة فرفعت
عليه أمور منكرة من هذا الباب في الاستهزاء بالله تعالى وأنبيائه ونبينا
صلوات الله عليه وعليهم وسلامه فأحضر له القاضي يحيى بن عمر وغيره من
الفقهاء وأمر بقتله وصلبه فطعن بالسكين وصلب منكساً ثم أنزل وأحرق
بالنار وحكى بعض المؤرخين أنه لما رفعت خشبته وزالت عنها الأيدي
استدارت وحولته عن القبلة فكان آية للجميع وكبر الناس وجاء كلب
فولغ في دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر
حديثاً عنه عليه الصلاة والسلام أنه لا يلغ الكلب في دم مسلم وقال
القاضي أبو عبد الله بن المرابط من قال إن النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب
فإن تاب وإلا قتل لأنه تنقص إذ لا يجوز عليه ذلك في خاصته إذ هو على
بصيرة من أمره ويقين من عصمته وقال حبيب بن ربيع القروي
مذهب مالك وأصحابه أن من قال فيه عليه الصلاة والسلام ما فيه نقص
قتل دون استتابة وقال ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان أن من
قصد النبي صلى الله عليه وسلم بأذى أو نقص معرضاً أو مصرحاً وإن قل

خاصة نفسه

قتله واجب فهذا الباب كله مما عده العلماء سبا وتنقصا يجب
قتل قائله لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا متأخرهم وإن اختلفوا في حكم
قتله على ما أشرنا إليه ونبينه بعد إن شاء الله تعالى وكذلك أقول
حكم من غمصه أو عيره برعاية الغنم أو السهو أو النسيان أو السحر أو ما
أصابه من جرح أو هزيمة لبعض جيوشه أو أذى من عدوه أو شدة من زمنه
أو بالميل إلى نسائه فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى من مذاهب
العلماء في ذلك ويأتي ما يدل عليه فصل في الحجة في إيجاب قتل
من سبه أو عابه صلى الله عليه وسلم تسليما فمن القرآن لعنه الله تعالى
لمؤذيه في الدنيا والآخرة وقرانه تعالى أذاه بأذاه صلى الله عليه وسلم
ولا خلاف في قتل من سب الله تعالى وأن اللعن إنما يستوجبه من هو كافر
وحكم الكافر القتل فقال تعالى إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله
في الدنيا والآخرة الآية وقال في قاتل المؤمن مثل ذلك فمن لعنته في الدنيا
القتل قال الله تعالى ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا وقال
في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزي في الدنيا وقد يقع القتل بمعنى اللعن
قال الله تعالى قتل الخراصون وقاتلهم الله أي لعنهم الله ولأنه فرق
بين أذاهما وأذى المؤمنين وفي أذى المؤمنين ما دون القتل من الضرب والنكال
فكان حكم مؤذي الله تعالى ونبيه صلى الله عليه وسلم أشد من ذلك وهو القتل
وقال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية
فسلب اسم الإيمان عمن وجد في صدره حرجا من قضائه ولم يسلم له صلى الله
عليه وسلم ومن تنقصه فقد ناقض هذا وقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا
لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي إلى قوله أن تحبط أعمالكم ولا يحبط العمل إلا

الكفر

الكفر والكافر يقتل وقال تعالى وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله
ثم قال حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير وقال تعالى ومنهم الذين يؤذون
النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ثم قال
والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم وقال تعالى ولئن سألتهم ليقولن إنما
كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون إلى قوله قد
كفرتم بعد إيمانكم قال أهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله وأما
الإجماع فقد ذكرناه وأما الآثار فحدثنا الشيخ أبو عبد الله
أحمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ أبي ذر الهروي إجازة قال حدثنا أبو
الحسن الدارقطني وأبو عمر بن حيويه حدثنا محمد بن نوح حدثنا عبد العزيز
بن محمد بن الحسن بن زبالة حدثنا عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن موسى
عن أبيه عن جده عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن الحسين بن علي عن أبيه
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب أصحابي
فاضربوه وفي الحديث الصحيح أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب
بن الأشرف وقوله من لكعب بن الأشرف فإنه يؤذي الله ورسوله ووجه
إليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف غيره من المشركين وعلل بأذاه له
فدل أن قتله إياه لغير الإشراك بل للأذى وكذلك قتل أبا
رافع قال البراء وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه
وكذلك أمره يوم الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه
صلى الله عليه وسلم وفي حديث آخر أن رجلا كان يسبه صلى الله عليه
وسلم فقال من يكفيني عدوي فقال خالد أنا فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم
فقتله وكذلك لم يقبل جماعة ممن كان يؤذيه من الكفار ويسبه كالنضر

ابن الحرث وعقبة بن أبي معيط وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعد
فقتلوا إلا من بادر بإسلامه قبل القدرة عليه وقد روى البزار عن
ابن عباس أن عقبة بن أبي معيط نادى يا معاشر قريش ما لي أقتل من بينكم صبرا
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول الله وذكر
عبد الرزاق أن النبي صلى الله عليه وسلم سبه رجل فقال النبي صلى الله
عليه وسلم من يكفيني عدوي فقال الزبير أنا فبارزه فقتله الزبير وروي
أيضا أن امرأة كانت تسبه صلى الله عليه وسلم فقال من يكفيني عدوي فخرج
إليها خالد بن الوليد فقتلها وروي أن رجلا كذب على النبي صلى الله عليه
وسلم فبعث عليا والزبير إليه ليقتلاه وروى بن قانع أن رجلا جاء إلى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله سمعت أبي يقول فيك قولا قبيحا
فقتلته فلم يشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ المهاجر بن أبي
أمية أمير اليمن لأبي بكر رضي الله عنه أن امرأة هناك في الردة غنت بسب
صلى الله عليه وسلم فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ أبا بكر ذلك فقال له لولا
ما فعلت لأمرتك بقتلها لأن حد الأنبياء ليس يشبه الحدود وعن ابن
عباس هجت امرأة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي بها فقال
رجل من قومها أنا يا رسول الله فنهض فقتلها فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك فقال لا ينتطح فيها عنزان وعن بن عباس أن أعمى كانت له أم ولد
تسب النبي صلى الله عليه وسلم فيزجرها فلا تنزجر فلما كانت ذات ليلة جعلت
تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه فقتلها وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم
فأهدر دمها وفي حديث أبي برزة الأسلمي كنت يوما جالسا عند أبي بكر
الصديق رضي الله عنه فغضب على رجل من المسلمين وحكى القاضي إسمعيل

وغير

وغير واحد من الأئمة في هذا الحديث أنه سب أبا بكر ورواه النسائي أتيت
أبا بكر وقد أغلظ لرجل فرد عليه قال فقلت يا خليفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم دعني أضرب عنقه لسبه إياك فقال اجلس فليس ذلك لأحد إلا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم قال القاضي أبو محمد بن نصر ولم يخالف عليه
أحد فاستدل الأئمة بهذا الحديث على قتل من أغضب النبي صلى الله عليه وسلم
بكل ما أغضبه أو آذاه أو سبه ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز إلى
عامله بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل سب عمر رضي الله عنه فكتب عمر
إليه إنه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب أحد من الناس إلا رجلا سب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه وسأل الرشيد مالكا في
رجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له أن فقهاء العراق أفتوا بجلده
فغضب مالك وقال يا أمير المؤمنين ما بقاء الأمة بعد شتم نبيها من شتم الأنبياء
عليهم السلام قتل ومن شتم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلد قال
الفقيه القاضي أبو الفضل رضي الله عنه كذا وقع في هذه الحكاية رواها
غير واحد ممن ذكر مناقب مالك ومؤلفي أخباره وغيرهم ولا أدري من
هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين أفتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين
بقتله ولعلهم ممن لم يشتهر أو من لم يوثق بفتواه أو يميل به هواه أو يكون ما
قاله يحمل على غير السب فيكون الخلاف هل هو سب أم غير سب أو يكون
رجع وتاب عن سبه فلم يقتله مالك على أصله وإلا فالإجماع على قتل من سبه
كما قدمناه ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار أن من سبه أو تنقصه
صلى الله عليه وسلم فقد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سوء طويته وكفره
ولهذا ما حكم له كثير من العلماء بالردة وهي رواية الشاميين عن مالك والأوزاعي

وبه قال الثوري وأبو حنيفة والكوفيون والقول الآخر أنه دليل على الكفر
فيقتل حدًّا وإن لم يحكم له بالكفر إلا أن يكون متماديًا على قوله غير منكر له ولا
مقلع عنه فهذا كافر وقوله إما صريح كفر كالتكذيب ونحوه أو من كلمات
الاستهزاء والذم فاعترافه بها وترك توبته عنها دليل استحلاله لذلك وهو
كفر أيضًا فهذا كافر بلا خلاف قال الله تعالى في مثله يحلفون بالله ما
قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم قال أهل التفسير هي قولهم
إن كان ما يقول محمد حقًّا لنحن شر من الحمير وقيل بل قول بعضهم ما
مثلنا ومثل محمد إلا قول القائل سمن كلبك يأكلك ولئن رجعنا إلى المدينة
ليخرجن الأعز منها الأذل وقد قيل إن قائل مثل هذا إن كان مستترًا
به أن حكمه حكم الزنديق يقتل ولأنه قد غير دينه وقد قال صلى الله
عليه وسلم من غير دينه فاضربوا عنقه ولأن لحكم النبي صلى الله عليه وسلم
في الحرمة مزية على أمته وساب الحر من أمته يحد فكانت العقوبة لمن سبه
صلى الله عليه وسلم القتل لعظيم قدره وشفوف منزلته على غيره صلى الله عليه
وسلم تسليمًا فصل فلم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي الذي قال
له السام عليكم وهذا دعاء عليه ولا قتل الآخر الذي قال له إن هذه لقسمة
ما أريد بها وجه الله وقد تأذى النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك وقال
قد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر ولا قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه
في أكثر الأحيان فاعلم وفقنا الله تعالى وإياك أن النبي صلى الله عليه وسلم
كان أول الإسلام يستألف عليه الناس ويميل قلوبهم إليه ويحبب إليهم الإيمان
ويزينه في قلوبهم ويداريهم ويقول لأصحابه إنما بعثتم ميسرين ولم
تبعثوا منفرين ويقول يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا ويقول لا يتحدث

الناس

الناس أن محمدًا يقتل أصحابه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يداري الكفار
والمنافقين ويجمل صحبتهم ويغضي عنهم ويحتمل من أذاهم ويصبر على جفائهم
ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان يرفقهم بالعطاء والإحسان وبذلك
أمره الله تعالى فقال تعالى ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلًا منهم
فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين وقال تعالى ادفع بالتي هي
أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وذلك لحاجة الناس للتألف
أول الإسلام وجمع الكلمة عليه فلما استقر وأظهره الله تعالى على الدين كله
قتل من قدر عليه واشتهر أمره كفعله بابن خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح
ومن أمكنه قتله غيلة من يهود وغيرهم أو غلبة ممن لم ينظمه قبل سلك
صحبته والانخراط في جملة مظهري الإيمان به ممن كان يؤذيه كابن الأشرف
وأبي رافع والنضر وعقبة وكذلك ندر دم جماعة سواهم ككعب بن زهير
وابن الزبعرى وغيرهما ممن آذاه حتى ألقوا بأيديهم ولقوه مسلمين وبواطن
المنافقين مستترة وحكمه صلى الله عليه وسلم على الظاهر وأكثر تلك الكلمات
إنما كان يقولها القائل منهم خفية ومع أمثاله ويحلفون عليها إذا نميت وينكرونها
ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكان مع هذا يطمع في فيئتهم
ورجوعهم إلى الإسلام وتوبتهم فيصبر عليه الصلاة والسلام على هناتهم وجفوتهم
كما صبر أولو العزم من الرسل حتى فاء كثير منهم باطنًا كما فاء ظاهرًا وأخلص
سرًّا كما أخلص جهرًا ونفع الله تعالى بعد بكثير منهم وقام منهم للدين وزراء
وأعوان وحماة وأنصار كما جاءت به الأخبار وبهذا أجاب بعض أئمتنا
رحمهم الله تعالى عن هذا السؤال وقال لعله لم يثبت عنده عليه الصلاة
والسلام من أقوالهم ما رفع وإنما نقله الواحد ومن لم يصل رتبة الشهادة في

هذا الباب من صبي أو عبد أو امرأة والدماء لا تستباح إلا بعدلين وعلى
هذا يحمل أمر اليهود في السلام وأنهم لووا به ألسنتهم ولم يبينوه ألا ترى خ في السام
كيف نبهت عليه عائشة ولو كان صرح بذلك لم تنفرد بعلمه ولهذا نبه النبي
صلى الله عليه وسلم أصحابه على فعلهم وقلة صدقهم في سلامهم وخيانتهم في
ذلك ليًّا بألسنتهم وطعنًا في الدين فقال إن اليهود إذا سلم أحدهم فإنما يقول
السام عليكم فقولوا عليكم وكذلك قال بعض أصحابنا البغداديين إن خ بن
النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم ولم يأت أنه
قامت بينة على نفاقهم فلذلك تركهم صلى الله عليه وسلم وأيضًا فإن الأمر خ ولهذا
كان سرًّا وباطنًا وظاهرهم الإسلام والإيمان وإن كان من أهل الذمة
بالعهد والجوار والناس قريب عهدهم بالإسلام لم يتميز بعد الخبيث
من الطيب وقد شاع عن المذكورين في العرب كون من يتهم بالنفاق من
جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين وأنصار الدين بحكم ظاهرهم فلو
قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر منهم وعلمه بما أسروا
في أنفسهم لوجد المنفر ما يقول ولارتاب الشارد وأرجف المعاند وارتاع
من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم والدخول في الإسلام غير واحد ولزعم
الزاعم وظن العدو الظالم أن القتل إنما كان للعداوة وطلب أخذ الترة
وقد رأيت معنى ما حررته منسوبًا إلى مالك بن أنس رحمه الله تعالى ولهذا
قال عليه الصلاة والسلام لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه وقال
أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم وهذا بخلاف إجراء الأحكام
الظاهرة عليهم من حدود الزنى والقتل وشبهه لظهورها واستواء الناس
في علمها وقد قال محمد بن المواز لو أظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي

صح

صلى الله عليه وسلم وقاله القاضي أبو الحسن ابن القصار وقال قتادة في
تفسير قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون
في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ملعونين أينما ثقفوا
أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله الآية قال معناه إذا أظهروا النفاق
وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط عن زيد بن أسلم أن قوله تعالى يا أيها النبي
صح نسخت
جاهد الكفار والمنافقين نسخها ما كان قبلها وقال بعض مشايخنا
لعل القائل هذه قسمة ما أريد بها وجه الله وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى
الله عليه وسلم منه الطعن عليه والتهمة له وإنما رآها من وجه الغلط
في الرأي وأمور الدنيا والاجتهاد في مصالح أهلها فلم ير ذلك سبًّا ورأى
أنه من الأذى الذي له العفو عنه والصبر عليه فلذلك لم يعاقبه وكذلك
خ بصريح
يقال في اليهود إذ قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب ولا دعاء إلا بما
لا بد منه
لا بد منه من الموت الذي لا بد من لحاقه جميع البشر وقيل بل المراد تسأمون
دينكم والسآم والسآمة الملال وهذا دعاء على سآمة الدين ليس بصريح
سب ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب إذا عرض الذمي
أو غيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم قال بعض علمائنا وليس هذا
بتعريض بالسب وإنما هو تعريض بالأذى قال القاضي أبو الفضل
رضي الله عنه قد قدمنا أن الأذى والسب في حقه عليه الصلاة والسلام
سواء وقد قال القاضي أبو محمد ابن نصر مجيبًا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم
ثم قال ولم يذكر في الحديث هل كان هذا اليهودي من أهل العهد والذمة
أو الحرب ولا يترك موجب الأدلة للأمر المحتمل والأولى في ذلك كله
والأظهر من هذه الوجوه مقصد الاستئلاف والمداراة على الدين لعلهم

يؤمنون ولذلك ترجم البخاري على حديث القسمة والخوارج باب من ترك قتل
الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا معناه عن مالك وقررناه
قبل وقد صبر لهم عليه الصلاة والسلام على سحره وسمه وهو أعظم من سبه
إلى أن نصره الله تعالى عليهم وأذن له في قتل حينه منهم وأنزلهم من صياصيهم
وقذف في قلوبهم الرعب وكتب على من شاء منهم الجلاء وأخرجهم من
ديارهم وخرب بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين وكاشفهم بالسب فقال
يا إخوة القردة والخنازير وحكم فيهم سيوف المسلمين وأجلاهم عن جوارهم
وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة
الذين كفروا السفلى **فإن** قلت فقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة رضي
الله عنها أنه عليه الصلاة والسلام ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط إلا أن
تنتهك حرمة الله فينتقم لله **فاعلم** أن هذا لا يقتضي أنه لم ينتقم ممن سبه أو آذاه
وكذبه فإن هذه من حرمات الله تعالى التي انتقم لها وإنما يكون ما لا ينتقم له
فيما تعلق بسوء أدب أو معاملة من القول والفعل في النفس والمال مما لم يقصد
فاعله به أذاه لكن مما جبلت عليه الأعراب من الجفاء والجهل أو جبل عليه
البشر من الغفلة كجبذ الأعرابي بردائه حتى أثر في عنقه وكرفع صوت
الآخر عنده وكجحد الأعرابي شراءه منه فرسه التي شهد فيها خزيمة
وكما كان من تظاهر زوجيه عليه وأشباه هذا مما يحسن الصفح عنه **وقد**
قال بعض علمائنا إن أذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام لا يجوز بفعل مباح
ولا غيره وأما غيره من الناس فيجوز بفعل مباح ما لا يجوز للإنسان فعله وإن
تأذى به واحتج بعموم قوله تعالى إن الذين يؤذون الله ورسوله وبقوله صلى الله
عليه وسلم في حديث فاطمة رضي الله عنها إنها بضعة مني يؤذيني ما آذاها ألا

وإني

(هامش: عينهم صح / من / خيبة — إخوان — بالنفس خ — بما خ — بإزاره خ — زوجته خ — غيره صح)

وإني لا أحرم ما أحل الله ولكن لا تجتمع ابنة رسول الله وابنة عدو الله عند رجل
أبدا أو يكون هذا مما آذاه به كافر رجا بعد ذلك إسلامه كعفوه عن اليهودي
الذي سحره وعن الأعرابي الذي أراد قتله وعن اليهودية التي سمته وقد قيل قتلها
ومثل هذا مما يبلغه من أذى أهل الكتاب والمنافقين فصفح عنهم رجاء
استئلافهم واستئلاف غيرهم بهم كما قررناه قبل وبالله التوفيق **فصل**
قال القاضي رحمه الله قد تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه والإزراء
به وغمصه بأي وجه كان من ممكن أو محال فهذا وجه بين لا إشكال فيه الوجه
الثاني لاحق به في البيان والجلاء وهو أن يكون القائل لما قال في جهته عليه
الصلاة والسلام غير قاصد للسب والإزراء ولا معتقد له ولكنه تكلم في
جهته عليه الصلاة والسلام بكلمة الكفر من لعنه أو سبه أو تكذيبه أو إضافة
ما لا يجوز عليه أو نفي ما يجب له مما هو في حقه عليه الصلاة والسلام نقيصة
مثل أن ينسب إليه إتيان كبيرة أو مداهنة في تبليغ الرسالة أو في حكم بين الناس أو يغض
من مرتبته أو شرف نسبه أو وفور علمه أو زهده أو تكذيب بما اشتهر من أمور
أخبر بها عليه الصلاة والسلام وتواتر الخبر بها عنه عن قصد لرد خبره
أو يأتي بسفه من القول وقبيح من الكلام ونوع من السب في جهته وإن ظهر
بدليل حاله أنه لم يتعمد ذمه ولم يقصد سبه إما لجهالة حملته على ما قاله
أو لضجر أو سكر اضطره إليه أو قلة مراقبة وضبط للسانه وعجرفة وتهور في
كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الأول القتل دون تلعثم إذ لا
يعذر أحد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان ولا بشيء مما ذكرناه
إذا كان عقله في فطرته سليما إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان **وبهذا**
أفتى الأندلسيون على ابن حاتم في نفيه الزهد عن رسول الله صلى الله عليه

(هامش: رجاء خ — بلغه خ)

وسلم الذي قدمناه وقال محمد بن سحنون في المأسور يسب النبي صلى الله عليه
وسلم في أيدي العدو يقتل إلا أن يعلم تنصره أو إكراهه وعن أبي محمد بن أبي
زيد لا يعذر بدعوى زلل اللسان في مثل هذا وأفتى أبو الحسن القابسي
فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم في سكره يقتل لأنه يظن به أنه يعتقد هذا
ويفعله في صحوه وأيضا فإنه حد لا يسقطه السكر كالقذف والقتل وسائر
الحدود لأنه أدخله على نفسه لأن من شرب الخمر على علم من زوال عقله
بها وإتيان ما ينكر منه فهو كالعامد لما يكون بسببه وعلى هذا ألزمناه الطلاق من سببه
والعتاق والقصاص والحدود ولا يعترض على هذا بحديث حمزة وقوله
للنبي صلى الله عليه وسلم وهل أنتم إلا عبيد لأبي قال فعرف النبي صلى الله
عليه وسلم أنه ثمل فانصرف عنه لأن الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم
يكن في جناياتها إثم وكان حكم ما يحدث عنها معفوا عنه كما يحدث من النوم
وشرب الدواء المأمون **فصل** الوجه الثالث أن يقصد إلى تكذيبه فيما
قاله وأتى به أو ينفي نبوته أو رسالته أو وجوده أو يكفر به انتقل بقوله ذلك إلى
دين آخر غير ملته أم لا فهذا كافر بإجماع يجب قتله ثم ينظر فإن كان
مصرحا بذلك كان حكمه أشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته
وعلى القول الآخر لا تسقط القتل عنه توبته لحق النبي صلى الله عليه وسلم
إن كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب أو غيره وإن كان متسترا بذلك فحكمه
حكم الزنديق لا تسقط قتله التوبة عندنا كما سنبينه قال أبو حنيفة وأصحابه
من برئ من محمد صلى الله عليه وسلم أو كذب به فهو مرتد حلال الدم إلا
أن يرجع وقال ابن القاسم في المسلم إذا قال إن محمدا ليس بنبي أو لم يرسل أو لم
ينزل عليه قرآن وإنما هو شيء تقوله يقتل قال ومن كفر برسول الله صلى

الله

الله عليه وسلم وأنكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك من أعلن بتكذيبه
فهو إنه كالمرتد يستتاب وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم أنه يوحى إليه وقاله سحنون
وقال ابن القاسم دعا إلى ذلك سرا أو جهرا قال أصبغ وهو كالمرتد لأنه
قد كفر بكتاب الله مع الفرية على الله تعالى وقال أشهب في يهودي تنبأ أو زعم
أنه أرسل إلى الناس أو قال بعد نبيكم نبي أنه يستتاب إن كان معلنا بذلك فإن
تاب وإلا قتل وذلك لأنه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا نبي بعدي
مفتر على الله تعالى في دعواه عليه الرسالة والنبوة وقال محمد بن سحنون
من شك في حرف مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل فهو
كافر جاحد وقال من كذب النبي صلى الله عليه وسلم كان حكمه عند الأمة القتل
وقال أحمد بن أبي سليمان صاحب سحنون من قال إن النبي صلى الله عليه وسلم
أسود يقتل لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم بأسود وقال نحوه أبو عثمان الحداد قال
لو قال إنه مات قبل أن يلتحي أو إنه كان بتاهرت ولم يكن بتهامة قتل لأن هذا
نفي قال حبيب بن ربيع تبديل صفته صلى الله عليه وسلم ومواضعه كفر
والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون استتابة إن
شاء الله تعالى **فصل** الوجه الرابع أن يأتي من الكلام بمجمل ويلفظ من القول وبلفظ
بمشكل يمكن حمله على النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره أو يتردد في المراد به من
سلامته من المكروه أو شره فههنا متردد النظر وحيرة العبر ومظنة
اختلاف المجتهدين ووقفة استسلام المقلدين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى
من حي عن بينة فمنهم من غلب حرمة النبي صلى الله عليه وسلم وحمى حمى
عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة الدم ودرأ الحد بالشبهة
لاحتمال القول وقد اختلف أئمتنا في رجل أغضبه غريمه فقال له صل على

النبي محمد فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو كمن
شتم النبي صلى الله عليه وسلم أو شتم الملائكة الذين يصلون عليه قال لا إذا كان
على ما وصفت من الغضب لأنه لم يكن مضمرا الشتم وقال أبو إسحاق البرقي (خ للمشتم)
وأصبغ بن الفرج لا يقتل لأنه إنما شتم الناس وهذا نحو قول سحنون لأنه
لم يعذره بالغضب في شتم النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لما احتمل الكلام
عنده ولم تكن معه قرينة تدل على شتم النبي صلى الله عليه وسلم أو شتم الملائكة (خ منه)
عليهم السلام ولا مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على أن مراده الناس
غير هؤلاء لأجل قول الآخر له صل على النبي محمد فحمل قوله وسبه لمن يصلي
عليه الآن لأجل أمر الآخر له بهذا عند غضبه هذا معنى قول سحنون
وهو مطابق لعلة صاحبيه وذهب الحرث بن مسكين القاضي وغيره في مثل
هذا إلى القتل وتوقف أبو الحسن القابسي في قتل رجل قال كل صاحب
فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا فأمر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى
يستفهم البينة عن جملة ألفاظه وما يدل على مقصده هل أراد أصحاب الفنادق
الآن فمعلوم أنه ليس فيهم نبي مرسل فيكون أمره أخف قال ولكن ظاهر
لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتأخرين وقد كان فيمن تقدم (خ أمر)
من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام من اكتسب المال قال ودم المسلم
لا يقدم عليه إلا بأمر بين وما ترد إليه التأويلات لا بد من إعمال النظر فيه هذا (خ امعان)
معنى كلامه وحكي عن أبي محمد بن أبي زيد فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله
بني إسرائيل ولعن الله بني آدم وذكر أنه لم يرد الأنبياء وإنما أردت الظالمين منهم
أن عليه الأدب بقدر اجتهاد السلطان وكذلك أفتى فيمن قال لعن الله من
حرم المسكر وقال لم أعلم من حرمه وفيمن لعن حديث لا يبع حاضر لباد ولعن

من

من جاء به أنه إن كان يعذر بالجهل وعدم معرفة السنن فعليه الأدب الوجيع
وذلك أن هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله سبحانه ولا سب رسوله عليه الصلاة
والسلام وإنما لعن من حرمه من الناس على نحو فتوى سحنون وأصحابه في المسألة
المتقدمة ومثل هذا ما يجري في كلام سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض
يا ابن ألف خنزير ويا ابن مائة كلب وشبهه من هجر القول ولا شك أنه يدخل في (خ هذا العدد)
مثل هذا العدد من آبائه وأجداده جماعة من الأنبياء ولعل بعض هذا (خ ينقطع)
العدد ينقطع إلى آدم عليه السلام فينبغي الزجر عنه وتبيين ما جهله قائله منه
وشدة الأدب ولو علم أنه قصد سب من في آبائه من الأنبياء على علم لقتل وقد (خ مثل)
يضيق القول في نحو هذا لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم وقال أردت
الظالمين منهم أو قال لرجل من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم قولا قبيحا في آبائه (خ أنسله)
أو من نسله أو ولده على علم منه أنه من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن (خ المسألة)
قرينة في المسألتين تقتضي تخصيص بعض آبائه وإخراج النبي صلى الله عليه وسلم
ممن سبه منهم وقد رأيت لأبي موسى بن مناس فيمن قال لرجل لعنك الله إلى آدم
أنه إن ثبت عليه ذلك قتل قال القاضي رضي الله عنه وقد كان
اختلف شيوخنا رحمهم الله تعالى فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء ثم قال
له تتهمني فقال له الآخر الأنبياء يتهمون فكيف أنت فكان شيخنا أبو إسحاق
إبراهيم بن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ وكان القاضي أبو محمد
ابن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده أن يكون خبرا عمن اتهمهم من
الكفار وأفتى فيها قاضي قرطبة أبو عبد الله بن الحاج بنحو هذا وشدد القاضي (خ بنحو ذلك)
أبو محمد تصفيده وأطال سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهد به عليه إذ
دخل في شهادة بعض من شهد عليه وهن ثم أطلقه وشاهدت شيخنا القاضي

أبا عبد الله محمد بن عيسى أيام قضائه أتي برجل هاتر رجلاً اسمه محمد ثم قصد إلى كلب
فضربه برجله وقال له قم يا محمد فأنكر الرجل أن يكون قال ذلك وشهد عليه لفيف
من الناس فأمر به إلى السجن وتقصّى عن حاله وهل يصحب من يستراب بدينه فلما
لم يجد عليه ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط وأطلقه **فصل** الوجه
الخامس أن لا يقصد نقصاً ولا يذكر عيباً ولا سباً لكنه ينزع بذكر بعض أوصافه
أو يستشهد ببعض أحواله عليه الصلاة والسلام الجائزة عليه في الدنيا على
طريق ضرب المثل والحجة لنفسه أو لغيره أو على التشبه به أو عند هضيمة
نالته أو غضاضة لحقته ليس على طريق التأسي وطريق التحقيق بل على مقصد
الترفيع لنفسه أو لغيره أو سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه صلى الله عليه
وسلم أو قصد الهزل والتندير بقوله كقول القائل إن قيل في السوء فقد
قيل في النبي أو إن كذبت فقد كذب الأنبياء أو إن أذنبت فقد أذنبوا أو أنا
أسلم من ألسنة الناس ولم يسلم منهم أنبياء الله تعالى ورسله أو قد صبرت كما
صبر أولو العزم من الرسل أو كصبر أيوب أو قد صبر نبي الله عن عداه وحلم
على أكثر مما صبرت **وكقول المتنبي** أنا في أمة تداركها الله غريب كصالح في
ثمود ٥ ونحوه من أشعار المتعجرفين في القول المتساهلين في الكلام كقول
المعري « كنت موسى وافته بنت شعيب غير أن ليس فيكما من فقير » على أن آخر
البيت شديد عند تدبره وداخل في باب الإزراء والتحقير بالنبي عليه
السلام وتفضيل حال غيره عليه وكذلك قوله « لولا انقطاع الوحي بعد محمد
قلنا محمد من أبيه بديل « هو مثله في الفضل إلا أنه لم يأته برسالة جبريل »
فصدر البيت الثاني من هذا الفصل شديد لتشبيهه غير النبي صلى الله عليه وسلم في
فضله بالنبي صلى الله عليه وسلم والعجز محتمل لوجهين أحدهما أن هذه الفضيلة
نقصت

محمد الوحيش

قوم صح
خ بالسياط
خ عظيمة
خ على
شديد صح

نقصت الممدوح والآخر استغنى عنها وهذا أشد **وقول الآخر**
وإذا ما رفعت رايته خفقت بين جناحي جبريل **وقول الآخر** من أهل العصر
فرّ من الخلد واستجار بنا فصبّر الله قلب رضوان **وكقول حسان المصيصي**
من شعراء الأندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد ووزيره أبي بكر بن زيدون
كأن أبا بكر أبو بكر الرضى وحسان حسان وأنت محمد إلى أمثال
هذا وإنما أكثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف أمثلتها ولتساهل
كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح هذا العبء
وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم فيه بما ليس لهم به علم وتحسبونه
هيناً وهو عند الله عظيم لا سيما الشعراء وأشدهم فيه تصريحاً وللسانه
تسريحاً ابن هانئ الأندلسي وابن سليمان المعري بل قد خرج كثير من كلامهما إلى
حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد أجبنا عنه وغرضنا الآن الكلام
في هذا الفصل الذي سقنا أمثلته فإن هذه كلها وإن لم تتضمن سباً ولا أضافت
إلى الملائكة والأنبياء عليهم السلام نقصاً ولست أعني عجزي بيتي المعري
ولا قصد قائلها إزراء وغضاً فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمة
الاصطفاء ولا عزز حظوة الكرامة حتى شبه من شبه في كرامة نالها أو معرة قصد
الانتفاء منها أو ضرب مثل لتطييب مجلسه أو إغلاء في وصف لتحسين كلامه بمن عظم
الله تعالى خطره وشرف قدره وألزم توقيره وبره ونهى عن جهر القول له ورفع
الصوت عنده فحق هذا إن درئ عنه القتل الأدب والسجن وقوة تعزيره بحسب
شنعة مقاله ومقتضى قبح ما نطق به ومألوف عادته لمثله أو ندوره وقرينة
كلامه أو ندمه على ما سبق منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به
وقد أنكر الرشيد على أبي نواس قوله فإن يك باقي سحر فرعون فيكم فإن عصا

خ صفقت
خ مثل
خ لتعرف
خ العيب ٢ منه
خ عزرها
المصطفى
خ مقالته

موسى بكف خصيب. وقال له يا ابن اللخناء أنت المستهزئ بعصا موسى
وأمر بإخراجه عن عسكره من ليلته وذكر القتبي أن مما أخذ عليه أيضا
وكفر فيه أو قارب قوله في محمد الأمين وتشبيهه إياه بالنبي صلى الله عليه وسلم
تنازع الأحمدان الشبه فاشتبها خلقا وخلقا كما قد الشراكان وقد أنكروا أيضا
عليه قوله كيف لا يدنيك من أمل من رسول الله من نفره لأن حق الرسول
صلى الله عليه وسلم وموجب تعظيمه وإنافة منزلته أن يضاف إليه ولا
يضاف هو فالحكم في أمثال هذا ما بسطناه في طريق الفتيا وعلى هذا
المنهج جاءت فتيا إمام مذهبنا مالك بن أنس رضي الله عنه وأصحابه ففي النوادر
من رواية ابن أبي مريم عنه في رجل عير رجلا بالفقر فقال تعيرني
بالفقر وقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم الغنم فقال مالك قد عرض بذكر
النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه أرى أن يؤدب قال ولا ينبغي لأهل
الذنوب إذا عوتبوا أن يقولوا قد أخطأت الأنبياء قبلنا وقال عمر بن
عبد العزيز لرجل انظر لنا كاتبا يكون أبوه عربيا فقال كاتب له قد كان
أبو النبي صلى الله عليه وسلم كافرا فقال جعلت هذا مثلا فعزله وقال لا
تكتب لي أبدا وقد كره سحنون أن يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عند
التعجب إلا على طريق الثواب والاحتساب توقيرا له وتعظيما كما أمرنا الله تعالى
وسئل القابسي عن رجل قال لرجل قبيح الوجه كأنه وجه نكير ولرجل
عبوس كأنه وجه مالك الغضبان فقال أي شيء أراد بهذا ونكير أحد فتاني
القبر وهما ملكان فما الذي أراد أروع دخل عليه حين رآه من وجهه أم
عاف النظر إليه لدمامة خلقه فإن كان هذا فهو شديد لأنه جرى مجرى
التحقير والتهوين فهو أشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب للملك وإنما

السب

السب واقع على المخاطب وفي الأدب بالسوط والسجن نكال للسفهاء قال وأما
ذاكر مالك خازن النار فقد جفا الذي ذكره عندما أنكر من عبوس الآخر
إلا أن يكون المعبس له يد فيرهب بعبسته فيشبهه القائل على طريق الذم
لهذا في فعله ولزومه في ظلمه صفة مالك الملك المطيع لربه في فعله فيقول
كأنه لله يغضب غضب مالك فيكون أخف وما كان ينبغي له التعريض بمثل
هذا ولو كان أثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك كان أشد ويعاقب
المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم للملك ولو قصد ذمه لقتل وقال
أبو الحسن أيضا في شاب معروف بالخير قال لرجل شيئا فقال له الرجل
اسكت فإنك أمي فقال الشاب أليس كان النبي أميا فشنع عليه مقاله وكفره الناس وأشفق
الشاب مما قال وأظهر الندم عليه فقال أبو الحسن القابسي أما إطلاق الكفر
عليه فخطأ لكنه مخطئ في استشهاده بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وكون
النبي صلى الله عليه وسلم أميا آية له وكون هذا أميا نقيصة فيه وجهالة
ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم لكنه إذا استغفر وتاب
واعترف ولجأ إلى الله تعالى فيترك لأن قوله لا ينتهي إلى حد القتل وما
طريقه الأدب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه ونزلت أيضا
مسألة استفتى فيها بعض قضاة الأندلس شيخنا القاضي أبا محمد بن منصور رحمه
الله تعالى في رجل تنقصه آخر بشيء فقال له إنما تريد نقصي بقولك وأنا
بشر وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله عليه وسلم فأفتاه بإطالة
سجنه وإيجاع أدبه إذ لم يقصد السب وكان بعض فقهاء الأندلس أفتى بقتله
فصل الوجه السادس أن يقول القائل ذلك حاكيا عن غيره وآثرا له عن
سواه فهذا ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف

ذلك على أربعة وجوه الوجوب والندب والكراهة والتحريم فإن
كان أخبر به على وجه الشهادة والتعريف بقائله والإنكار والإعلام بقوله
والتنفير منه والتجريح له فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد فاعله وكذلك إن
حكاه في كتاب أو مجلس على جهة الرد له والنقض على قائله والفتيا بما يلزمه
وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكي لذلك والمحكي
عنه فإن كان القائل لذلك ممن تصدى لأن يؤخذ عنه العلم أو رواية الحديث
أو يقطع بحكمه أو شهادته أو فتياه في الحقوق وجب على سامعه الإشادة عليه
بما قاله ووجب على من بلغه ذلك من أئمة المسلمين إنكاره وبيان كفره وفساد قوله
لقطع ضرره عن المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين وكذلك إن كان ممن يعظ
العامة أو يؤدب الصبيان فإن من هذه سريرته لا يؤمن على إلقاء ذلك في
قلوبهم فيتأكد في هؤلاء الإيجاب لحق النبي صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته
وإن لم يكن القائل بهذه السبيل فالقيام بحق النبي صلى الله عليه وسلم واجب
وحماية عرضه متعين ونصرته عن الأذى حيا وميتا مستحق على كل مؤمن
لكن إذا قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت به القضية وبان به الأمر سقط عن
الباقي الفرض وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة عليه وعضد التحذير منه
وقد أجمع السلف على بيان حال المتهم في الحديث فكيف بمثل هذا وقد سئل
أبو محمد بن أبي زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله تعالى أيسعه ألا
يؤدي شهادته قال إن رجا نفاذ الحكم بشهادته فليشهد وكذلك إن علم أن
الحاكم لا يرى القتل بما شهد به ويرى الاستتابة والأدب فليشهد
ويلزمه ذلك وأما الإباحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين فلا أرى
لها مدخلا في الباب فليس التفكه بعرض النبي صلى الله عليه وسلم والتمضمض
بسو

خ علمه
خ طرق
بما سمع منه والتنفير للناس عنه والشهادة عليه
خ القايه
خ على ... الله

بسوء ذكره لأحد لا ذاكرا ولا آثرا لغير غرض شرعي بمباح وأما للأغراض
المتقدمة فمتردد بين الإيجاب والاستحباب وقد حكى الله تعالى مقالات المفترين
عليه وعلى رسله عليهم السلام في كتابه على وجه الإنكار لقولهم والتحذير
من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه سبحانه علينا في محكم كتابه
وكذلك وقع من أمثاله في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة على الوجوه
المتقدمة وأجمع السلف والخلف من أئمة الهدى على حكايات مقالات الكفرة
والملحدين في كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس وينقضوا شبهها عليهم وإن كان
ورد لأحمد بن حنبل رحمه الله تعالى إنكار لبعض هذا على الحارث بن أسد فقد
صنع أحمد مثله في رده على الجهمية والقائلين بالمخلوق وهذه الوجوه السائغة
الحكاية عنها فأما ذكرها على غير هذا من حكاية سبه أو الإزراء بمنصبه العلي
على وجه الحكايات والأسمار والطرف وأحاديث الناس ومقالاتهم في الغث
والسمين ومضاحك المجان ونوادر السخفاء والخوض في قيل وقال وما لا
يعني فكل هذا ممنوع وبعضه أشد في المنع والعقوبة من بعض فما كان من
قائله الحاكي له على غير قصد أو معرفة بمقدار ما حكاه أو لم تكن عادته
أو لم يكن الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه استحسانه واستصوابه
زجر عن ذلك ونهي عن العودة إليه وإن قوم ببعض الأدب فهو مستوجب
له وإن كان لفظه من البشاعة حيث هو كان الأدب أشد وقد حكي أن
رجلا سأل مالكا عمن يقول القرآن مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقال
إنما حكيته عن غيري فقال مالك إنما سمعناه منك وهذا من مالك رحمه الله
تعالى على طريق الزجر والتغليظ بدليل أنه لم ينفذ قتله وإن اتهم هذا
الحاكي فيما حكاه أنه اختلقه ونسبه إلى غيره أو كانت تلك عادة له أو ظهر استحسا

في
خ من المسلمين
خ والازراء
خ قبيح

لذلك أو كان مولعا بمثله والاستخفاف له أو التحفظ لمثله وطلبه وروايته أشعار
هجوه عليه الصلاة والسلام وسبه فحكم هذا الساب نفسه يؤاخذ بقوله حكم
ولا تنفعه نسبته إلى غيره فيبادر بقتله ويعجل إلى الهاوية أمه وقد قال
أبو عبيد القسم بن سلام فيمن حفظ شطر بيت مما هجي به النبي صلى الله
عليه وسلم فهو كفر وقد ذكر بعض من ألف في الإجماع إجماع المسلمين
على تحريم رواية ما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم وكتابه وقراءته وتركه وكتابته
متى وجد دون محو ورحم الله أسلافنا المتقين المتحرزين لدينهم فقد
أسقطوا من أحاديث المغازي والسير ما كان هذا سبيله وتركوا روايته
إلا أشياء ذكروها يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه الأول ليروا
نقمة الله تعالى من قائلها وأخذه المفتري عليه بذنبه وهذا أبو عبيد
القسم بن سلام رحمه الله تعالى قد تحرى فيما اضطر إلى الاستشهاد به من أهاجي
أشعار العرب في كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه استبراء لدينه وتحفظا
من المشاركة في ذم أحد بروايته أو نشره فكيف بما يتطرق إلى عرض سيد
البشر صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم **فصل** الوجه السابع
أن يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم أو يختلف في جوازه عليه وما
يطرأ من الأمور البشرية به ويمكن إضافتها إليه أو يذكر ما امتحن به وصبر به
في ذات الله تعالى على شدته من مقاساة أعدائه وأذاهم له ومعرفة
ابتداء حاله وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه ومر عليه من معاناة عيشته كل لقيه
ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت منه العصمة
للأنبياء عليهم السلام وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون
الستة إذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا إزراء ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ

ولا في مقصد اللافظ لكن يجب أن يكون الكلام فيه مع أهل العلم وفهماء طلبة
الدين ممن يفهم مقاصده ويحقق فوائده ويجنب ذلك من عساه لا يفقهه أو يخشى ويحققون / من عساه لا يفقهه
به فتنته فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت عليه
من تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وإدراكهن فقد قال
صلى الله عليه وسلم مخبرا عن نفسه باستئجاره لرعاية الغنم في ابتداء حاله
وقال ما من نبي إلا وقد رعى الغنم وأخبرنا الله تعالى بذلك عن موسى عليه
السلام وهذا لا غضاضة فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من عادة جميع
قصد به الغضاضة والتحقير بل كانت عادة جميع العرب نعم في ذلك
للأنبياء عليهم السلام حكمة بالغة وتدريج الله تعالى لهم إلى كرامته وتدريبهم
برعايتها لسياسة أممهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الأزل ومتقدم
العلم وكذلك قد ذكر الله تعالى يتمه وعيلته على طريق المنة عليه
والتعريف بكرامته له فذكر الذاكر لها على وجه تعريف حاله والخبر
عن مبتدئه والتعجب من منح الله تعالى قبله وعظيم منته عنده ليس فيه
غضاضة بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته إذ أظهره الله تعالى بعد
هذا على صناديد العرب ومن ناوأه من أشرافهم شيئا فشيئا ونمى أمره
حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة ممالك كثير من الأمم
غيرهم بإظهار الله تعالى له وتأييده إياه بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم
وإمداده بالملائكة المسومين ولو كان ابن ملك أو ذا أشياع متقدمين لحسب
كثير من الجهال أن ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل
حين سأل أبا سفيان عنه هل في آبائه ملك لقلنا رجل يطلب ملك أبيه
وإذ اليتم من صفته صلى الله عليه وسلم وأحد علاماته في الكتب المتقدمة

ثم قال ولو كان في آبائه ملك

وأخبار

وأخبار الأمم السالفة وكذا وقع ذكره في كتاب أرميا وبهذا وصفه ابن ذي
يزن لعبد المطلب وبحيرا لأبي طالب **وكذلك** إذا وصف بأنه أمي كما وصفه
الله تعالى به فهي مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزته إذ معجزته
العظمى من القرآن العظيم إنما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم
مع ما منح صلى الله عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمناه في القسم الأول
ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس ولا لُقّن مقتضى
العجب ومنتهى العبر ومعجزة البشر وليس في ذلك نقيصة إذ المطلوب
من الكتابة والقراءة المعرفة وإنما هي آلة لها وواسطة موصلة إليها غير مرادة
في نفسها فإذا حصلت الثمرة والمطلوب استغني عن الواسطة والسبب والأمية
في غيره نقيصة لأنها سبب الجهالة وعنوان الغباوة **فسبحان** من باين
أمره من أمر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته فيما فيه هلاك
من عداه هذا شق قلبه وإخراج حشوته كان تمام حياته وغاية قوة نفسه
وثبات روعه وهو فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم موته وفنائه وهلم جرا
إلى سائر ما روي من أخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم والمركب
وتواضعه ومهنته نفسه في أموره وخدمته بيته زهدا ورغبة عن الدنيا
وتسوية بين حقيرها وخطيرها لسرعة فناء أمورها وتقلب أحوالها **كل**
هذا من فضائله ومآثره وشرفه كما ذكرناه **فمن** أورد شيئا منها مورده
وقصد بها مقصده كان حسنا ومن أورد ذلك على غير وجهه وعلم منه بذلك
سوء قصد لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك ما ورد من أخباره وأخبار
سائر الأنبياء عليهم السلام في الأحاديث مما في ظاهره إشكال يقتضي أمورا
لا تليق بهم بحال وتحتاج إلى تأويل وتردد احتمال فلا يجب أن يتحدث
منها

خ ولبس في ذاك
إليه خ

منها إلا بالصحيح ولا يروى منها إلا المعلوم الثابت **ورحم** الله تعالى
مالكا فلقد كره التحدث بمثل ذلك من الأحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة
المعنى وقال ما يدعو الناس إلى التحدث بمثل هذا فقيل له إن ابن عجلان
يحدث بها فقال لم يكن من الفقهاء وليت الناس وافقوه على ترك الحديث بها وساعدوه
على طيها فأكثرها ليس تحته عمل **وقد** حكي عن جماعة من السلف بل عنهم على
الجملة رحمهم الله تعالى أنهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي
صلى الله عليه وسلم أوردها على قوم عرب يفهمون كلام العرب على وجهه
وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه وإيجازه فلم تكن في
حقهم مشكلة ثم جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته الأمية فلا يكاد
يفهم من مقاصد العرب إلا نصها وصريحها ولا يتحقق إشاراتها إلى غرض الإيجاز
ووحيها وتبليغها وتلويحها فتفرقوا في تأويلها أو حملها على ظاهرها شذر مذر
فمنهم من آمن به ومنهم من كفر فأما ما لا يصح من هذه الأحاديث فواجب
ألا يذكر منها شيء في حق الله تعالى ولا في حق أنبيائه عليهم السلام ولا يتحدث بها
ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها وترك الشغل بها إلا أن
تذكر على وجه التعريف بأنها ضعيفة المقاد واهية الإسناد **وقد** أنكر
الأشياخ على أبي بكر بن فورك تكلفه في مشكله الكلام على أحاديث ضعيفة
موضوعة لا أصل لها أو منقولة عن أهل الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل
كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها إذ المقصود
بالكلام على مشكل ما فيها إزالة اللبس بها واجتثاثها من أصلها وطرحها أكشف
للبس وأشفى للنفس **فصل** ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله عليه
وسلم وما لا يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل قبل هذا على طريق

تحدث
خ وبليغه
خ الاشتغال

المذاكرة والتعليم أن يلتزم في كلامه عند ذكره عليه الصلاة والسلام
وذكر تلك الأحوال الواجب من توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه
ولا يهمله وتظهر عليه علامات الأدب عند ذكره فإذا ذكر ما قاساه من
الشدائد ظهر عليه الإشفاق والارتماض والغيظ على عدوه ومودة الفداء
للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه والنصرة له لو أمكنته وإذا أخذ في
أبواب العصمة وتكلم على مجاري أعماله وأقواله عليه الصلاة والسلام تحرى
أحسن اللفظ وأدب العبارة ما أمكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر من
العبارة ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية فإذا تكلم في الأقوال
قال هل يجوز عليه الخلف في القول والإخبار بخلاف ما وقع سهوا أو غلطا (الأقوال)
ونحوه من العبارة ويتجنب لفظة الكذب جملة واحدة وإذا تكلم على العلم
قال هل يجوز أن لا يعلم إلا ما علم وهل يمكن أن لا يكون عنده علم من بعض
الأشياء حتى يوحى إليه ولا يقول يجهل لقبح اللفظ وبشاعته وإذا تكلم في
الأفعال قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الأوامر والنواهي ومواقعة
الصغائر فهو أولى وآدب من قوله هل يجوز أن يعصي أو يذنب أو يفعل
كذا وكذا من أنواع المعاصي فهذا من حق توقيره عليه الصلاة والسلام وما (خ)
يجب له من تعزير وإعظام وقد رأيت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا فقبح
منه ولم أستصوب عبارته فيه ووجدت بعض الجائرين قوله لأجل ترك (خ ورأيت)
تحفظه في العبارة ما لم يقله وشنع عليه بما يأباه ويكفر قائله وإذا كان مثل
هذا بين الناس مستعملا في آدابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم فاستعماله في
حقه عليه الصلاة والسلام أوجب والتزامه آكد فجودة العبارة تقبح الشيء
أو تحسنه وتحريرها وتهذيبها يعظم الأمر أو يهونه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
إن

ويوهنه

إن من البيان لسحرا فأما ما أورده على جهة النفي عنه صلى الله عليه وسلم والتنزيه
له فلا حرج في تسريح العبارة وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة
ولا إتيان الكبائر بوجه ولا الجور في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب ظهور
توقيره وتعظيمه وتعزيره عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا وقد كان
السلف تظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره كما قدمناه في القسم
الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة آي من القرآن حكى الله تعالى
فيها مقال عداه ومن كفر بآياته وافترى عليه الكذب فكان يخفض بها صوته
إعظاما لربه وإجلالا له وإشفاقا من التشبه بمن كفر به سبحانه لا إله إلا هو
العلي العظيم

الباب الثاني

في حكم سابه صلى الله عليه وسلم وشانئه ومتنقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر (بلغ مقابلة والحمد لله)
استتابته ووراثته قد قدمنا ما هو سب وأذى في حقه عليه الصلاة
والسلام وذكرنا إجماع العلماء على قتل فاعل ذلك وقائله وتخيير الإمام
في قتله أو صلبه على ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه وبعد فاعلم أن مشهور
مذهب مالك وأصحابه وقول السلف وجمهور العلماء قتله حدا لا كفرا
إن أظهر التوبة منه ولهذا لا تقبل عندهم توبته ولا تنفعه استقالته
ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق ومسر الكفر في هذا القول
وسواء كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه والشهادة على قوله أو جاء تائبا
من قبل نفسه لأنه حد وجب لا تسقطه التوبة كسائر الحدود قال الشيخ
أبو الحسن القابسي رحمه الله تعالى إذا أقر بالسب وتاب منه وأظهر التوبة قتل
بالسب إذ هو حده وقال أبو محمد بن أبي زيد مثله وأما ما بينه وبين الله تعالى (خ لأنه موجبه)
فتوبته تنفعه وقال ابن سحنون من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من الموحدين

ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته عنه القتل وكذلك قد اختلف في الزنديق
إذا جاء تائبا فحكى القاضي أبو الحسن بن القصار في ذلك قولين قال من شيوخنا
من قال أقتله بإقراره لأنه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف خفنا أنه
خشي الظهور عليه فبادر لذلك ومنهم من قال أقبل توبته لأني أستدل
على صحتها بمجيئه فكأننا وقفنا على باطنه بخلاف من أسرته البينة قال
القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى وهذا قول أصبغ ومسألة ساب النبي صلى
الله عليه وسلم أقوى لا يتصور فيها الخلاف على الأصل المتقدم لأنه حق
متعلق للنبي صلى الله عليه وسلم ولأمته بسببه لا تسقطه التوبة كسائر حقوق
الآدميين والزنديق إذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك والليث وإسحق
وأحمد لا تقبل توبته وعند الشافعي تقبل واختلف فيه عن أبي حنيفة وأبي
يوسف وحكى ابن المنذر عن علي بن أبي طالب يستتاب قال محمد بن
سحنون ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة من سبه عليه الصلوة والسلام
لأنه لم ينتقل من دين إلى غيره وإنما فعل شيئا حده عندنا القتل لا عفو فيه
لأحد كالزنديق لأنه لم ينتقل من ظاهر إلى ظاهر وقال القاضي
أبو محمد بن نصر محتجا لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه وبين من سب الله
تعالى على مشهور القول باستتابته أن النبي صلى الله عليه وسلم بشر والبشر
جنس تلحقهم المعرة إلا من أكرمه الله تعالى بنبوته والباري تعالى وتقدس
منزه عن جميع المعايب قطعا وليس بجنس فتلحق المعرة بجنسه وليس سبه
عليه الصلوة والسلام كالارتداد المقبول فيه التوبة لأن الارتداد معنى
ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره من الآدميين فقبلت توبته ومن سب النبي
صلى الله عليه وسلم تعلق فيه حق لآدمي فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده

خـ من جنس تلحق

او يقذف

أو يقذف فإن توبته لا تسقط عنه حد القتل والقذف وأيضا فإن توبة المرتد
إذا قبلت لا تسقط ذنوبه من زنى وسرقة وغيرها ولم يقتل ساب النبي صلى الله
عليه وسلم لكفره لكن لمعنى يرجع إلى تعظيم حرمته وزوال المعرة به وذلك
لا تسقطه التوبة قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه يريد والله أعلم
لأن سبه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر ولكن بمعنى الإزراء والاستخفاف أو لأن
بتوبته وإظهار إنابته ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله تعالى أعلم بسريرته وبقي
حكم السب عليه وقال أبو عمران القابسي من سب النبي صلى الله عليه وسلم
ثم ارتد عن الإسلام قتل ولم يستتب لأن السب من حقوق الآدميين التي لا تسقط
عن المرتد وكلام شيوخنا هؤلاء مبني على القول بقتله حدا لا كفرا وهو
يحتاج إلى تفصيل وأما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على
ذلك ممن ذكرناه وقال به من أهل العلم وقد صرحوا أنه ردة قالوا ويستتاب
منها فإن تاب نكل وإن أبى قتل فحكم له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه والوجه
الأول أشهر وأظهر لما قدمناه ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من لم
يره ردة فهو يوجب القتل فيه حدا وإنما نقول ذلك مع فصلين إما مع إنكاره ما
شهد عليه به وإظهاره الإقلاع والتوبة عنه فنقتله حدا لثبات كلمة الكفر
عليه في حق النبي صلى الله عليه وسلم وتحقيره ما عظم الله تعالى من حقه صلى الله
عليه وسلم وأجرينا حكمه في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق إذا ظهر عليه
وأنكر أو تاب فإن قيل فكيف تثبتون عليه الكفر وتشهدون عليه بكلمة الكفر
ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها قلنا نحن وإن أثبتنا له حكم الكافر
في القتل فلا نقطع عليه بذلك لإقراره بالتوحيد والنبوة وإنكاره ما شهد
به عليه أو زعمه أن ذلك كان منه وهلا ومعصية وأنه مقلع عن ذلك نادم

خـ وغيرهما
خـ عنه
خـ لمعنى
خـ فقد صرحوا بأنه
خـ ولشهد

عليه ولا يمتنع اثبات بعض احكام الكفر على بعض الاشخاص وان لم يثبت له خصاله
كقتل تارك الصلوة واما من علم انه سبه معتقدا لاستحلاله فلا شك في كفره
بذلك وكذلك ان كان سبه في نفسه كفرا كتكذيبه او تكفيره ونحوه فهذا
ما لا اشكال فيه ويقتل وان تاب منه لانا لا نقبل توبته ونقتله بعد التوبة
حدا لقوله ومتقدم كفره وامره بعد الى الله تعالى المطلع على صحة اقلاعه
العالم بسره وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد عليه وصمم
عليه فهذا كافر بقوله وباستحلاله هتك حرمة الله تعالى وحرمة نبيه
عليه الصلوة والسلام يقتل كافرا بلا اختلاف فعلى هذه التفصيلات كفرا
خذ كلام العلماء ونزل مختلف عباراتهم في الاحتجاج عليها واجر اختلافهم
في الوراثة وغيرها على ترتيبها تتضح لك مقاصدهم ان شاء الله تعالى فصل
اذا قلنا بالاستتابة حيث تصح فالاختلاف فيها على الاختلاف في توبة المرتد اذ لا
فرق بينهما وقد اختلف السلف في وجوبها وصورتها ومدتها فذهب جمهور
أهل العلم الى ان المرتد يستتاب وحكى ابن القصار انه اجماع من الصحابة
رضي الله عنهم على تصويب قول عمر في الاستتابة ولم ينكره واحد منهم وهو
قول عثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم اجمعين وبه قال عطاء بن ابي رباح
والنخعي والثوري ومالك واصحابه والاوزاعي والشافعي واحمد بن حنبل
واسحق واصحاب الرأي وذهب طاوس ومحمد بن حسن وعبيد بن عمير صوابه
والحسن في احدى الروايتين عنه انه لا يستتاب وقاله عبد العزيز بن ابي سلمة الى انه
وذكره عن معاذ وانكره سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي عن ابي يوسف وهو
قول اهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند الله تعالى ولكن لا ندرأ القتل عنه
لقوله صلى الله عليه وسلم فاقتلوه وحكي ايضا عن عطاء ان كان ممن ولد في

الاسلام

الاسلام لم يستتب ويستتاب الاسلامي وجمهور العلماء على ان المرتد والمرتدة في
ذلك سواء وروي عن علي رضي الله عنه لا تقتل المرتدة وتسترق وقاله عطاء
وقتادة وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما لا تقتل النساء في الردة وبه قال
ابو حنيفة قال مالك والحر والعبد والذكر والانثى في ذلك سواء واما
مدتها فمذهب الجمهور وروي عن عمر رضي الله عنه انه يستتاب ثلاثة ايام يحبس
فيها وقد اختلف فيه عن عمر وهو احد قولي الشافعي وقول احمد واسحق واستحسنه فيها
مالك وقال لا يأتي الاستظهار الا بخير وليس عليه جماعة الناس قال الشيخ ابو
محمد بن ابي زيد يريد في الاستيناء ثلاثا وقال مالك ايضا الذي آخذ به في المرتد
قول عمر رضي الله عنه يحبس ثلاثة ايام ويعرض عليه كل يوم فان تاب والا
قتل وقال ابو الحسن بن القصار في تأخيره ثلاثا روايتان عن مالك هل ذلك
واجب او مستحب واستحسن الاستتابة والاستيناء ثلاثا اصحاب الرأي وروي
عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه استتاب امرأة فلم تتب فقتلها وقاله
الشافعي مرة فقال ان لم يتب مكانه قتل واستحسنه المزني وقال الزهري
يدعى الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى قتل وروي عن علي رضي الله عنه يستتاب
شهرين وقال النخعي يستتاب ابدا وبه اخذ الثوري ما رجيت توبته وحكى
ابن القصار عن ابي حنيفة انه يستتاب ثلاث مرات في ثلاثة ايام او ثلاث جمع
في كل يوم او جمعة مرة وفي كتاب محمد عن ابن القسم يدعى المرتد الى الاسلام ثلاث
مرات فان ابى ضربت عنقه واختلف على هذا هل يشدد عليه او لا يشدد عليه ايام
الاستتابة ليجوع ولا يعطش ويؤتى من الطعام بما لا يضره وقال اصبغ يخوف
ايام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه الاسلام وفي كتاب ابي الحسن الطابثي
يوعظ في تلك الايام ويذكر بالجنة ويخوف بالنار قال اصبغ واي المواضع

إذ أخيف — مع ذلك

حُبس فيها من التحرّز مع الناس أو وحده إذا استوفي منه سوا أو توقف ماله خيفة
أن يتلفه على المسلمين ويطعم منه ويسقي وكذلك يستتاب أبدًا كلما رجع وارتد
وقد استتاب النبي صلى الله عليه وسلم نبهان الذي ارتد أربع مرات أو خمسًا
قال ابن وهب عن مالك يستتاب أبدًا كلما رجع وهو قول الشافعي وأحمد
وقاله ابن القاسم وقال إسحاق يقتل في الرابعة وقال أصحاب الرأي إن لم يتب في
الرابعة قتل دون استتابة وإن تاب ضرب ضربًا وجيعًا ولم يخرج من
السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة قال ابن المنذر ولا نعلم أحدًا
أوجب على المرتد في المرة الأولى أدبًا إذا رجع وهو على مذهب مالك
والشافعي والكوفي فصل قال القاضي رحمه الله تعالى هذا حكم من
ثبت عليه ذلك بما يجب ثبوته من إقرار أو عدول لم يدفع فيهم فأما من
لم تتم الشهادة عليه إنما شهد عليه الواحد أو اللفيف من الناس أو ثبت قوله
لكن احتمل ولم يكن صريحًا وكذلك إن تاب على القول بقبول توبته فهذا يدرأ
عنه القتل ويتسلط عليه اجتهاد الإمام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة عليه
وضعفها وكثرة السماع عنه وصورة حاله من التهمة في الدين والنبز بالسفه
والمجون فمن قوي أمره أذاقه من شديد النكال من التضييق في السجن والشد
في القيود إلى الغاية التي هي منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام لضرورته ولا
يقعده عن صلاته وهو حكم كل من وجب عليه القتل لكن وقف عن قتله
لمعنى أوجبه وتربص به لإشكال وعائق اقتضاه أمره وحالات الشدة في نكاله
تختلف بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد عن مالك والأوزاعي أنها ردة
فإذا تاب نكل ولمالك في العتبية وكتاب محمد من رواية أشهب إذا تاب المرتد
فلا عقوبة عليه وقاله سحنون وأفتى أبو عبد الله بن عتاب فيمن سب النبي صلى الله

عليه

(هامش: بما — خ ويتسلط — خ شك — القيود — خ عليه)

عليه وسلم فشهد عليه شاهدان عدل أحدهما بالأدب الموجع والتنكيل والسجن
الطويل حتى تظهر توبته وقال القابسي في مثل هذا ومن كان أقصى أمره القتل
فعاق عائق أشكل في القتل لم ينبغ أن يطلق من السجن ويستطال سجنه ولو
كان فيه من المدة ما عسى أن يقيم ويحمل عليه من القيد ما يطيق وقال
في مثله ممن أشكل أمره يشد في القيود شدًا ويضيق عليه في السجن حتى ينظر فيما
يجب عليه وقال في مسألة أخرى مثلها ولا تهراق الدماء إلا بالأمر
الواضح وفي الأدب بالسوط والسجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة فأما
إن لم يشهد عليه سوى شاهدين فأثبت من عداوتهما أو جرحهما ما أسقطهما عنه
ولم يسمع ذلك من غيرهما فأمره أخف لسقوط الحكم عنه وكأنه لم يشهد عليه
إلا أن يكون ممن يليق به ذلك ويكون الشاهدان من أهل التبريز فأسقطهما
بعداوة فهو وإن لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما
وللحاكم في تنكيله موضع اجتهاد والله ولي الإرشاد فصل قال
القاضي رحمه الله تعالى هذا حكم المسلم فأما الذمي إذا صرح بسبه أو عرض
أو استخف بقدره أو وصفه بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف عندنا
في قتله إن لم يسلم لأنا لم نعطه الذمة أو العهد على هذا وهو قول عامة
العلماء إلا أبا حنيفة والثوري وأتباعهما من أهل الكوفة فإنهم قالوا لا
يقتل لأن ما هو عليه من الشرك أعظم ولكن يؤدب ويعزر واستدل بعض
شيوخنا على قتله بقوله تعالى وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم
وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر الآية ويستدل أيضًا عليه بقتل النبي
صلى الله عليه وسلم لابن الأشرف وأشباهه ولأنا لم نعاهدهم ولم نعطهم
الذمة على هذا ولا يجوز لنا أن نفعل ذلك معهم فإذا أتوا ما لم يعطوا عليه

(هامش: خ ق أسقطها — يرفع — الرشاد)

العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا أهل حرب يقتلون بكفرهم
وأيضا فإن ذمتهم لا تسقط حدود الإسلام عليهم من القطع في سرقة خ عنهم
أموالهم والقتل لمن قتلوا منهم وإن كان ذلك حلالا عندهم فكذلك
سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم يقتلون به ووردت لأصحابنا ظواهر
تقتضي الخلاف إذا ذكر الذمي بالوجه الذي كفر به ستقف عليها من
كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد وحكى أبو المصعب الخلاف
فيها عن أصحابه المدنيين واختلفوا إذا سبه ثم أسلم فقيل يسقط إسلامه
قتله لأن الإسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم إذا سبه ثم تاب لأنا نعلم
باطنه الكافر في بغضه له وتنقصه بقلبه لكنا منعناه من إظهاره فلم يزدنا ما خ الكفر
أظهر إلا مخالفة للأمر ونقضا للعهد فإذا رجع عن دينه الأول إلى الإسلام
سقط ما قبله قال الله تعالى قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد
سلف والمسلم بخلافه إذ كان ظننا بباطنه حكم ظاهره وخلاف ما بدا خ
منه الآن فلم نقبل بعد رجوعه ولا استنمنا إلى باطنه إذ قد بدت سرائره استنمنا
وما ثبت عليه من الأحكام باقية عليه لم يسقطها شيء وقيل لا يسقط إسلام
الذمي الساب قتله لأنه حق للنبي صلى الله عليه وسلم وجب عليه لانتهاكه
حرمته وقصده إلحاق النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه إلى الإسلام
بالذي يسقطه كما وجب عليه من حقوق المسلمين من قبل إسلامه من قتل وقذف
وإذا كنا لا نقبل توبة المسلم فأن لا نقبل توبة الكافر أولى قال مالك في
كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم وأصبغ فيمن
شتم نبينا صلى الله عليه وسلم من أهل الذمة أو أحدا من الأنبياء عليهم السلام
قتل إلا أن يسلم وقاله ابن القاسم في العتبية وعند محمد وابن سحنون وقال
سحنون

سحنون وأصبغ لا يقال له أسلم ولا لا تسلم ولكن إن أسلم فذلك له توبة وفي كتاب
محمد أخبرنا أصحاب مالك أنه قال من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غيره
من النبيين عليهم السلام من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب وروي لنا
عن مالك إلا أن يسلم الكافر وقد روى ابن وهب عن ابن عمر رضي الله
عنهما أن راهبا تناول النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر رضي الله
عنه فهلا قتلتموه وروى عيسى عن ابن القاسم في ذمي قال إن محمدا لم يرسل
خ عليهم إلينا إنما أرسل إليكم وإنما نبينا موسى أو عيسى ونحو هذا لا شيء عليه لأن
الله تعالى أقرهم على مثله وأما إن سبه فقال ليس بنبي أو لم ينزل عليه
قرآن وإنما هو شيء تقوله أو نحو هذا فيقتل قال ابن القاسم وإذا
قال النصراني ديننا خير من دينكم إنما دينكم دين الحمير ونحو هذا من القبيح
أو سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله ففي
خ ممن هذا الأدب الموجع والسجن الطويل قال وأما إن شتم النبي صلى الله عليه
وسلم شتما يعرف فإنه يقتل إلا أن يسلم قاله مالك غير مرة ولم يقل يستتاب
قال ابن القاسم ومحمل قوله عندي إن أسلم طائعا وقال ابن سحنون في
سؤالات سليمان بن سالم في اليهودي يقول للمؤذن إذا تشهد كذبت يعاقب
العقوبة الموجعة مع السجن الطويل وفي النوادر من رواية سحنون عنه
من شتم الأنبياء عليهم السلام من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي
به كفروا ضربت عنقه إلا أن يسلم قال محمد بن سحنون فإن قيل لم قتلته
خ منا في سب النبي صلى الله عليه وسلم ومن دينه سبه وتكذيبه قيل لأنا لم نعطهم
العهد على ذلك ولا على قتلنا وأخذ أموالنا فإذا قتل واحدا منا قتلناه وإن كان
من دينه استحلاله فكذلك إظهاره لسب نبينا صلى الله عليه وسلم قال

سحنون كما لو بذل لنا أهل الحرب الجزية على إقرارهم على سبّه لم يجز
لنا ذلك في قول قائل كذلك ينتقض عهد من سبّ منهم ويحلّ لنا دمه
وكما لم يحصن الإسلام من سبّه من القتل كذلك لا تحصنه الذمّة قال
القاضي أبو الفضل رحمه الله ما ذكره ابن سحنون عن نفسه وعن أبيه مخالف
لقول ابن القسم فيما خفّف عقوبتهم فيه ممّا به كفروا فتأمّله ويدلّ على أنّه خلاف
ما روي عن المدنيين في ذلك فحكى أبو المصعب الزهري قال أتيت بنصراني
قال والذي اصطفى عيسى على محمد فاختلف عليّ فيه فضربته حتى قتلته أو عاش
يوما وليلة وأمرت من جرّ برجله وطرح على مزبلة فأكلته الكلاب
وسئل أبو المصعب عن نصراني قال عيسى خلق محمدا فقال يقتل وقال ابن
القاسم سألنا مالكا عن نصراني بمصر شهد عليه أنّه قال مسكين محمد يخبركم أنّه
في الجنة فهو الآن في الجنة ما له لم ينفع نفسه إذ كانت الكلاب تأكل ساقيه لو
قتلوه استراح الناس منه قال مالك أرى أن تضرب عنقه قال ولقد كدت
أن لا أتكلم فيها بشيء ثم رأيت أنه لا يسعني الصمت قال ابن كنانة في المبسوط
من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى فأرى للإمام أن يحرقه
بالنار حيّا إذا أتاهم فيه وإن شاء قتله ثم حرق جثته وإن شاء أحرقهم بالنار
حيّا إذا تهافتوا في سبّه ولقد كتب إلى مالك من مصر وذكر مسألة ابن القسم
المتقدمة قال فأمرني مالك فكتبت بأن يقتل وأن تضرب عنقه فكتبت ثم
قلت يا أبا عبد الله وأكتب ثم يحرق بالنار فقال إنه لحقيق بذلك وما أولاه
به فكتبته بيدي بين يديه فما أنكره ولا عابه ونفذت الصحيفة بذلك فقتل
وحرق وأفتى عبيد الله بن يحيى وابن لبابة في جماعة سلف أصحابنا
الأندلسيين بقتل نصرانية استهلّت بنفي الربوبية وبنوّة لله تعالى وتكذيب محمد

خ تخفيف
خ أحرقه
خ إليه
عيسى
ونبوة محمد ونبوة

صلى الله عليه وسلم في النبوة وقبول إسلامهما ودرء القتل عنهما به قاله غير
واحد من المتأخرين منهم القابسي وابن الكاتب وقال أبو القاسم ابن الجلاب
في كتابه من سبّ الله تعالى ورسوله من مسلم أو كافر قتل ولا يستتاب وحكى
القاضي أبو محمد في الذمي يسبّ ثم يسلم روايتين في درء القتل عنه بإسلامه وقال
ابن سحنون وحدّ القذف وشبهه من حقوق العباد لا يسقطه عن الذمي إسلامه
وإنما يسقط عنه بإسلامه حدود الله تعالى فأمّا حدّ القذف فحقّ للعباد كان
ذلك لنبي أو غيره فأوجب على الذمي إذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم ثم أسلم
حدّ القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حدّ القذف في حقّ النبي صلى الله
عليه وسلم وهو القتل لزيادة حرمة النبي صلى الله عليه وسلم على غيره أم
هل يسقط القتل بإسلامه ويحدّ ثمانين فتأمّله فصل في ميراث من
قتل بسبّ النبي صلى الله عليه وسلم وغسله والصلاة عليه اختلف العلماء
في ميراث من قتل بسبّ النبي صلى الله عليه وسلم فذهب سحنون إلى أنه لجماعة
المسلمين من قبل أن شتم النبي صلى الله عليه وسلم كفر يشبه كفر الزنديق وقال
أصبغ ميراثه لورثته من المسلمين إن كان مستسرّا بذلك وإن كان مظهرا
له مستهلّا به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل حال ولا يستتاب قال أبو
الحسن القابسي إن قتل وهو منكر للشهادة فالحكم في ميراثه على ما أظهر
من إقراره يعني لورثته والقتل حدّ ثبت عليه ليس من الميراث في شيء وكذلك
لو أقرّ بالسبّ وأظهر التوبة لقتل إذ هو حدّه وحكمه في ميراثه وسائر أحكامه
حكم الإسلام ولو أقرّ بالسبّ وتمادى عليه وأبى التوبة منه فقتل على ذلك
كان كافرا وميراثه للمسلمين ولا يغسّل ولا يصلّى عليه ولا يكفّن وتستر عورته
ويوارى كما يفعل بالكفار وقول الشيخ أبي الحسن في المجاهر المتمادي

يسقطه عن الذمي إسلامه
خ من نبي
خ شبه الزنديق
خ مستترا
خ وأسبابه

بين لا يمكن الخلاف فيه لأنه كافر مرتد غير تائب ولا مقلع وهو مثل قول
أصبغ وكذلك في كتاب ابن سحنون في الزنديق يتمادى على قوله ومثله لابن
القسم في العتبية ولجماعة من أصحاب مالك في كتاب ابن حبيب فيمن أعلن كفره
مثله وقال ابن القسم وحكمه حكم المرتد لا ترثه ورثته من المسلمين ولا من
أهل الدين الذي ارتد إليه ولا تجوز وصاياه ولا عتقه وقاله أصبغ قتل على ذلك (خ وقال)
أو مات عليه وقال أبو محمد بن أبي زيد وإنما يختلف في ميراث الزنديق
الذي يستهل بالتوبة فلا تقبل منه فأما المتمادي فلا خلاف أنه لا يورث
وقال أبو محمد فيمن سب الله عز وجل ثم مات ولم تعدل عليه بينة (خ تقبل)
أو لم تقبل أنه يصلى عليه وروى أصبغ عن ابن القسم في كتاب ابن حبيب فيمن
كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم أو أعلن دينا مما يفارق به الإسلام أن
ميراثه للمسلمين وقال بقول مالك إن ميراث المرتد للمسلمين ولا ترثه ورثته
ربيعة والشافعي وأبو ثور وابن أبي ليلى واختلف فيه عن أحمد وقال علي
ابن أبي طالب رضي الله عنه وابن مسعود وابن المسيب والحسن والشعبي وعمر
ابن عبد العزيز والحكم والأوزاعي والليث وإسحق وأبو حنيفة يرثه ورثته
من المسلمين وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما كسبه في ارتداده فللمسلمين (خ الارتداد)
قال القاضي رحمه الله تعالى وتفصيل أبي الحسن في باقي جوابه حسن
بين وهو على رأي أصبغ وخلاف قول سحنون واختلافهما على قولي مالك
في ميراث الزنديق فمرة ورثه ورثته من المسلمين قامت عليه بذلك بينة
فأنكرها أو اعترف بذلك وأظهر التوبة وقاله أصبغ ومحمد بن مسلمة وغير
واحد من أصحابه لأنه مظهر للإسلام بإنكاره أو توبته وحكمه حكم المنافقين
الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن نافع عنه في

العتبية

العتبية وكتاب محمد أن ميراثه لجماعة المسلمين لأن ماله تبع لدمه وقال به
أيضا جماعة من أصحابه وقاله أشهب والمغيرة وعبد الملك ومحمد وسحنون
وذهب ابن القسم في العتبية إلى أنه إن اعترف بما شهد عليه به وتاب فقتل
فلا يورث وإن لم يقر حتى قتل أو مات ورث قال وكذلك كل من أسر كفرا
فإنهم يتوارثون بوراثة الإسلام وسئل أبو القاسم ابن الكاتب عن النصراني
يسب النبي صلى الله عليه وسلم فيقتل هل يرثه أهل دينه أم المسلمون فأجاب
بأنه للمسلمين ليس على جهة الميراث لأنه لا توارث بين أهل ملتين ولكن لأنه
من فيئهم لنقضه العهد هذا معنى قوله واختصاره ٥ (بلغ)

الباب الثالث

في حكم من سب الله سبحانه وملائكته وأنبياءه عليهم الصلاة والسلام وكتبه
وآل النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه وصحبه رضي الله عنهم أجمعين لا
خلاف أن ساب الله سبحانه من المسلمين كافر حلال الدم واختلف في استتابته
فقال ابن القاسم في المبسوط وكتاب ابن سحنون ومحمد ورواه ابن القاسم
عن مالك في كتاب إسحق بن يحيى من سب الله تعالى قتل من المسلمين ولم يستتب
إلا أن يكون افترى على الله بارتداده إلى دين دان به وأظهره فيستتاب (خ في ارتداده)
وإن لم يظهره لم يستتب وقال في المبسوط مطرف وعبد الملك مثله وقال (خ المبسوط)
المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن أبي حازم لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب
وكذلك اليهودي والنصراني فإن تابوا قبل منهم وإن لم يتوبوا قتلوا ولا بد
من الاستتابة وذلك كله كالردة وهو الذي حكاه القاضي ابن نصر عن المذهب
وأفتى أبو محمد بن أبي زيد فيما حكي عنه في رجل لعن رجلا ولعن الله
تعالى فقال إنما أردت أن ألعن الشيطان فزل لساني فقال يقتل بظاهر

كفر ولا يقبل عذره وأما فيما بينه وبين الله تعالى فمعذور **واختلف** فقهاء قرطبة في مسألة هرون بن حبيب أخي عبد الملك الفقيه وكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات منها أنه قال عند استقلاله من مرض لقيت في مرضي هذا ما لو قتلت أبا بكر وعمر لم أستوجب هذا كله **فأفتى** إبرهيم بن حسين بن خالد بقتله وأن مضمن قوله تجوير لله وتظلم منه والتعريض فيه كالتصريح **وأفتى** أخوه عبد الملك بن حبيب وإبرهيم ابن حسين بن عاصم وسعيد بن سليمن القاضي بطرح القتل عنه إلا أن القاضي رأى عليه التثقيل في الحبس والشدة في الأدب لاحتمال كلامه وصرفه إلى التشكي **فوجه** من قال في ساب الله سبحانه بالاستتابة أنه كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله تعالى فأشبه قصد الكفر بغير سب الله تعالى وإظهار الانتقال إلى دين آخر من الأديان المخالفة للإسلام **ووجه** ترك استتابته أنه لما ظهر منه ذلك بعد إظهار الإسلام قبل اتهمناه وظننا أن لسانه لم ينطق به إلا وهو معتقد له إذ لا يتساهل في هذا أحد فحكم له بحكم الزنديق ولم تقبل توبته وإذا انتقل من دين إلى دين آخر وأظهر السب بمعنى الارتداد فهذا قد أعلم أنه قد خلع ربقة الإسلام من عنقه بخلاف الأول المتمسك به وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور مذاهب أكثر أهل العلم وهو مذهب ملك وأصحابه على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف في فصوله **فصل** وأما من أضاف إلى الله تعالى ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة وقصد الكفر ولكن على طريق التأويل والاجتهاد والخطأ المفضي إلى الهوى والبدعة من تشبيه أو نعت بجارحة أو نفي صفة كمال فهذا مما اختلف السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده **واختلف** قول

ملك

خ حسن

خ حسين

خ العلماء

خ واجتهاد الخطا

ملك وأصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم إذا تحزبوا فئة وأنهم يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا وإنما اختلفوا في المنفرد منهم فأكثر قول ملك وأصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم وإطالة سجنهم حتى يظهر إقلاعهم وتستبين توبتهم كما فعل عمر بصبيغ **وهذا** قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك بن الماجشون وقول سحنون في جميع أهل الأهواء وبه فسر قول ملك في الموطأ **وما** رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده وعمه من قولهم في القدرية يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا **وقال** عيسى عن ابن القاسم في أهل الأهواء من الإباضية والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من أهل البدع والتحريف لتأويل كتاب الله تعالى يستتابون أظهروا ذلك أو أسروه فإن تابوا وإلا قتلوا وميراثهم لورثتهم وقال مثله أيضا ابن القسم في كتاب محمد في أهل القدر وغيرهم قال واستتابتهم أن يقال لهم اتركوا ما أنتم عليه ومثله له في المبسوط في الإباضية والقدرية وسائر أهل البدع قال وهم مسلمون وإنما قتلوا لرأيهم السوء قال وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز **وقال** ابن القسم من قال إن الله تعالى لم يكلم موسى تكليما استتيب فإن تاب وإلا قتل وابن حبيب وغيره من أصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير أمثالهم من الخوارج والقدرية والمرجئة **وقد** روي أيضا عن سحنون مثله فيمن قال ليس لله تعالى كلام أنه كافر واختلفت الروايات عن ملك فأطلق في رواية الشاميين أبي مسهر ومروان بن محمد الطاطري الكفر عليهم وقد شوور في زواج القدري فقال لا تزوجه قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك **وروي** عنه أيضا أهل الأهواء كلهم كفار **وقال** من وصف شيئا من ذات الله تعالى وأشار إلى شيء من جسده يد أو سمع أو بصر قطع ذلك

خ الطبري

منه لأنه شتم الله سبحانه بنفسه **وقال** فيمن قال القرآن مخلوق كافر
فاقتلوه **وقال** أيضا في رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب
وفي رواية بشر بن بكر التنيسي عنه يقتل ولا تقبل توبته **قال** القاضي
أبو عبد الله البرنكاني والقاضي أبو عبد الله التستري من أئمة العراقيين من
أصحابنا جوابه مختلف يقتل المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف اختلف
قوله في إعادة الصلاة خلفهم **وحكى** ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدري
وأكثر أقوال السلف تكفيرهم وممن قال به الليث وابن عيينة وابن
لهيعة وروي عنهم ذلك فيمن قال بخلق القرآن وقاله ابن المبارك والأودي
ووكيع وحفص بن غياث وأبو إسحاق الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم في آخرين
وهو من قول أكثر المحدثين والفقهاء والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدرية
وأهل الأهواء المضلة وأصحاب البدع المتأولين وهو قول أحمد بن حنبل
وكذلك قالوا في الواقفة والشاكة في هذه الأصول **وممن** روي عنه معنى
القول الآخر بترك تكفيرهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وابن عمر والحسن
البصري وهو رأي جماعة من الفقهاء والنظار والمتكلمين **واحتجوا** بتوريث
الصحابة والتابعين ورثة أهل حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات منهم
ودفنهم في مقابر المسلمين وجري أحكام الإسلام عليهم **قال** إسمعيل
القاضي وإنما قال مالك في القدرية وسائر أهل البدع يستتابون فإن
تابوا وإلا قتلوا لأنه من الفساد في الأرض كما قال في المحارب إن رأى الإمام
قتله وإن لم يقتل قتله وفساد المحارب إنما هو في الأموال ومصالح الدنيا
وإن كان أيضا قد يدخل في أمر الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد أهل
البدع معظمه على الدين وقد يدخل في أمور الدنيا بما يلقون بين المسلمين

خ البرنكاني

خ الرافضة

أمر

والله الموفق للصواب **فصل** في تحقيق القول في إكفار المتأولين **قد ذكرنا**
مذاهب السلف في إكفار أصحاب البدع والأهواء المتأولين ممن قال قولا يؤديه
مساقه إلى الكفر هو إذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه قوله إليه وعلى اختلافهم اختلف
الفقهاء والمتكلمون في ذلك فمنهم من صوب التكفير الذي قال به الجمهور من
السلف ومنهم من أباه ولم ير إخراجهم من سواد المؤمنين وهو قول أكثر
الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم فساق عصاة ضلال ونورثهم من المسلمين ونحكم
لهم بأحكامهم ولهذا قال سحنون ولا إعادة على من صلى خلفهم في وقت ولا غيره
قال وهو قول جميع أصحاب مالك المغيرة وابن كنانة وأشهب قال لأنه
مسلم وذنبه لم يخرجه من الإسلام واضطرب آخرون في ذلك ووقفوا
عن القول بالتكفير أو ضده واختلاف قولي مالك في ذلك وتوقفه عن إعادة
الصلاة خلفهم منه وإلى نحو من هذا ذهب القاضي أبو بكر إمام أهل التحقيق والحق
وقال إنها من المعوصات إذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وإنما قالوا قولا يؤدي
إليه واضطرب قوله في المسألة على نحو اضطراب قول إمامه مالك بن أنس حتى
قال في بعض كلامه إنهم على رأي من كفرهم بالتأويل لا تحل مناكحتهم
ولا أكل ذبائحهم ولا الصلاة على ميتهم ويختلف في موارثتهم على الخلاف
في ميراث المرتد وقال أيضا إنما نورث ميتهم ورثتهم من المسلمين ولا نورثهم
هم من المسلمين وأكثر ميله إلى ترك التكفير بالمآل وكذلك اضطرب فيه قول
شيخه أبي الحسن الأشعري وأكثر قوله ترك التكفير وأن الكفر خصلة واحدة
وهو الجهل بوجود الباري سبحانه **وقال** مرة من اعتقد أن الله
تعالى جسم أو المسيح أو بعض من يلقاه في الطرق فليس بعارف به وهو كافر
ولمثل هذا ذهب أبو المعالي رحمه الله في أجوبته لأبي محمد عبد الحق وكان

خ ووقف

خ المتكلمين

خ واختلف قول

خ منهم

سأله عن المسئلة فاعتذر له بأن الغلط فيها يصعب لأن إدخال كافر في الملة
أو إخراج مسلم عنها عظيم في الدين وقال غيرهما من المحققين الذي يجب الاحتراز
من التكفير في أهل التأويل فإن استباحة دماء المصلين الموحدين خطر والخطأ في
ترك ألف كافر أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم واحد وقد قال
صلى الله عليه وسلم فإذا قالوها يعني الشهادة عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا
بحقها وحسابهم على الله فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح
خلافها إلا بقاطع ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه وألفاظ الأحاديث الواردة
في الباب عرضة للتأويل فما جاء منها في التصريح بكفر القدرية وقوله لا سهم
لهم في الإسلام وتسمية الرافضة بالشرك وإطلاق اللعنة عليهم وكذلك في
الخوارج وغيرهم من أهل الأهواء فقد يحتج بها من يقول بالتكفير فقد
يحتج بها من يقول بالتكفير وقد يجيب الآخر عنها بأنه قد ورد مثل هذه الألفاظ
في الحديث في غير الكفرة على طريق التغليظ وكفر دون كفر وإشراك دون
إشراك وقد ورد مثله في الزنى وعقوق الوالدين والزور والزوج وغير
معصية وإذا كان محتملاً للأمرين فلا يقطع على أحدهما إلا بدليل قاطع لأنه
قال في الخوارج هم من شر البرية وهذه صفة الكفار وقال شر قتيل تحت
أديم السماء طوبى لمن قتلهم أو قتلوه وقال فإذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل
عاد وظاهر هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم بعاد فيحتج به من يرى تكفيرهم
فيقول له الآخر إنما ذلك من قتلهم لخروجهم على المسلمين وبغيهم عليهم بدليل
من الحديث نفسه يقتلون أهل الإسلام فقتلهم ها هنا حد لا كفر وقتل
عاد تشبيه للقتل وحله لا للمقتول وليس كل من حكم بقتله يحكم بكفره ويعارضه
بقول خالد في الحديث دعني أضرب عنقه يا رسول الله فقال لعله يصلي فإن

احتجوا

احتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم فأخبر
أن الإيمان لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله يمرقون من الدين مروق السهم من
الرمية ثم لا يعودون إليه حتى يعود السهم على فوقه وكذلك قوله سبق
الفرث والدم يدل على أنه لم يتعلق من الإسلام بشيء أجابه الآخرون أن
معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم
ولا تعمل به جوارحهم وعارضوهم بقوله صلى الله عليه وسلم ويتمارى في
الفوق وهذا يقتضي التشكك في حاله وإن احتجوا بقول أبي سعيد الخدري
في هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج في هذه
الأمة ولم يقل منها وتحرير أبي سعيد الرواية وإتقانه اللفظ أجابهم
الآخرون بأن العبارة بفي لا تقتضي تصريحاً بكونهم من غير الأمة بخلاف لفظة
من التي للتبعيض وكونهم من الأمة مع أنه قد روي عن أبي ذر وعلي وأبي
أمامة وغيرهم رضي الله عنهم في هذا الحديث يخرج من أمتي وسيكون من
أمتي وحروف المعاني مشتركة فلا تعويل على إخراجهم من الأمة بفي ولا على
إدخالهم فيها بمن لكن أبا سعيد رضي الله عنه أجاد ما شاء في التنبيه
الذي نبه عليه وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة رضي الله عنهم وتحقيقهم
للمعاني واستنباطها من الألفاظ وتحريرهم لها وتوقيهم في الرواية هذه
المذاهب المعروفة لأهل السنة ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة
مضطربة سخيفة أقربها قول جهم ومحمد بن شبيب إن الكفر بالله الجهل به
لا يكفر أحد بغير ذلك وقال أبو الهذيل إن كل متأول كان تأويله تشبيهاً
لله تعالى بخلقه وتجويراً له في فعله وتكذيباً لخبره فهو كافر وكل من أثبت
شيئاً قديماً لا يقال له الله فهو كافر وقول بعض المتكلمين إن كان ممن عرف

وقال

الأصل ونبه عليه وكان فيما هو من أوصاف الله تعالى فهو كافر وإن لم يكن من
هذا الباب ففاسق إلا أن يكون ممن لم يعرف الأصل فهو مخطئ غير كافر
وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري إلى تصويب أقوال المجتهدين في أصول
الدين فيما كان عرضة للتأويل وفارق في ذلك فرق الأمة إذ أجمعوا سواه على
أن الحق في أصول الدين فيما كان عرضة للتأويل وفارق في ذلك فرق الأمة
في الواحد والمخطئ فيه آثم عاص فاسق وإنما الخلاف في تكفيره وقد حكى
القاضي أبو بكر الباقلاني مثل قول عبيد الله عن داود الأصبهاني قال وحكى
قوم عنهما أنهما قالا ذلك في كل من علم الله سبحانه وتعالى من حاله استفراغ
الوسع في طلب الحق من أهل ملتنا أو من غيرهم وقال نحو هذا القول الجاحظ
وثمامة في أن كثيرا من العامة والنساء والبله ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم
لا حجة لله تعالى عليهم إذ لم تكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال وقد نحا
الغزالي قريبا من هذا المنحى في كتاب التفرقة وقائل هذا كله كافر
بالإجماع على كفر من لم يكفر أحدا من النصارى واليهود وكل من فارق دين
المسلمين أو وقف في تكفيرهم أو شك قال القاضي أبو بكر لأن التوقيف
والإجماع اتفقا على كفرهم فمن وقف في ذلك فقد كذب النص والتوقيف أو شك
فيه والتكذيب والشك فيه لا يقع إلا من كافر

فصل

في بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف أو يختلف فيه وما ليس بكفر اعلم أن تحقيق هذا
الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال للعقل فيه والفصل البين
في هذا أن كل مقالة صرحت بنفي الربوبية أو الوحدانية أو عبادة أحد
غير الله تعالى أو مع الله تعالى فهي كفر كمقالة الدهرية وسائر فرق أصحاب
الاثنين من الديصانية والمانية وأشباههم من الصابئين والنصارى والمجوس

والذين أشركوا بعبادة الأوثان أو الملائكة أو الشياطين أو الشمس أو النجوم أو النار
أو أحد غير الله تعالى من مشركي العرب وأهل الهند والصين والسودان وغيرهم
ممن لا يرجع إلى كتاب وكذلك القرامطة وأصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية
والطيارة من الروافض وكذلك من اعترف بإلهية الله تعالى ووحدانيته
ولكنه اعتقد أنه غير حي أو غير قديم وأنه محدث أو مصور أو ادعى له ولدا
أو صاحبة أو والدا وأنه متولد من شيء أو كائن عنه أو أن معه في الأزل
شيئا قديما غيره أو أن ثم صانعا للعالم سواه أو مدبرا غيره سبحانه وتعالى
فذلك كله كفر بإجماع المسلمين كقول الإلهيين من الفلاسفة والمنجمين
والطبائعيين وكذلك من ادعى مجالسة الله تعالى والعروج إليه ومكالمته
أو حلوله في أحد الأشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة
وكذلك نقطع على كفر من قال بقدم العالم أو بقائه أو شك في ذلك على مذهب
بعض الفلاسفة والدهرية أو قال بتناسخ الأرواح وانتقالها أبد الآباد
في الأشخاص وتعذيبها أو تنعمها فيها بحسب زكائها وخبثها وكذلك من اعترف
بالإلهية والوحدانية ولكنه جحد النبوة من أصلها عموما أو نبوة نبينا
عليه الصلاة والسلام خصوصا أو أحد من الأنبياء عليهم السلام الذين
نص الله تعالى عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم
اليهود والأروسية من النصارى والغرابية من الروافض الزاعمين أن
عليا كان المبعوث إليه جبريل عليه السلام وكالمعطلة والقرامطة والإسماعيلية
والعبيدية من الشيعة وإن كان بعض هؤلاء قد أشركوا في كفر آخر
مع من قبلهم وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا صلى
الله عليه وسلم ولكن جوز على الأنبياء عليهم السلام الكذب فيما أتوا به

ادعى في ذلك المصلحة بزعمه أو لم يدعها فهو كافر بإجماع المسلمين كالمتفلسفين
وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة وأصحاب الإباحة فإن هؤلاء زعموا
أن ظواهر الشرع وأكثر ما جاءت به الرسل عليهم السلام من الإخبار عما كان ويكون
من أمور الآخرة والحشر يوم القيامة والجنة والنار ليس منها شيء على مقتضى لفظها
ومفهوم خطابها وإنما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم إذ لم يمكنهم التصريح
لقصور أفهامهم فمضمن مقالاتهم إبطال الشرائع وتعطيل الأوامر والنواهي وتكذيب
الرسل صلوات الله عليهم والارتياب فيما أتوا به **وكذلك** من أضاف إلى نبينا عليه
الصلاة والسلام تعمد الكذب فيما بلغه وأخبر به أو شك في صدقه أو سبه
أو قال إنه لم يبلغ أو استخف به أو بأحد من الأنبياء عليه وعليهم الصلاة
والسلام أو أزرى عليهم أو آذاهم أو قتل نبيا أو حاربه فهو كافر بإجماع
وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء في أن في كل جنس من الحيوان
نذيرا ونبيا من القردة والخنازير والدواب والدود وغير ذلك ويحتج
بقوله تعالى وإن من أمة إلا خلا فيها نذير إذ ذلك يؤدي إلى أن يوصف
أنبياء هذه الأجناس بصفاتهم المذمومة وفيه من الإزراء على هذا المنصب
المنيف ما فيه مع إجماع المسلمين على خلافه وتكذيب قائله **وكذلك** نكفر من
اعترف من الأصول الصحيحة بما تقدم ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن قال
كان أسود أو مات قبل أن يلتحي أو ليس الذي كان بمكة والحجاز أو ليس بقرشي
لأن وصفه بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به **وكذلك** من ادعى
نبوة أحد مع نبينا عليه الصلاة والسلام أو بعده كالعيسوية من اليهود القائلين
بتخصيص رسالته إلى العرب وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل وكأكثر الروافض
القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده وكذلك كل إمام

عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة وكالبزيغية والبيانية منهم القائلين بنبوة
بزيع وبيان وأشباه هؤلاء أو من ادعى النبوة أو أنه يصعد إلى السماء ويدخل
الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور العين **فهؤلاء** كلهم كفار مكذبون
للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر عليه الصلاة والسلام أنه خاتم النبيين
ولا نبي بعده وأخبر عن الله تعالى أنه خاتم النبيين وأنه أرسل إلى كافة الناس
وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره وأن مفهومه المراد به دون
تأويل ولا تخصيص فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعا إجماعا وسمعا
وكذلك وقع الإجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب أو خص حديثا مجمعا
على نقله مقطوعا به مجمعا على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج بإبطال الرجم
ولهذا نكفر من لم يكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل أو وقف فيهم أو شك
أو صحح مذهبهم وإن أظهر مع ذلك الإسلام واعتقده واعتقد إبطال
كل مذهب سواه فهو كافر بإظهاره ما أظهر من خلاف ذلك **وكذلك**
نقطع بتكفير كل من قال قولا يتوصل به إلى تضليل الأمة وتكفير جميع الصحابة
كقول الكميلية من الرافضة بتكفير جميع الأمة بعد موت النبي صلى الله عليه
وسلم إذ لم تقدم عليا وكفرت عليا إذ لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم
فهؤلاء قد كفروا من وجوه لأنهم أبطلوا الشريعة بأسرها إذ قد انقطع
نقلها ونقل القرآن إذ ناقلوه كفرة على زعمهم وإلى هذا والله أعلم أشار مالك
في أحد قوليه بقتل من كفر الصحابة ثم كفروا من وجه آخر بسبهم النبي
صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم أنه عهد إلى علي وهو يعلم أنه يكفر
بعده على قولهم لعنة الله عليهم وصلى الله على رسوله وآله وكذلك نكفر بكل
فعل أجمع المسلمون أنه لا يصدر إلا من كافر وإن كان صاحبه مصرحا بالإسلام
مع

مع فعله ذلك الفعل كالسجود للصنم أو للشمس والقمر والصليب والنار والسعي
إلى الكنائس والبيع مع أهلها والزي بزيهم من شد الزنانير وفحص الرؤوس فقد [حاشية: والتزيي]
أجمع المسلمون أن هذا لا يوجد إلا من كافر وأن هذه الأفعال علامة على الكفر وإن
صرح فاعلها بالإسلام وكذلك أجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل أو شرب [حاشية: صحبه]
الخمر مما حرم الله تعالى بعد علمه بتحريمه كأصحاب الإباحة من القرامطة [حاشية: لاباحات]
وبعض غلاة المتصوفة وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وأنكر قاعدة من قواعد
الشرع وما عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول عليه الصلاة والسلام
ووقع الإجماع المتصل عليه كمن أنكر وجوب الخمس الصلوات أو عدد ركعاتها
وسجداتها ويقول إنما أوجب الله سبحانه علينا في كتابه الصلاة على الجملة
وكونها خمسا وعلى هذه الصفات والشروط لا أعلمه إذ لم يرد فيه في القرآن
نص جلي والخبر به عن الرسول صلى الله عليه وسلم خبر واحد وكذلك
أجمع المسلمون على تكفير من قال من الخوارج إن الصلاة طرفي النهار وعلى تكفير
الباطنية في قولهم إن الفرائض أسماء رجال أمروا بولايتهم والخبائث والمحارم
أسماء رجال أمروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوفة إن العبادة وطول
المجاهدة إذا صفت نفوسهم أفضت بهم إلى إسقاطها وإباحة كل شيء لهم ورفع
عهد الشرائع عنهم وكذلك إن أنكر منكر مكة أو البيت أو المسجد الحرام
أو صفة الحج وقال الحج واجب في القرآن واستقبال القبلة كذلك ولكن
كونه على هذه الهيئة المتعارفة وأن تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد
الحرام لا أدري هل هي تلك أو غيرها ولعل الناقلين أن النبي صلى الله عليه [حاشية: أم]
وسلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا أو وهموا فهذا ومثله لا مرية في [حاشية: أو]
تكفيره إن كان ممن يظن به علم ذلك وممن خالط المسلمين وامتدت صحبته لهم

الا

إلا أن يكون حديث عهد بإسلام فيقال له سبيلك أن تسأل عن هذا الذي لم
تعلمه بعد كافة المسلمين فلا تجد بينهم خلافا كافة عن كافة إلى معاصري
الرسول عليه الصلاة والتسليم أن هذه الأمور كما قيل لك وأن تلك البقعة هي
مكة والبيت الذي هو فيها الكعبة والقبلة التي صلى لها الرسول صلى الله
عليه وسلم والمسلمون وحجوا إليها وطافوا بها وأن تلك الأفعال هي صفات عبادة
الحج والمراد به وهي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون وأن صفات
الصلوات المذكورة هي التي فعل النبي صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله تعالى
بذلك وأبان حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب بذلك بعد
والمرتاب في ذلك والمنكر بعد البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق ولا يعذر
بقوله لا أدري ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر عن التكذيب إذ لا يمكن
أنه لا يدري وأيضا فإنه إذا جوز على جميع الأمة الوهم والغلط فيما نقلوه
من ذلك وأجمعوا أنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله وتفسير مراد
الله تعالى به أدخل الاسترابة في جميع الشريعة إذ هم الناقلون لها وللقرآن وانحلت
عرى الدين كرة ومن قال هذا كافر وكذلك من أنكر القرآن أو حرفا منه
[حاشية: لقول] أو غير شيئا منه أو زاد فيه كفعل الباطنية والإسماعيلية أو زعم أنه ليس
بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم أو ليس فيه حجة ولا معجزة كقول هشام الفوطي
[حاشية: الصيمري] ومعمر الضمري أنه لا يدل على الله تعالى ولا حجة فيه لرسول الله صلى الله
[حاشية: لمخالفته] عليه وسلم ولا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا محالة في كفرهما بذلك
القول وكذلك نكفرهما بإنكارهما أن يكون في سائر معجزات النبي صلى الله
عليه وسلم حجة له أو في خلق السموات والأرض دليل على الله تعالى لمخالفتهم الإجماع
والنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم باحتجاجه بهذا كله وتصريح القرآن

به وكذلك من انكر شيئا مما نص فيه القران بعد علمه انه من القران الذي في ايدي
الناس ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد بالاسلام واحتج
لانكاره اما بانه لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم به او لتجويز الوهم
على ناقليه فيكفر بالطريقين المتقدمين لانه مكذب للقران مكذب للنبي
صلى الله عليه وسلم لكنه يستر بدعواه **وكذلك** من انكر الجنة او النار او البعث
والحساب والقيامة فهو كافر باجماع للنص عليه واجماع الامة على صحة نقله
متواترا وكذلك من اعترف بذلك ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر
والنشر والثواب والعقاب معنى على غير ظاهره وانها لذات روحانية ومعان
باطنة كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة وزعمهم ان
معنى القيمة الموت او فناء محض وانتقاض هيئة الافلاك وتحليل العالم كقول
بعض الفلاسفة **وكذلك** يقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم ان الائمة
افضل من الانبياء عليهم السلام كما قدمناه **فاما** من انكر ما عرف بالتواتر
من الاخبار والسير والبلاد التي لا ترجع الى ابطال شريعة ولا تفضي الى
انكار قاعدة من الدين كانكار غزوة تبوك او مؤتة او وجود ابي بكر وعمر او قتل
عثمان وخلافة علي رضي الله عنهم مما علم بالنقل ضرورة وليس في انكاره
جحد شريعة فلا سبيل الى تكفيره لجحد ذلك وانكار وقوع العلم له اذ ليس
في ذلك اكثر من المباهتة كانكار هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة علي
رضي الله عنه من خالفه فاما ان ضعف ذلك من اجل تهمة الناقلين ووهم
المسلمين اجمع فنكفره بذلك لسريانه الى ابطال الشريعة **فاما** من انكر الاجماع
المجرد الذي ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع فاكثر المتكلمين من الفقهاء والنظار
في هذا الباب قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح الجامع لشروط الاجماع

المتفق

بالقران

٢٠٨

المتفق عليه عموما **وحجتهم** قول الله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين
له الهدى الاية وقوله صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع
ربقة الاسلام من عنقه **وحكوا** الاجماع على تكفير من خالف الاجماع **وذهب**
اخرون الى الوقوف عن القطع بتكفير من خالف الاجماع الذي يختص بنقله
العلماء **وذهب** اخرون الى التوقف في تكفير من خالف الاجماع الكائن
عن نظر كتكفير النظام بانكاره الاجماع لانه بقوله هذا مخالف
اجماع السلف على احتجاجهم به خارق للاجماع **قال** القاضي ابو بكر
القول عندي ان الكفر بالله تعالى هو الجهل بوجوده وانه لا يكفر احد بقول
ولا راي الا ان يكون هو الجهل بالله تعالى فان عصى بقول او فعل نص الله
تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم او اجمع المسلمون انه لا يوجد الا من كافر
او يقوم دليل على ذلك فقد كفر ليس لاجل قوله او فعله لكن لما يقارنه من
الكفر فالكفر بالله تعالى لا يكون الا باحد ثلثة امور احدها الجهل بالله تعالى
والثاني ان ياتي فعلا او يقول قولا يخبر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه
وسلم او يجمع المسلمون ان ذلك لا يكون الا من كافر كالسجود للصنم والمشي
الى الكنائس بالتزام الزنار وزي اصحابها في اعيادهم او يكون ذلك القول
او الفعل لا يمكن معه العلم بالله تعالى **قال** فهذان الضربان وان لم يكونا
جهلا بالله تعالى فهما علم ان فاعلهما كافر منسلخ من الايمان **فاما من**
نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية او جحدها مستبصرا في ذلك كقوله
ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة
له عز وجل **فقد** نص ائمتنا على الاجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف
بها واعراه عنها وعلى هذا حمل قول سحنون من قال ليس لله تعالى كلام فهو كافر

منها

خالف

نقله العلماء

الزنانير

الذي فعلهما

الثابتة

وهو لا يكفر المتأول كما قدمناه فأما من جهل صفة من هذه الصفات فاختلف
العلماء هاهنا فكفره بعضهم وحكي ذلك عن أبي جعفر الطبري وغيره
وقال به أبو الحسن الأشعري مرة وذهبت طائفة إلى أن هذا لا يخرجه عن
اسم الإيمان وإليه رجع الأشعري قال لأنه لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع
بصوابه ويراه دينا وشرعا وإنما يكفر من اعتقد أن مقاله حق واحتج هؤلاء
بحديث السوداء وأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما طلب منها التوحيد لا غير
وبحديث القائل لئن قدر الله تعالى علي وفي رواية فيه لعلي أضل الله ثم قال
فغفر الله له قالوا ولو بوحث أكثر الناس عن الصفات وكوشفوا عنها لما وجد
من يعلمها إلا الأقل وقد أجاب الآخر عن هذا الحديث بوجوه منها أن
قدر بمعنى قدّر ولا يكون شكه في القدرة على إحيائه بل في نفس البعث الذي
لا يعلم إلا بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع يقطع عليه فيكون الشك
به حينئذ كفرا فأما ما لم يرد به شرع فهو من مجوزات العقول أو يكون قدر
بمعنى ضيق ويكون ما فعله بنفسه إزراء عليها وغضبا لعصيانها وقيل إنما
قاله وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه مما استولى عليه من الجزع
والخشية التي أذهلت لبه فلم يؤاخذ به وقيل كان هذا في زمن الفترة وحيث
ينفع مجرد التوحيد وقيل بل هذا من مجاز كلام العرب الذي صورته الشك
ومعناه التحقيق وهو يسمى تجاهل العارف وله أمثلة في كلامهم كقوله تعالى
لعله يتذكر أو يخشى وقوله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين فأما
من أثبت الوصف ونفى الصفة فقال أقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم
ولكن لا كلام له وهكذا في سائر الصفات على مذهب المعتزلة فمن قال بالمآل لما
يؤديه إليه قوله ويسوقه إليه مذهبه كفره لأنه إذا نفى العلم انتفى وصف

عالم

عالم إذ لا يوصف بعالم إلا من له علم فكأنهم صرحوا عنده بما أدى إليه قولهم
وهكذا عند هذا سائر فرق أهل التأويل من المشبهة والقدرية وغيرهم ومن لم
ير أخذهم بمآل قولهم ولا ألزمهم موجب مذهبهم لم ير إكفارهم قال لأنهم
إذا وقفوا على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفي من القول بالمآل الذي
ألزمتناه ونعتقد نحن وأنتم أنه كفر بل نقول إن قولنا لا يؤول إليه على ما أصلناه
فعلى هذين المأخذين اختلف الناس في إكفار أهل التأويل وإذا فهمته اتضح
لك الموجب لاختلاف الناس في ذلك والصواب ترك إكفارهم والإعراض عن
الحتم عليهم بالخسران وإجراء حكم الإسلام عليهم في قصاصهم ووراثاتهم
ومناكحاتهم ودياتهم والصلاة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم
لكنهم يغلظ عليهم بوجيع الأدب وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم
وهذه كانت سيرة الصدر الأول فيهم فقد كان نشأ على زمن الصحابة رضي الله
عنهم وبعدهم في التابعين من قال بهذه الأقوال من القدر ورأي الخوارج والاعتزال
فما أزاحوا لهم قبرا ولا قطعوا لأحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم وأدبوهم
بالضرب والنفي والقتل على قدر أحوالهم لأنهم فساق ضلال عصاة أصحاب كبائر
عند المحققين وأهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن رأى غير ذلك والله
الموفق للصواب قال القاضي أبو بكر وأما مسائل الوعد والوعيد والرؤية
والمخلوق وخلق الأفعال وبقاء الأعراض والتولد وشبهها من الدقائق فالمنع من
إكفار المتأولين فيها أوضح إذ ليس في الجهل بشيء منها جهل بالله تعالى ولا أجمع
المسلمون على إكفار من جهل شيئا منها وقد قدمنا في الفصل قبله من الكلام وصورة
الخلاف في هذا ما أغنى عن إعادته بحول الله تعالى **فصل** هذا حكم المسلم
الساب لله تعالى وأما الذمي فروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في

ذمي تناول من حرمة الله تعالى غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر رضي الله عنهما عليه بالسيف فطلبه فهرب **وقال** ملك في كتاب ابن حبيب والمبسوطة وابن القسم في المبسوط وكتاب محمد وابن سحنون من شتم الله عز وجل من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا قتل ولم يستتب **قال** ابن القسم إلا أن يسلم قال في المبسوطة طوعا **قال** اصبغ لأن الوجه الذي به كفروا هو دينهم وعليه عوهدوا من دعوى الصاحبة والشريك والولد **واما** غير هذا من الفرية والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو نقض للعهد **قال** ابن القاسم في كتاب محمد ومن شتم من غير أهل الأديان الله سبحانه بغير الوجه الذي ذكر في كتابه قتل إلا أن يسلم **وقال** المخزومي في المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن أبي حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما كان أو كافرا فإن تاب وإلا قتل **وقال** مطرف وعبد الملك مثل قول ملك **وقال** أبو محمد ابن أبي زيد من سب الله تعالى بغير الوجه الذي به كفر قتل إلا أن يسلم وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل وذكرنا قول عبيد الله وابن لبابة وشيوخ الأندلسيين في النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه الذي كفرت به لله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم وإجماعهم على ذلك وهو نحو القول الآخر فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم منهم بالوجه الذي كفر به ولا فرق في ذلك بين سب الله سبحانه وسب نبيه عليه الصلوة والتسليم لأنا عاهدناهم على أن لا يظهروا لنا شيئا من كفرهم وأن لا يسمعونا شيئا من ذلك فمتى فعلوا شيئا منه فهو نقض لعهدهم **واختلف** العلماء في الذمي إذا تزندق فقال ملك ومطرف وابن عبد الحكم وأصبغ لا يقتل لأنه خرج من كفر إلى كفر **وقال** عبد الملك بن الماجشون يقتل لأنه دين لا يقر عليه ولا يؤخذ عليه جزية قال ابن حبيب ولا أعلم من قاله غيره **فصل**

هذا

هذا حكم من صرح بسبه سبحانه وإضافة ما لا يليق بجلاله وإلاهيته **فاما** مفتري الكذب عليه تبارك وتعالى بادعاء الإلهية أو الرسالة أو النافي أن يكون الله تعالى خالقه أو ربه أو قال ليس لي رب أو المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره أو غمرة جنونه فلا اختلاف في كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه لكنه تقبل توبته على المشهور وتنفعه إنابته وتنجيه من القتل فيئته لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد العقاب ليكون ذلك زجرا لمثله عن قوله وله عن العودة لكفره أو جهله إلا من تكرر ذلك منه وعرف استهانته بما أتى به فهو دليل على سوء طويته وكذب توبته وصار كالزنديق الذي لا نأمن باطنه ولا نقبل رجوعه **وحكم** السكران في ذلك حكم الصاحي **واما** المجنون والمعتوه فما علم أنه قاله من ذلك في حال غمرته وذهاب ميزه بالكلية فلا نظر فيه وما فعله من ذلك في حال ميزه وإن لم يكن معه عقله وسقط تكليفه أدب على ذلك لينزجر عنه كما يؤدب على قبائح الأفعال ويوالى أدبه على ذلك حتى ينكف عنه كما تؤدب البهيمة على سوء الخلق حتى تراض وقد حرق علي بن أبي طالب رضي الله عنه من ادعى له الإلهية **وقد** قتل عبد الملك بن مروان الحرث المتنبي وصلبه وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك بأشباههم وأجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم والمخالف في ذلك من كفرهم كافر **وأجمع** فقهاء بغداد أيام المقتدر من المالكية وقاضي قضاتها أبو عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الإلاهية والقول بالحلول وقوله أنا الحق مع تمسكه في الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا توبته **وكذلك** حكموا في ابن أبي الغراقر وكان على نحو مذهب الحلاج بعد هذا أيام الراضي وقاضي قضاة بغداد إذ ذاك أبو الحسين بن أبي عمر المالكي **وقال** ابن عبد الحكم في المبسوط من تنبأ قتل **وقال** أبو حنيفة وأصحابه

من جحد أن الله تعالى خالقه أو ربه أو قال ليس لي رب فهو مرتد وقال ابن القسم في
كتاب ابن حبيب ومحمد في العتبية فيمن تنبأ يستتاب أسر ذلك أو أعلنه وهو كالمرتد
وقاله سحنون وغيره وقاله أشهب في يهودي تنبأ وادعى أنه رسول إلينا إن كان
معلنا بذلك استتيب فإن تاب وإلا قتل وقال أبو محمد بن أبي زيد فيمن لعن بارئه
تعالى وادعى أن لسانه زل وإنما أراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل عذره وهذا
على القول الآخر من أنه لا تقبل توبته وقال أبو الحسن القابسي في سكران قال
أنا الله أنا الله إن تاب أدب فإن عاد إلى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق لأن هذا
كفر المتلاعبين فصل وأما من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط
كلامه وأهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه سبحانه
وتعالى أو تمثل في بعض الأشياء ببعض ما عظم الله تعالى من ملكوته أو نزع من
الكلام لمخلوق بما لا يليق إلا في حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف ولا عامد
للإلحاد فإن تكرر هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة
ربه وجهله بعظيم عزته وكبريائه سبحانه وتعالى وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك
إن كان ما أورده يوجب الاستخفاف والتنقص لربه سبحانه وقد أفتى ابن حبيب
وأصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن أخي عجب وكان خرج يوما
فأخذه المطر فقال بدأ الخراز يرش جلوده وكان بعض الفقهاء بها أبو زيد صاحب
الثمانية وعبد الأعلى بن وهب وأبان بن عيسى قد توقفوا عن سفك دمه وأشاروا
إلى أنه عبث من القول يكفي فيه الأدب وأفتى بمثله القاضي حينئذ موسى بن زياد
فقال ابن حبيب دمه في عنقي أيشتم ربا عبدناه ثم لا ننتصر له إنا إذا لعبيد سوء
وما نحن له بعابدين وبكى ورفع المجلس إلى الأمير بها عبد الرحمن بن الحكم الأموي وكانت
عجب عمة هذا المطلوب من حظاياه وأعلم باختلاف الفقهاء فخرج الإذن من عنده

بالاخذ

خ في
خ السقف
خ أحب
خ يشتم ربنا
وعلى الصرف ... وهو المنع ... ووحده ... من الكلام وعلى عدمه ...

بالأخذ بقول ابن حبيب وصاحبه وأمر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل
القاضي لتهمته بالمداهنة في هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء وسبهم وأما من صدر
عنه من ذلك الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم يكن تنقصا وإزراء فيعاقب عليها
ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها وصورة حال قائلها وشرح سببها
ومقارنها وقد سئل ابن القسم رحمه الله تعالى عن رجل نادى رجلا باسمه فأجابه
لبيك اللهم لبيك قال إن كان جاهلا أو قاله على وجه سفه فلا شيء عليه قال
القاضي رضي الله عنه وشرح قوله أنه لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم
والسفيه يؤدب ولو قالها على اعتقاد إنزاله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله
وقد أسرف كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم في هذا الباب واستخفوا
عظيم هذه الحرمة فأتوا من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا وأقلامنا عن ذكره ولولا
أنا قصدنا نص مسائل حكيناها لما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره علينا مما حكيناه في
هذه الفصول وأما ما ورد في هذا من أهل الجهالة وأغاليط اللسان كقول
بعض الأعراب ٥ رب العباد ما لنا وما لكا ∴ قد كنت تسقينا فما بدا لكا ∴ أنزل
علينا الغيث لا أبا لكا ∴ في أشباه لهذا من كلام الجهال ومن لم يقومه ثقاف
تأديب الشريعة والعلم في هذا الباب فقل ما يصدر إلا من جاهل يجب تعليمه
وزجره والإغلاظ له عن العودة إلى مثله قال أبو سليمان الخطابي وهذا تهور
من القول والله جل جلاله منزه عن هذه الأمور وقد روينا عن عون بن عبد الله
أنه قال ليعظم أحدكم ربه أن يذكر اسمه في كل شيء حتى يقول أخزى الله الكلب وفعل
به كذا قال وكان بعض من أدركنا من مشايخنا قل ما يذكر اسم الله تعالى إلا فيما
يتصل بطاعته وكان يقول للإنسان جزيت خيرا وقل ما يقول جزاك الله خيرا
إعظاما لاسمه جل وتعالى أن يمتهن في غير قربة وحدثنا الثقة أن الإمام

خ القضية
خ سببها
خ ومغازيها
خ مثل
خ ثقف

أبا بكر الشاشي كان يعيب على أهل الكلام كثرة خوضهم فيه تبارك وتعالى وفي ذكر
صفاته إجلالا لاسمه سبحانه ويقول هؤلاء يتمندلون بالله عز وجل وينزل
الكلام في هذا الباب تنزيله في باب ساب النبي صلى الله عليه وسلم على الوجوه التي
فصلناها والله الموفق للصواب **فصل** وحكم من سب سائر أنبياء الله عز وجل
وملائكته واستخف بهم أو كذبهم فيما أتوا به أو أنكرهم وجحدهم حكم نبينا
عليه وعليهم الصلاة والتسليم على مساق ما قدمناه **قال** الله تبارك وتعالى
إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله الآية
وقال عز وجل قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبرهيم الآية
إلى قوله سبحانه لا نفرق بين أحد منهم **وقال** تعالى كل آمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله **قال** مالك في كتاب ابن حبيب
ومحمد وقاله ابن القسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم وأصبغ وسحنون فيمن شتم
الأنبياء عليهم السلام أو أحدا منهم أو تنقصه قتل ولم يستتب ومن سبهم من
أهل الذمة قتل إلا أن يسلم **وروى** سحنون عن ابن القسم من سب الأنبياء عليهم
السلام من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفر واضرب عنقه إلا
أن يسلم وقد تقدم الخلاف في هذا الأصل **وقال** القاضي بقرطبة
سعيد بن سليمن في بعض أجوبته من سب الله سبحانه وملائكته قتل **وقال**
سحنون من شتم ملكا من الملائكة فعليه القتل **وفي** النوادر عن مالك فيمن قال
إن جبريل أخطأ بالوحي وإنما كان النبي صلى الله عليه وسلم علي استتيب فإن
تاب وإلا قتل ونحوه عن سحنون وهذا قول الغرابية من الروافض سموا بذلك
لقولهم كان النبي أشبه بعلي من الغراب بالغراب **وقال** أبو حنيفة
وأصحابه على أصلهم من كذب بأحد من الأنبياء عليهم السلام أو تنقص أحدا

خ عبد الرحمن

بن أبي طالب صح

أحدا منهم أو تبرأ منه أو شك في شيء من ذلك فهو مرتد **وقال** أبو الحسن القابسي
في الذي قال لآخر كأنه وجه مالك الغضبان لو عرف أنه قصد ذم الملك قتل
قال القاضي رضي الله عنه وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة
الملائكة والنبيين عليهم السلام أو على معين ممن حققنا كونه من الملائكة والنبيين
ممن نص الله تعالى عليه في كتابه العزيز أو حققنا علمه بالخبر المتواتر والإجماع
القاطع والمشتهر المتفق عليه كجبريل وميكائيل ومالك وخزنة الجنة وجهنم
والزبانية وحملة العرش المذكورين في القرآن من الملائكة ومن سمي فيه من
الأنبياء وكعزرائيل وإسرافيل ورضوان والحفظة ومنكر ونكير من الملائكة
عليهم السلام المتفق على قبول الخبر بهم **فأما** من لم تثبت الأخبار بتعيينه
ولا وقع الإجماع على كونه من الملائكة أو الأنبياء كهاروت وماروت في الملائكة
وكالخضر ولقمان وذي القرنين ومريم وآسية وخالد بن سنان المذكور أنه
نبي أهل الرس وزرادشت الذي تدعي المجوس والمؤرخون نبوته فليس
الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه إذ لم تثبت لهم تلك الحرمة
ولكن يزجر من تنقصهم وآذاهم ويؤدب بقدر حال المقول فيهم لا سيما من
عرف صدقيته وفضله منهم وإن لم تثبت نبوته **وأما** إنكار نبوتهم
أو كون الآخر من الملائكة فإن كان المتكلم في ذلك من أهل العلم فلا حرج لاختلاف
العلماء في ذلك وإن كان من عوام الناس زجر عن الخوض في مثل هذا فإن عاد
أدب إذ ليس لهم الكلام في مثل هذا وقد كره السلف الكلام في مثل هذا مما ليس
تحته عمل لأهل العلم فكيف للعامة **فصل** واعلم أن من استخف بالقرآن
أو المصحف أو بشيء منه أو سبهما أو جحده أو حرفا منه أو آية أو كذب به أو بشيء
منه أو كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم أو خبر أو أثبت ما نفاه أو نفى ما أثبته

والخضر

خ أهل

خ ثبتت له نبوته

على علم منه بذلك أو شك في شيء من ذلك **فهو** كافر عند أهل العلم بإجماع **قال**
الله تعالى وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
حميد حدثنا الفقيه أبو الوليد هشام بن أحمد رحمه الله أخبرنا أبو علي أخبرنا
ابن عبد البر أخبرنا ابن عبد المومن أخبرنا ابن داسة أخبرنا أبو داود أخبرنا أحمد بن
حنبل أخبرنا يزيد بن هرون أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال المراء في القرآن كفر تؤول بمعنى الشك وبمعنى الجدال
وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم من جحد آية من كتاب
الله تعالى من المسلمين فقد حل ضرب عنقه **وكذلك** إن جحد التوراة والإنجيل
وكتب الله تعالى المنزلة أو كفر بها أو لعنها أو سبها أو استخف بها فهو كافر **وقد**
أجمع المسلمون أن القرآن المتلو في جميع أقطار الأرض المكتوب في المصحف
بأيدي المسلمين مما جمعه الدفتان من أول الحمد لله رب العالمين إلى آخر قل أعوذ
برب الناس أنه كلام الله تعالى ووحيه المنزل على نبيه محمد عليه الصلوة والسلام
وأن جميع ما فيه حق وأن من نقص منه حرفا قاصدا لذلك أو بدله بحرف
آخر مكانه أو زاد فيه حرفا قاصدا لذلك مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع
الإجماع عليه وأجمع على أنه ليس من القرآن عامدا لكل هذا أنه كافر **ولهذا**
رأى الامام قتل من سب عائشة رضي الله عنها بالفرية لأنه خالف القرآن ومن
خالف القرآن قتل أي لأنه كذب بما فيه **وقال** ابن القسم من قال إن الله تبارك
وتعالى لم يكلم موسى تكليما يقتل وقاله عبد الرحمن ابن مهدي **وقال** محمد بن
سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله تعالى يضرب عنقه إلا أن يتوب
وكذلك كل من كذب بحرف منه **قال** وكذلك إن شهد شاهد على
من قال إن الله تبارك وتعالى لم يكلم موسى تكليما وشهد آخر عليه أنه قال

ان

أن الله تعالى ما اتخذ إبرهيم خليلا لأنهما اجتمعا على أنه كذب النبي صلى الله
عليه وسلم **وقال** أبو عثمن بن الحداد جميع من ينتحل التوحيد متفقون على
أن الجحد لحرف من التنزيل كفر **وكان** أبو العالية إذا قرأ عنده رجل
لم يقل له ليس كما قرأت ويقول أما أنا فأقرأ كذا فبلغ ذلك إبرهيم فقال
أراه سمع أنه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله **وقال** عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه من كفر بآية من القرآن فقد كفر به كله وقال أصبغ
ابن الفرج من كذب ببعض القرآن فقد كذب به كله ومن كذب به كله
فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله سبحانه **وقد** سئل القابسي عمن
خاصم يهوديا فحلف له بالتوراة فقال الآخر لعن الله التوراة فشهد عليه بذلك
شاهد ثم شهد آخر أنه سأله عن القضية فقال إنما لعنت توراة اليهود فقال
أبو الحسن الشاهد الواحد لا يوجب القتل والثاني علق الأمر بصفة توجب
التأويل إذ لعله لا يرى اليهود متمسكين بشيء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم
ولو اتفق الشاهدان على لعن التوراة لضاق التأويل **وقد** اتفق فقهاء بغداد
على استتابة ابن شنبوذ المقرئ أحد أئمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد
لقراءته وإقرائه بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف وعقدوا عليه بالرجوع
عنه والتوبة منه سجلا أشهد فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير أبي علي
ابن مقلة سنة ثلث وعشرين وثلث مائة وكان فيمن أفتى عليه بذلك أبو بكر
الأبهري وغيره **وأفتى** أبو محمد بن أبي زيد بالأدب فيمن قال لصبي لعن الله
معلمك وما علمك وقال أردت سوء الأدب ولم أرد القرآن **قال** أبو محمد
وأما من لعن المصحف فإنه يقتل **فصل** وسب آل بيته وأزواجه وأصحابه
عليه الصلوة والسلام وتنقصهم حرام ملعون فاعله حدثنا القاضي الشهيد

أبو علي رحمه الله أخبرنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل العدل أخبرنا أبو
يعلى أخبرنا أبو علي السنجي نا ابن محبوب أخبرنا الترمذي أخبرنا محمد بن يحيى
أخبرنا يعقوب بن إبرهيم أخبرنا عبيدة بن أبي رائطة عن عبد الرحمن بن زياد
عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في أصحابي
الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم
فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى
الله يوشك أن يأخذه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي
فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا
عدلا وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فإنه يجيء قوم في آخر
الزمان يسبون أصحابي فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا
تجالسوهم وإن مرضوا فلا تعودوهم وعنه صلى الله عليه وسلم من سب أصحابي
فاضربوه وقد أعلم النبي صلى الله عليه وسلم أن سبهم وأذاهم يؤذيه وأذى
النبي صلى الله عليه وسلم حرام فقال لا تؤذوني في أصحابي ومن آذاهم
فقد آذاني وقال لا تؤذوني في عائشة وقال في فاطمة رضي الله عنها
بضعة مني يؤذيني ما آذاها وقد اختلف العلماء في هذا فمشهور مذهب
مالك في ذلك الاجتهاد والأدب الموجع قال مالك رحمه الله من شتم النبي
صلى الله عليه وسلم قتل ومن شتم أصحابه أدب وقال أيضا من شتم أحدا
من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أو عمر أو عثمان أو عليا أو معوية
أو عمرو بن العاصي رضي الله عنهم أجمعين فإن قال كانوا على ضلال وكفر
قتل وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا وقال
ابن حبيب من غلا من الشيعة إلى بغض عثمن والبراءة منه أدب أدبا شديدا

خـ ذلك

خـ سبهم

ومن زاد إلى بغض أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فالعقوبة عليه أشد ويكرر ضربه ويطال
سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل إلا في سب النبي صلى الله عليه وسلم وقال
سحنون من كفر أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عليا أو عثمن أو غيرهما
رضي الله عنهم يوجع ضربا وحكى أبو محمد بن أبي زيد عن سحنون من قال في أبي
بكر وعمر وعثمن وعلي رضي الله عنهم إنهم كانوا على ضلالة وكفر قتل ومن شتم
غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد وروي عن مالك من سب أبا
بكر رضي الله عنه جلد ومن سب عائشة رضي الله عنها قتل قيل له لم قال من رماها
فقد خالف القرآن وقال ابن شعبان عنه لأن الله تعالى يقول يعظكم الله
أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى أبو الحسن
الصقلي أن القاضي أبا بكر بن الطيب قال إن الله تعالى إذا ذكر في القرآن ما نسبه
إليه المشركون سبح نفسه لنفسه كقوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه في
آي كثيرة وذكر تعالى ما نسبه المنافقون إلى عائشة رضي الله عنها فقال
ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم سبح
نفسه في تبرئتها من السوء وهذا يشهد لقول مالك في قتل من سب عائشة رضي
الله عنها ومعنى هذا والله أعلم أن الله تعالى لما عظم سبها كما عظم سبه وكان
سبها سبا لنبيه صلى الله عليه وسلم وقرن سب نبيه وأذاه بأذاه تعالى وكان
حكم مؤذيه تعالى القتل كان مؤذي نبيه صلى الله عليه وسلم كذلك كما قدمناه وشتم
رجل عائشة كرمها الله بالكوفة فقدم إلى موسى بن عيسى العباسي فقال من حضر هذا
فقال ابن أبي ليلى أنا فجلده ثمانين وحلق رأسه وأسلمه إلى الحجامين وروي عن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه أنه نذر قطع لسان عبيد الله بن عمر رضي الله عنهما إذ شتم
المقداد بن الأسود رضي الله عنه فكلم في ذلك فقال دعوني أقطع لسانه حتى لا يشتم

خـ يتوب

خـ تنزيهها

خـ حكمه

أحداً بعد أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وروى أبو ذر الهروي أن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه أتي بأعرابي يهجو الأنصار فقال لولا أن له صحبة لكفيتكموه قال
مالك من انتقص أحداً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم فليس
له في هذا الفيء حق قد قسم الله تعالى الفيء في ثلاثة أصناف فقال للفقراء المهاجرين
الآية ثم قال والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم الآية وهؤلاء الأنصار
ثم قال والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا
بالإيمان الآية فمن تنقصهم فلا حق له في فيء المسلمين وفي كتاب ابن شعبان من
قال في واحد منهم إنه ابن زانية وأمه مسلمة حُدّ عند بعض أصحابنا حدين
حداً له وحداً لأمه ولا أجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا
على غيره ولقوله صلى الله عليه وسلم من سب أصحابي فاجلدوه قال
ومن قذف أم أحد منهم وهي كافرة حُدّ حد الفرية لأنه سب له فإن
كان أحد من ولد هذا الصحابي حياً قام بما يجب له وإلا فمن قام به من المسلمين
كان على الإمام قبول قيامه قال وليس هذا كحقوق غير الصحابة رضي الله عنهم
لحرمة هؤلاء بنبيهم صلى الله عليه وسلم ولو سمعه الإمام وأشهد عليه كان
ولي القيام به قال ومن سب غير عائشة من أزواج النبي صلى الله عليه
وسلم ففيها قولان أحدهما أنه يقتل لأنه سب النبي صلى الله عليه وسلم
بسب حليلته والآخر أنه كسائر الصحابة يجلد حد المفتري قال
وبالأول أقول وروى أبو مصعب عنه من انتسب إلى بيت النبي صلى الله
عليه وسلم يضرب ضرباً وجيعاً ويشهر ويحبس طويلاً حتى تظهر توبته لأنه
استخفاف بحق الرسول عليه الصلاة والسلام وأفتى أبو المطرف الشعبي
فقيه مالقة في رجل أنكر تحليف امرأة بالليل وقال لو كانت بنت أبي بكر

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وبعد فقد [illegible] هذا المؤلف [illegible]
[illegible]

الصديق رضي الله عنهما ما حلفت إلا بالنهار وصوب قوله بعض المتسمين
بالفقه فقال أبو المطرف ذكر هذا لابنة أبي بكر رضي الله عنهما في مثل هذا
يوجب عليه الضرب الشديد والسجن الطويل والفقيه الذي صوب قوله هو
أحق باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم إليه في ذلك ويزجر ولا تقبل فتواه
ولا شهادته وهي جرحة ثابتة فيه ويبغض في الله عز وجل وقال ابن عمران
في رجل قال لو شهد علي أبو بكر الصديق إنه إن كان في مثل ما تجوز فيه
شهادة الشاهد الواحد فلا شيء عليه وإن كان أراد غير هذا فيضرب ضرباً يبلغ
به حد الموت وذكرها رواية قال القاضي أبو الفضل رضي الله
عنه هنا انتهى القول بنا فيما حررناه وانتجز الغرض الذي انتحيناه
واستوفي الشرط الذي شرطناه مما أرجو أن يكون في كل قسم منه للمريد مقنع
وفي كل باب منهج إلى بغيته ومنزع وقد سفرت فيه عن نكت تستغرب
وتستبدع وكرعت في مشارب من التحقيق لم يورد لها قبل في أكثر التصانيف
مشرع وأودعته غير ما فصل وددت لو وجدت من بسط قبلي الكلام
فيه أو مقتدي يفيدنيه عن كتابه أو فيه لأكتفي بما أرويه عما
أرويه وإلى الله تعالى جزيل الضراعة في المنة بقبول ما منه لوجهه
والعفو عما تخلله من تزين وتصنع لغيره وأن يهب لنا ذلك بجميل كرمه
وعفوه لما أودعناه من شرف مصطفاه وأمين وحيه وأسهرنا به جفوننا
لتتبع فضائله وأعملنا فيه خواطرنا من إبراز خصائصه ووسائله ويحمي
أعراضنا عن ناره الموقدة لحمايتنا كريم عرضه ويجعلنا ممن لا يذاد إذا ذيد
المبدل عن حوضه ويجعله لنا ولمن تهمم باكتتابه واكتسابه سبباً يصلنا
بأسبابه وذخيرة نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً نحوز بها

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وامام المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين وبعد
فقد قرأ الشيخ الصالح المتقن المحصل ابو عبد الله شمس الدين محمد بن ... سليمان بن سعد الدين مسعود الشبراوي الشافعي ... الشيخ ...
الشيخ الامام العالم العلامة ... جميع كتاب ...
[illegible]

السماع والاجازة صحيحان
وكتبه ... موسى الابناسي
... صلى الله ...

... عرض على ... الله ... وكان ...
على حفظه جميع الكتاب ... جمادى الاخرة
... على ... الحلبي ... الله ...

رضاه وجزيل ثوابه ۞ ويخصنا بخصيصى زمرة نبينا وجماعته ۞ ويحشرنا
في الرعيل الأول وأهل الباب الأيمن من أهل شفاعته **ونحمده تعالى**
على ما هدى اليه من جمعه والهدى ۞ وفتح البصر لدرك حقائق ما أودعناه
ولفقه ۞ ونستعيذ به من دعاء لا يسمع ۞ وعلم لا ينفع ۞ وعمل لا يرفع
فهو الجواد الذي لا يخيب من أمله ۞ ولا ينتصر من خذله ۞ ولا يرد دعوة القاصد
ولا يصلح عمل المفسدين ۞ وهو حسبنا ونعم الوكيل ۞ وصلى الله على نبيه
محمد خاتم النبيين ۞ وسلم تسليما كثيرا ۞ ورضي الله عن أصحاب رسول الله
أجمعين

كمل الديوان المبارك بحمد الله

۞ وحسن توفيقه ومنه وكرمه ۞ وكان الفراغ من كتابته
۞ ضحى نهار الاثنين ثالث شهر ربيع الآخر سنة أربع
۞ وتسعين وسبعمائة على يد العبد الفقير
الى الله تعالى محمد بن سليمان القاصدي
السهرباني القطان الراجي عفو
الرحمن عفا الله عنه وعن
والديه وعن جميع
المسلمين آمين

نقلت هذه النسخة المباركة للعبد الفقير الى الله تعالى محمد بن سليمان بن مسعود بن عبد الله
۞ الشبراوي احد طلبة العلم الشريف غفر الله له ولوالديه ولمن قرأ في هذه
۞ النسخة المباركة ودعا لمالكها ولكاتبها بالمغفرة والرحمة ولجميع المسلمين
آمين

[illegible]

[stamp]

١٠

الحمد لله تعالى وبه اعتصم والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين واشرف صلوات الله اجمعين وعلى آله وصحبه وسلم وبعد
فقد قرأ علي كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم
تأليف الشيخ الامام الحافظ العلامة ابي الفضل عياض بن
موسى بن عياض اليحصبي رضي الله تعالى عنه مالكه
العالم الناسك ابو عبد الله محمد بن سليمان بن مسعود
الشافعي نفع الله به قراءة حسنة صحيحة وهذه النسخة في مدة
على السماع
واستكمله عن ظهر قلبه بالمسجد الحرام واخبرته انني سمعته
جاعم من شيخ الامام العلامة الولي ضياء الدين ابو الفضل محمد
خليل بن الامام ... الدين عبد الرحمن الامام العلامة صلاح الدين ابي عبد
الله محمد بن عمر القسطلاني المالكي ومنهم الشيخ الصالح العلامة
المحرم المسند شهاب الدين ابو العباس احمد بن قاسم بن عبد الرحمن
الحرازي الشافعي برد الله تعالى قالا اخبرنا به الحسني
الامام المحدث ابو عمرو عثمان بن محمد بن عثمان التوزري الاصبحي
وشيخ العدول ابو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن حريث العبدري
... الحرازي بقراءتي عليهما وقال القسطلاني سماعا عليهما
... التوزري اخبرنا به الاشياخ العلماء ابو الحسن علي بن الامام
ابي العباس احمد بن علي القسطلاني وابو الفتح عبد الهادي بن عبد
الله بن علي بن علي بن عبد الله بن عليم القيسي والخطيب ابو محمد عبد الله بن
عبد الرحمن بن عبد الله بن موسى المرسي عن ابي بكر بن طلحة بن ابي ... عليهم
مسعود بن ... قال الاول والثاني اخبرنا ابو جعفر احمد بن عبد الرحمن
ابو محمد بن سعيد بن صاف اللخمي القرطبي وجماعة الشاح وقال ابن
بن طلحة اخبرنا به ابو الحسن علي بن احمد بن علي الغافقي بن عوف منهم
الشقوري اجازة وقال ابن حريث اخبرنا به جماعة
الفقيه الاديب ابو محمد عبد المهيمن بن محمد بن عبد الله بن محمد الانصاري
الحضرمي سماعا قال اخبرنا به الشيخ ابو عبد الله محمد بن عبد الله

الازدي

الازدي سماعا قال اخبرنا ابو عبد الله محمد بن حسن بن عطية بن
غازي قال ... بن حكم بن مضا السعودي اخبرنا به مؤلفه
القاضي ابو الفضل عياض قال السعودي اجازة وقال الكافوري سماعا
واخبرني به عاليا الشيخ المسند قال القرافي ... الدين
ابو عبد الله ... بن علي بن محمد الكمال بن ابي صعيد المهلبي سماعا
لمجلس ... واجازة لباقيه بالمدينة ... العام تسع
وأربعين قال اخبرني به ابو الحسن يحيى بن احمد بن محمد بن ...
الواني سماعا قال اخبرنا به ابو الحسن يحيى بن محمد بن علي بن الصائغ
الاندلسي اجازة قال اخبرنا به مؤلفه القاضي عياض اجازة منه رحمه
الله تعالى وكان القراءة المذكورة في مجالس ... بالمسجد الحرام في
... واجزته بالاجازة المذكورة وبجميع ما يجوز لي
وعني روايته بشرطه المعتبر عند اهله نفعه الله
بذلك وكتب عبد الرحمن بن ابي الخير محمد بن محمد الشريف الحسني
المالكي لطف الله به امين اللهم صل على سيدنا محمد النبي وعلى
آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى ... وحسبنا الله ونعم الوكيل

الحمد لله وحده
وهذا ... علي لحسن ... مواضع منفرقة ... على
حفظه لجميعه عن ظاهر قلبه استقصار ... لله تعالى ... وفضله
وحمله ... اهله ووافق ... عشر ... الكريم من
... السنة على صاحبها افضل الصلاة والسلام
واخره الحمد لله ... على ... وعلى ...
والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ... وازواجه و...
وبعد ... علي ... الكريم ... ابو عبد الله محمد ... الدين ... الشراوي
مولده ... كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم عن ظهر ...

٢١٨

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد فقد عرض علي الشيخ
الفقيه العالم الفاضل الأديب الأوحد الأشرف الشمس محمد بن ... علاء
... من أوله إلى آخره ... مواضع عديدة من مختصر ...
في الحديث ... الكتاب ... عن العلم ...
... الفقير إلى الله ... عفا الله عنه ...
... بخطه ... والحمد لله رب العالمين
... الله ...

أوجهك أم ضوء الصباح تبلّجا أم البدر في ...
حار خلق

... عبد ... وسعد ... وحمد ...

اللهم ارحم ... عبد الله

لن عبد الله ... واستر ... بالكرم

للشدائد

أو أيا لم نزل ... الهوى ...

محمد

... والكرم ...

... الحق ...